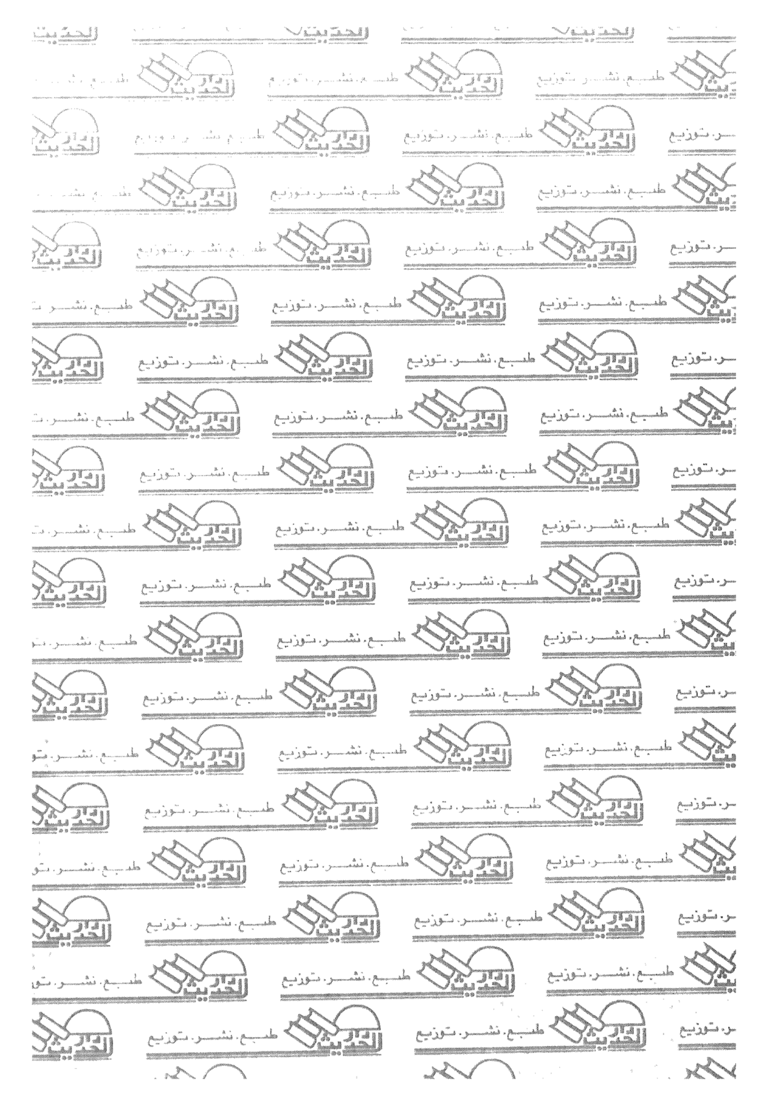
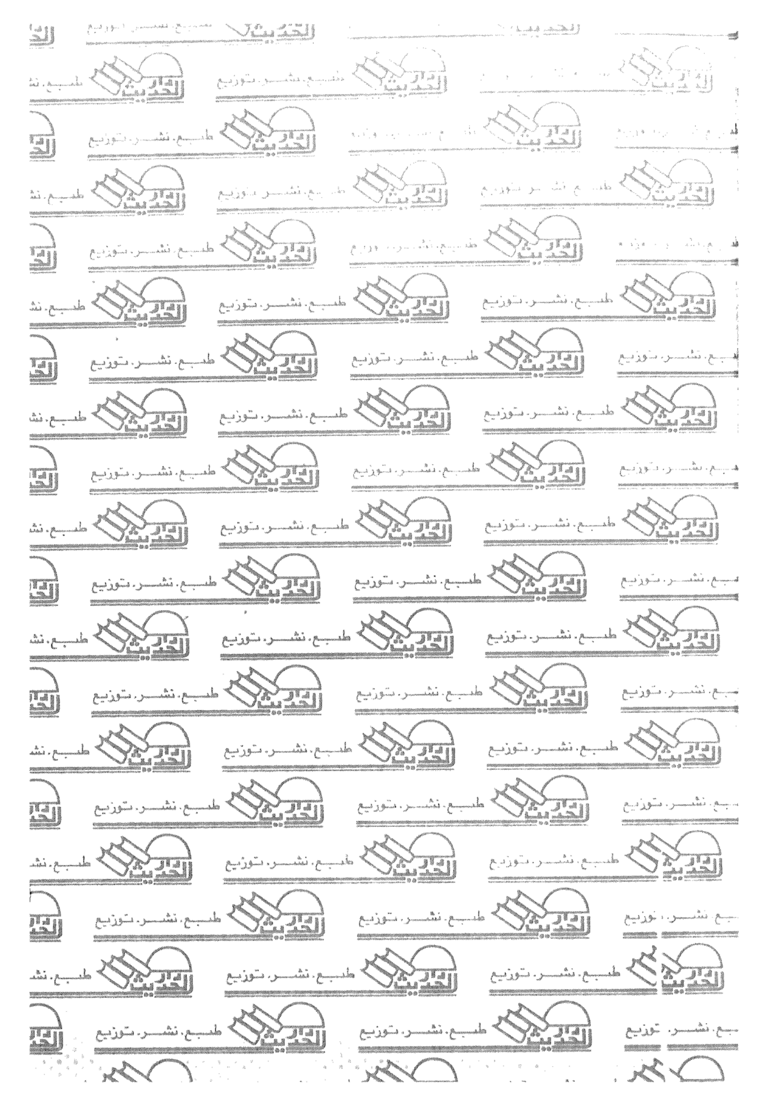

الصحيح المختصر
لكتاب التذكرة للإمام القرطبي
إختصر وخرج أحاديثه
عصام الصبابطي
دار الحديث
القاهرة


دار الحديث
طبع . نشر . توزيع


دار الحديث
طبع . نشر . توزيع

الصحيح المختصر

لكتاب التذكرة للإمام القرطبي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الحديث

طبع . نشر . توزيع

١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر تليفون ٥١١٦٥٠٨/٥٩١٨٧١٩/٥٩١٢٢٧٥ فاكس ٥٩١٩٦٩٧ تلكس ٩٢٩٨٥

الصحيح المختصر

لكتاب التذكرة للإمام القرطبي

اختصره وخرج أحاديثه

عصام الصبابطي

دار الحديث

القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة
الصحيح المختصر
لكتاب التذكرة للإمام القرطبي

إن الحمد لله، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد،،

فإن الإنسان لا يزال بحاجة دائمة إلى تذكرة تكشف ظلمته، وتوقظ غفلته، وإلى عظة تشحذ عزيمته، وتستنهض همته، وكلما اشتدت من حوله الظلمة وتثاقلت عليه الغفلة كلما ازدادت حاجته إلى التذكرة والعظة .

وفى هذا العصر الذى يشغل الإنسان بشهوات جسده عن غايات روحه، وبأحداث يومه عن حقائق غده، وبكل شىء فى دنياه عن آخرته يكون أشد حاجة إلى تذكره بالموت والقبر وأمور آخرته عسى أن يرشد عمله ويصلح سعيه ويتهيأ ليوم مصيره.

ومن أجمع الكتب التى ألفت فى موضوع التذكرة بالموت وأمور الآخرة كتاب «التذكرة» للإمام القرطبى صاحب التفسير المشهور رحمه الله وأجزل مثوبته، وقد جمع فيه حصاد من سبقوه وزاد، فجاء كتابًا حافلاً بالفوائد، غنيا بالمعانى، كثير الأبواب والشواهد، لكن بحر فوائده كدره جمٌّ غفير من شوائب الأحاديث الضعيفة والواهية، ودرر معانيه غضنٌ منها كثرة ما نيط بها من خلافات ومذاهب ذهبت فى تلافيف عقدها بعض معانى العبرة أو كادت.

وقد أردت أن أسدى لـلكتاب خدمة تليق بشـرف غايته ونبل مقـصده وعظيم مكانته فـاستعنت بالله تعـالى فى تنقية مـعدنه من شوائبـه وتخليصه من فـضوله وزوائده فكان على هذا النحو الذى يراه القـارىء صغيرا فى حجمـه غنيا بفوائده، وإننا لنطمع أن يجعل المولى عز وجل عملنا فيه خالصا متقبلا .

والله نسأل مغفرة الذنوب وستر العيوب إنه سميع قريب .

عصام الدين الصبابطي

بـاب
النهي عن تمنى الموت والدعاء به لضر نزل فى المال والجسد

[روى] مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به، فإن كان لابد متمنيًا فليقل: اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى »(١) أخرجه البخارى، وعنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يتمنين أحدكم الموت ولا يَدْعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا »(٢) .

(وقال): البخارى: « لا يتمنين أحدكم الموت: إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب»(٣) .

(البزار): عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : « لا تمنَّوا الموت فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة»(٤) .

(فصل) :

قال العلماء : الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٠)، والبخارى (٦٥٣١). وقد قدم القرطبى ذكر مسلم على البخارى، وكذلك يفعل - كما يلحظ القارىء - فى سائر فصول كتابه، وعلى هذه التقدمة أكثر علماء المغاربة كما هو معروف عند طلاب هذا العلم .

(٢) صحيح أخرجه مسلم (٢٦٨٢) من حديث أبى هريرة ﷺ، وكذلك أخرجه أحمد فى مسنده (حـ ٢ ص ٣١٦) ضمن الصحيفة الصادقة صحيفة همام بن منبه .

(٣) أخرجه البخارى (٧٢٢٥)، وأحمد (حـ ٢ ص ٢٦٣) كلاهما من حديث أبى هريرة .

(٤) أخرجه أحمد (حـ ٣ ص ٣٣٢)، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (حـ١٠ ص ٢٠٣) وعزاه لأحمد والبزار من حديث جابر بن عبد الله وقال الهيثمى: إسناده حسن .

وقد سماه الله تعالى مصيبة، فى قوله: ﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ [المائدة: ١٠٦] فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى. قال علماؤنا: وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره وقلة التفكير فيه، وترك العمل له، وإن فيه وحده لعبرةً لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر .

(فصل) :

قوله: فلعله أن يستعتب. الاستعتاب: طلب العُتبى. وهو الرضى وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب. قال الجوهرى: استعتب: طلب أن يعتب تقول: استعتبته فأعتبنى. أى : استرضيته. فأرضانى. وفى التنزيل فى حق الكافرين ﴿ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ [فصلت: ٢٤] .

* * * *

باب
جواز تمني الموت
والدعاء به خوف ذهاب الدين

قال الله عز وجل مخبراً عن يوسف عليه السلام: ﴿ توفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين ﴾ [يوسف: ١٠١] وعن مريم عليها السلام فى قولها: ﴿ يا ليتنى متُ قَبْلَ هذا وكنتُ نسيًا منَسياً ﴾ [مريم: ٢٣] وعن مالك عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتنى مكانه »(١) .

(فصل) :

قلت: لا تعارض بين هذه الترجمة والتى قبلها لما نبينه. أما يوسف عليه السلام. فقال قتادة: لم يتمن الموت أحد: نبى ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل: اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل فقال:

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٢٣٦ ، ٥٣٠)، والبخارى (٧١١٥)، ومسلم (كتاب الفتن / ٥٣).

﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى﴾ [يوسف: ١٠١] الآية[١] فاشتاق إلى لقاء ربه عز وجل، وقيل: إن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت وإنما تمنى الموافاة على الإسلام. أى إذا جاء أجلى توفنى مسلمًا. وهذا هو القول المختار فى تأويل الآية عند أهل التأويل. والله أعلم.

وأما مريم - عليها السلام - فإنما تمنت الموت لوجهين :

أحدهما : أنها خافت أن يُظن بها السوء فى دينها وتُعيَّر، فيفتنها ذلك .

الثانى : لئلا يقع قوم بسببها فى البهتان والزور، والنسبة إلى الزنا، وذلك مهلك لهم. والله أعلم .

وأما الحديث فإنما هو خبر: أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس، من فساد الحال فى الدين، وضعفه وخوف ذهابه، لا لضر ينزل بالمرء فى جسمه أو غير ذلك، من ذهاب ماله مما يحط به عنه خطاياه. ومما يوضح هذا المعنى ويبينه قوله عليه السلام: « اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت- ويروى أدرت- فى الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون »[٢]. رواه مالك.

* * * *

---

(١) الآيه بتمامها: ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين ﴾ وهى ليست حجة فى تمنى يوسف عليه السلام الموت فإنه يعلم أن لكل نفس أجلها. لكنه يتمنى الموافاة على الإسلام إذا جاء أجله المعلوم .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (كتاب القرآن/ ٤٠) بلاغًا، وورد مرفوعًا من حديث ابن عباس جزءًا من حديث أخرجه الترمذى (٣٢٣٥) فى اختصام الملأ الأعلى، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح، ونقل عن البخارى نحو هذا التصحيح.

بابـ
ذكر الموت والاستعداد له

النسائى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أكثروا ذكر هادم اللذات »[١] يعنى الموت. أخرجه ابن ماجة والترمذى أيضًا .

ابن ماجة عن ابن عمر أنه قال: كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبى ﷺ فقال يا رسول الله: أى المؤمنين أفضل؟ قال: « أحسنهم خلقًا » قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: « أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم لما بعده استعدادًا أولئك الأكياس »[٢] .

(فصل) :

قال علماؤنا رحمه الله عليهم: قوله عليه السلام: « أكثروا ذكر هادم اللذات الموت » كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ، وإلاّ ففى قوله عليه الصلاة والسلام: «أكثروا ذكر هادم اللذات» مع قوله تعالى: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾[آل عمران: ١٨٥]، [العنكبوت: ٥٧] ما يكفى السامع له، ويشغل الناظر فيه وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُهُ ... يبقى الإلهُ ويودى المالُ والولدُ
لم تغن عن هرمزٍ خزائنهُ ... والخلدُ قد حاولت عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنسُ والجنُ فيما بينها تَردُ
أينَ الملوكُ التى كانت لعزَّتها ... من كل أَوْبٍ إليه وافد يفدَ ؟
حوض هنالك موروِدٌ بلا كَذبٍ ... لا بدّ من وِرده يومًا كما وردوا

---

(١) أخرجه النسائى (حـ ٤ ص ٤)، وأحمد والترمذى وابن ماجة وصححه الألبانى كما فى صحيح ابن ماجة (٣٤٣٤) .

(٢) حديث حسن أخرجه ابن ماجة (حـ ٢/٤٢٥٩). والحاكم (٤/ ٥٤٠) وصححه ووافقه الذهبى.

(فصل) :

إذا ثبت ما ذكرناه. فاعلم أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه فى كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية؛ ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتى ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان فى حال ضيق ومحنة. فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه، فإنه لا يدوم. والموت أصعب منه، أو فى حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها، والسكون إليها، لقطعه عنها .

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم. وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعدًا لذلك .

ولقد أحسن من قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة** ﴾ [القصص: ٧٧] أى: اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا، الدار الآخرة وهى الجنة؛ فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه فى الآخرة، لا فى الطين والماء والتجبر والبغى، فكأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذى هو الكفن، ونحو هذا قول الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداءان تلُوَى فيهما ، وحنوط

وقال آخر:

هى القناعة لا تبغى بها بدلاً ... فيها النّعيم وفيهاَ راحة البَدَنِ

انظرْ لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راحَ منها بغير القُطن والكَفَنِ؟

* * * *

باب
ما يذكر الموت والآخرة ويزهد فى الدنيا

مسلم عن أبى هريرة قال: «زار النبى ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى. فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»[١]. وعند ابن ماجه، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: « كنت نهيتكم عن زيارة القبور. فزوروها. فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة »[٢] .

(فصل) :

زيارة القبور للرجال متفق عليها عند العلماء، مختلف فيها للنساء. أما الشواب فحرام عليهن الخروج. وأما القواعد فمباح لهن ذلك وجائز ذلك لجميعهن إذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا يختلف فى هذا إن شاء الله تعالى[٣] وعلى هذا المعنى يكون قوله عليه الصلاة والسلام: «زوروا القبور» عامًا. وأما موضع أو وقت يخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يجوز ولا يحل، فبينا الرجل يخرج ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيفتتن، وبالعكس فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مأزورًا لا مأجورًا وهذا واضح. والله أعلم .

وقد رأى بعض أهل العلم: أن لعن النبى ﷺ زوارات القبور كان قبل أن يرخص فى زيارة القبور، فلما رخص دخل فى رخصته الرجال والنساء وما ذكرناه لك أولاً أصح والله أعلم .

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦) .

(٢) أخرجه ابن ماجة (حـ ١/ ١٥٧١) عن ابن مسعود، وفى إسناده: أيوب بن هانىء ضعفه ابن معين. لكن الحديث فى صحة زيارة القبور صحيح برواية مسلم وغيره من غير حديث ابن مسعود.

(٣) هذا التقسيم لا مسوغ له. فإن الإذن فى زيارة القبور بعد النهى عنها - بحسب الدلالة الظاهرة لألفاظ الحديث - عام فى حق الرجال والنساء القواعد منهن والشواب لكنه محكوم فى حق الجميع بطلب العبرة وتذكر الآخرة، فإذا شابت هذا الغرض مناكير البدع ومفاسد الاختلاط والفتن وجب التحرز من ذلك فى حق الرجال والنساء جميعًا على سواء حتى تخلص الزيارة لغرضها المشروع .

وينبغى لمن عزم على الـزيارة أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبـه فى إتيانها، ولا يكون حظه منها الطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حالة تشاركة فيها (البهيمة) ونعوذ بالله من ذلك. بل يقصد بزيارته: وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه .

ويجتنب المشى على المقـابر، والجلوس عليها إذا دخل المقـابر، ويخلع نعليه. كمـا جاء فى أحـاديث، ويسلم إذا دخل المقابر، ويخـاطبهم خطاب الحـاضرين. فيقول: « السـلام عليكم دار قوم مؤمنين »[١]، كذلك كان عليـه الصلاة والسلام يقـول، وكنى بالدار عن عمـارها وسكانهـا. ولذلك خاطبـهم بالكاف والميم لأن العرب تعبر بالمنزل عن أهله. وإذا وصل إلى قبر مـيته الذى يعرفه سلم عليه أيضًا فيقول: عليك السلام .

روى الترمذى فى جـامعه: أن رجلاً دخل على النبى ﷺ ، فـقال: عليك السلام، فقال ﷺ : «لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت»[٢] .

ثم يعتبـر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحبـاب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت فى وقت لم يحتسـبه، وهول لم يرتقبه. فليتـأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقـرانه، الذين بلغوا الآمال وجـمعوا الأمـوال. كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهـم، ومحا التراب محاسن وجـوههم، وافترقت فى القبور أجزاؤهم، وترمل بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتم أولادهم واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم .

وليتذكر ترددهم فى المآرب، وحـرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمؤاتاة الأسبـاب، وركونهم إلى الصـحة والشبـاب، وليعلم أن مـيله إلى اللهـو واللعب كميلهم، وغفـلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كـغفلتهم، وأنه لابد صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبـه ذكر من كان مترددًا فى أغراضه، وكيف

---

(١) صحيح أخرجه مسلم بتمامه (٩٧٤) .

(٢) أخرجـه الترمذى (٢٧٢١ ، ٢٧٢٢) وقـال: حديث حسن صـحيح، وأخرجـه أبو داود فى سننه والنسائى فى: « عمل اليوم والليلة » .

تهدمت رجلاه. وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغه نطقه، وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمؤاتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كمآله، وعند هذا التذكر والاعتبار، يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، وتخشع جوارحه. والله أعلم .

* * * *

باب
ما يقال عند دخول المقابر وجواز البكاء عندها

أبو داود عن بريدة بن خصيب قال: قال رسول الله ﷺ « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها. فإن فى زيارتهم تذكرة »، وذكر النسائى عن بريدة أيضًا عن النبى ﷺ قال: «من أراد أن يزور قبرًا فليزره، ولا تقولوا هجرًا»[1] بمعنى سوءًا .

مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: كيف أقول إذا دخلت المقابر؟ قال: « قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمتأخرين ؛ وإنا إن شاء الله بكم لاحقون »[2] خرجه مسلم من حديث بريدة أيضًا. وزاد: « أسأل الله لنا ولكم العافية »[3]، وفى الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام مر بإمرأة تبكى عند قبر لها فقال لها: « اتقى الله واصبرى»[4] الحديث .

(فصل) :

هذه الأحاديث تشتمل على فقه عظيم وهو جواز زيارة القبور للرجال والنساء والسلام عليها وجواز بكاء النساء عند القبر، ولو كان بكاؤهن وزيارتهن حرامًا

(١) حديث صحيح أخرجه النسائى عن بريدة (حـ ٢ - الجنائز - باب زيارة القبور) وأحمد فى مسنده من حديث أبى سعيد (حـ ٣ ص ٦٣) ومن حديث أنس (حـ ٣ ص ٢٣٧، ٢٥٠) .

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٤) .

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٥) .

(٤) أخرجه البخارى (١٢٥٢، ١٢٨٣، ٧١٥٤)، ومسلم (٦٢٦) .

لنهى النبى ﷺ المرأة ولزجرها زجراً يزجر مثله من أتى محرمًا وارتكب منهيا. وما روى من نهى النساء عن زيارة القبور فغير صحيح. والصحيح ما ذكرت لك من الإباحة إلا أن عمل النساء فى خروجهن مما لا يجوز لهن من تبرج أو كلام أو غيره فذلك المنهى عنه، وقد أبيح لك أن تبكى عند قبر ميتك حزنًا عليه أو رحمة له مما بين يديه، كما أبيح لك البكاء عند موته والبكاء عند العرب يكون البكاء المعروف وتكون النياحة. وقد يكون معهما الصياح وضرب الخدود وشق الجيوب. وهذا محرم بإجماع العلماء، وهو الذى ورد فيه الوعيد من قوله عليه السلام: «أنا برىء ممن حلق وسلق وخرق »[1] خرجه مسلم .

وأما البكاء من غير نياحة فقد ورد فيه الإباحة عند القبر، وعند الموت، وهو بكاء الرأفة والرحمة التى لا يكاد يخلو منها إنسان. وقد بكى النبى ﷺ لما مات ابنه إبراهيم[2] .

* * * *

باب
ما جاء أن للموت سكرات

وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت فى أربع آيات:

الأولى: قوله الحق: ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق** ﴾ [ق: ١٩] .

الثانية: قوله تعالى: ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت** ﴾ [الأنعام: ٩٣].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم** ﴾ [الواقعة: ٨٣] .

الرابعة: ﴿ **كلا إذا بلغت التراقى** ﴾ [القيامة: ٢٦] .

(روى) البخارى عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٤) من حديث أبى موسى، وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجة أيضًا .

(٢) حديث بكاء النبى ﷺ لموت ابنه إبراهيم وقوله: « إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا » فى صحيح البخارى (١٣٠٣) من حديث أنس .

أو علبه فيها ماء. فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول « لا إله إلا الله إن للموت سكرات » ثم نصب يديه فجعل يقول: « فى الرفيق الأعلى »[١] حتى قبض ومالت يده .

وخرج الترمذى عنها قالت: « ما أغبط أحدًا بهون موت. بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ »[٢] .

وفى البخارى عنها قالت: « مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى. فلا أكره شدة الموت لأحد أبدًا بعد النبى ﷺ »[٣] الحاقنة: المطمئن بين الترقوة والحلق، والذاقنة: نقرة الذقن وقال الخطابى: الذاقنة: ما تناله الذقن من الصدر .

(فصل) :

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين فمالنا عن ذكره مشغولين؟ وعن الاستعداد له متخلفين؟ ﴿ **قل هو نبأ عظيم ۝ أنتم عنه معرضون** ﴾ [ص: ٦٧، ٦٨] .

* * * *

باب
الموت كفارة لكل مسلم

(فصل) :

إنما كان الموت كفارة لكل ما يلقاه الميت فى مرضه من الآلام والأوجاع، وقد قال ﷺ : «ما من مسلم يصيبه أذى، من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها »[٤]. خرّجه مسلم .

---

(١) صحيح البخارى (٦٥١٠) .
(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٩٧٩) .
(٣) البخارى (٤٤٤٦) .
(٤) مسلم (٢٥٧١) وأخرجه البخارى (٥٦٤٨) .

(وفى الموطأ) عن أبى هريرة عن رسـول الله ﷺ : « من يرد الله به خيـرًا يصب منه »[١] .

* * * *

بابـ
لا يموت أحد إلا وهو يحسن بالله الظن وفى الخوف من الله تعالى

مسلم عن جابر قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قـبل وفاته بثلاثة أيام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله »[٢] أخرجه البخارى .

(ابن ماجه)، عن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال: « كيف تجدك؟ » فـقال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى، فـقال رسول الله ﷺ : « لا يجتمـعان فى قلب عبد مؤمنٍ فى مـثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف »[٣]. ذكره ابن أبى الدنيا أيضًا، وخرجه الترمذى وقال: هذا حديث حسـن غريب. وقد روى بعضـهم هذا الحديث عن ثابت عن النبى ﷺ مرسلاً .

(وذكر) الترمذى الحكيم فى الأصل السـادس والثمانين من (نوادر الأصول): حدثنا يحيى بن حبيب عن عدى قال، حدثنا بشر المفضل عن عوف عن الحسن أنه قال: بلغنى عن رسول الله ﷺ أنه قال: قـال ربكم عز وجل: « لا أجمع على عبـدى خوفين ولا أجمع له أمنين. فـمن خافنى فى الدنيا أمنتـه فى الآخرة ومن أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة »[٤] .

---

(١) أخرجه مالك فى الموطأ (حـ ٢ - كتاب العين/ ٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٨٢٨١)، وأبو داود وابن ماجة وأحمد، ولم أقف عليه فى صحيح البخارى .

(٣) أخرجه ابن ماجة (٤٢٦١)، والترمذى (٩٨٣) .

(٤) حديث حسن أخرجه ابن حبان فى صحيحه (٢٤٩٤ - موارد الظمآن) .

(فصل) :

حسن الظن بالله تعالى، ينبغى أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه فى حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له وينبغى لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل فى قوله تعالى: « انا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء »[١] .

* * * *

باب
تلقين الميت لا إله إلا الله

مسلم عن أبى سعيد الخدرى. قال: قال رسول الله ﷺ: « لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله »[٢] .

(فصل) :

قال علماؤنا: تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون. وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة، وليدخل فى عموم قوله عليه السلام: « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »[٣]. أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه أبو محمد عبد الحق، ولينبه المختصر مع ما يدفع به الشيطان، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته .

فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لئلا يضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فهم ذلك عنه. قال ابن المبارك: « لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه ». قال أبو محمد عبد الحق:

---

(١) حديث قدسى صحيح أخرجه أحمد (٣/ ٤٩١) من حديث واثلة بن الأسقع بهذا اللفظ، ورواه البخارى مختصراً وغيره مزيداً راجع كتابنا جامع الأحاديث القدسية (٤٩٩ - ٥٠٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٩١٦، ٩١٧)، وأصحاب السنن الأربعة كلهم فى كتاب الجنائز من سننهم .

(٣) أخرجه أبو داود (٣١١٦)، والحاكم فى المستدرك (جـ ١ ص ٣٥١، ص ٥٠٠) وصححه ووافقه الذهبى .

وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لج عليه بها أن يتبرم ويضجر، ويثقلها الشيطان عليه، فيكون سببًا لسوء الخاتمة. وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به. قال الحسن ابن عيسى: قال لى ابن المبارك: لقنى - يعنى الشهادة - ولا تعد علىّ إلا أن أتكلم بكلام ثان، والمقصود أن يموت الرجل وليس فى قلبه إلا الله عز وجل. لأن المدار على القلب، وعمل القلب هو الذى ينظر فيه، وتكون النجاة به. وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما فى القلب فلا فائدة فيها، ولا عبرة عندها

* * * *

باب
من حضر الميت فلا يلغو وليتكلم بخير وكيف الدعاء للميت إذا مات وفى تغميضه

مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا. فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ». قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات فقال: «قولى: اللهم اغفر لى وله وأعقبنى منه عقبى حسنة » قالت: فقلت. فأعقبنى الله من هو خير منه: رسول الله ﷺ[1] .

وعنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضج ناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» ثم قال: «اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين، واخلفه فى عقبه فى الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له فى قبره، ونور له فيه»[2] .

(١) أخرجه مسلم (٩١٩). وأخرجه أحمد وأصحاب السنن أيضًا .

(٢) أخرجه مسلم (٩٢٠) وأحمد وأبو داود .

(فصل) :

قال علماؤنا: قوله عليه السلام: « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا » أمر ندب وتعليم بما يقال عند المريض أو الميت، وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من هناك، ولهذا استحب العلماء أن يحضر الميت الصالحون، وأهل الخير حالة موته ليذكروه، ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولوا خيرًا فيجتمع دعاؤهم وتأمين الملائكة فينتفع بذلك الميت ومن يصاب به ومن يخلفه .

* * * *

باب
منه
وما يقال عند التغميض

ابن ماجه. عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيرًا فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل الميت »[١] .

* * * *

باب
ما جاء في سوء الخاتمة وما جاء
أن الأعمال بالخواتيم

مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة »[٢] .

---

(١) ابن ماجة (١٤٥٥) وحسنه البوصيرى .

(٢) مسلم (٢٦٥١) .

وفى البخارى عن سـهل بن سعد، عن النبى ﷺ قال: « إن العبـد ليعمل عـمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعـمل عمـل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم »[١] .

قال أبو محمد عبـد الحق: اعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا تكون لمن استقـام ظاهره وصلح باطنه وإنما تكون لمن كان له فسـاد فى العقل، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم. فربمـا غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله ثم العياذ بالله، أو يكـون ممن كان مستقـيمًا، ثم يتغيـر عن حاله ويخرج عن سننه، ويأخذ فى طريقه، فـيكون ذلك سببًا لسوء خـاتمته وشؤم عاقبـته، كإبليس الذى عبد الله فـيما يروى عن ثمانين ألف سنة، وبلعـام بن باعوراء الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض، واتباع هواه، وبرصيصًا العابد الذى قال الله فى حقه: ﴿ كَمَثَلِ الشيطانِ إذْ قال للإنسانِ اكْفُرْ ﴾ [الحشر: ١٦] .

قال المؤلف رحمه الله: روى البخارى عن سالم عن عـبد الله قال: كان كثيرًا ما كان النبى يحلف: « لا ومقلب القلوب »[٢] ومعناه يصرفها أسرع من مر الريح على اختلاف فى القبول والرد والإرادة والـكراهية وغير ذلك من الأوصاف. وفى التنزيل: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنّ الله يَحُولُ بَيْنَ المرءِ وقَلْبِه ﴾ [الأنفال: ٢٤] قال مجاهد: المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدرى ما يصنع. بيانه: ﴿ إنّ فى ذَلكَ لَذكْرَى لمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [ق: ٣٧] أى عقل، واخـتار الطبرى أن يكون ذلك إخـبارًا من الله تعالـى بأنه أملك لقلوب العبـاد منهم وأنه يحول بينهـم وبينها إذا شـاء، حتى لا يدرك الإنسان شيئًا إلا بمشيئة الله عز وجل .

(قال العلماء): وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة، والإسـتقامة على مشيئته موقـوفة، والعاقـبة مغيـبة، والإرادة غيـر مغالبـة، فلا تعجب بإيمـانك وعملك وصلاتك وصـومك وجميع قربك، فـإن ذلك وإن كان من كسـبك فإنه من خلق

---

(١) البخارى (٦٤٩٣)، ومسلم أيضًا (١١٢) .

(٢) البخارى (٦٦٢٨) .

ربك وفضله الدارّ عليك وخيره، فمهما افتخرت بذلك، كنت كالمفتخر بمتاع غيره، وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف البعير، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم، فأصبحت وزهرها يابس هشيم، إذ هبت عليها الريح العقيم. كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم. ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم.

[روى] النسائى عن عثمان رضي الله عنه قال: « اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد، فعلقت به امرأة غويّة فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها فطفقت الجارية كلما دخل بابًا أغلقته دونه حتى أفضت إلى امرأة وضيئة أى جميلة عندها غلام وباطية خمر فقالت: إنى والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع على، أو تشرب من هذا الخمر كأسًا أو تقتل هذا الغلام قال: فاسقنى من هذه الخمر؟ فسقته كأسًا قال: زيدونى فلم يزل يشرب حتى وقع عليها وقتل الغلام. فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه »[1].

وقال الربيع: سئل الشافعى عن القدر فأنشأ يقول:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئت إن لم تشأ لم يكُن
خلقت العباد على ما علمت ... ففى العلم يجرى الفتى والمسنّ
على ذا مننت وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد ... ومنهم قبيحٌ ومنهم حسن
ومنهم غنى ومنهم فقيرٌ ... وكلٌّ بأعماله مرتهن

* * * *

(١) أخرجه النسائى (الأشربة/ ٤٤) وهو صحيح موقوفًا على عثمان رضي الله عنه.
(٢) البخارى (٦٤١٩).

باب
ما جاء في رسل ملك الموت قبل الوفاة

وفى البخارى، عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: « أعذر الله إلى امرىء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة »(١) يقال أعذر فى الأمر أى بالغ فيه أى أعذر غاية الإعذار بعبده وأكبر الأعذار إلى بنى آدم بعثة الرسل إليهم ليتم حجته عليهم ﴿ **وما كنا مُعَذِّبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ [الإسراء: ١٥] وقال: ﴿ **وجاءكم النذير** ﴾ قيل: هو القرآن. وقيل: هو الرسل إليهم. وعن ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبرى قالوا: هو الشيب فإنه يأتى فى سن الاكتهال. فهو علامة لمفارقته سن الصبا الذى هو سن اللهو واللعب قال:

رأيتُ الشَيْبَ من نذير المنايا ... لصاحبه وحَسْبُكَ من نَذِيرِ

وقال آخر:

تقولُ النفس غيرٍّ لون هذا ... عساك تطيب فى عمر يسير
فقلت لها المشيب نذير عمرى ... ولست مسودًا وجه النذيرِ

وللقاضى منذر بن سعيد البلوطى رحمة الله تعالى عليه:

كم تَصَابَى وقد علاك المَشيبُ ... وتعامى جهلاً وأنت اللبيبُ
كيف تَلْهُو وقد أتاك نذير ... وشباك الحِمام منك قريبُ
إن للموت سكرةً فارتقبها ... لا يداويك إذا أتتك طبيبُ

* * * *

باب
في التوبة وبيانها. وفي التائب من هو؟

« إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »[(١)]. خرجه الترمذى أى عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هوان ولا تنفع حينئذ توبة ولا إيمان، كما قال تعالى فى محكم البيان: ﴿ فلَم يَكُ ينفعهم إيمانُهم لَمّا رأوا بَأسَنا ﴾ [غافر: ٨٥] وقال تعالى: ﴿ وَليست التّوبةُ للّذينَ يَعْمَلُون السَّيئات حتّى إذا حَضَرَ أحَدَهم الموتُ قالَ إنى تُبْتُ الآنَ ﴾ [النساء: ١٨] فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح، وذلك عند غرغرته بالروح، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين. فشخص من الصدر إلى الحلقوم. فعندها المعاينة، وعندها حضور الموت فاعلم ذلك. فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة. وهو معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَتوبُونَ مِن قَريبٍ ﴾ [النساء: ١٧].

قال ابن عباس والسدى: من قريب: قبل المرض والموت.

وقال أبو مجلز والضحاك وعكرمة وابن زيد وغيرهم: قبل المعاينة للملائكة والسوق وأن يغلب المرء على نفسه. ولقد أحسن محمود الوراق حيث قال:

قدِّم لنفسك توبةً مرجوةً ... قبل الممات وقبل حبس الألسُنِ
بادر به غلق النفوس فإنها ... ذخر وغنم للمنيب المحسنِ

قال علماؤنا - رحمهم الله -: وإنما صحت منه التوبة فى هذا الوقت لأن الرجاء باق ويصح الندم والعزم على ترك الفعل. وقيل: المعنى: يتوبون على قرب عهد من الذنب من غير إصرار. والمبادرة فى الصحة أفضل وألحق لأمله من العمل الصالح والبعد كل البعد من الموت. وأما ما كان قبل الموت فهو قريب. عن الضحاك أيضًا.

---

(١) حسنه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (١٨٩٩) معزوًا لأحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى من حديث ابن عمر.

والتوبة فرض على المؤمنين باتفـاق المسلمين لقوله تعالى: ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ [النور: ٣١] وقوله تعالى: ﴿ **يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحًا** ﴾ [التحريم: ٨] .

ولها شروط أربعة: الندم بالقلب، وترك المعصية فى الحال، والعزم على أن لا يعود إلى مثلهـا، وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفًا منه لا مـَن غيره فإذا اختل شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة. وقـد قيل: من شروطها: الاعتراف بالذنب وكثرة الاستغفار الذى يحل عقد الإصرار ويثبت معناه فى الجنان لا التلفظ باللسان. فأما من قـال بلسانه : أستغفر الله وقلبه مـصرّ على معصيته فاسـتغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار .

وقال أبو بكر الوراق : التوبة أن تكون نصوحًا. وهو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خُلفوا .

وقيل: التـوبة النصوح هى رد المظالم واستـحلال الخصوم وإدمـان الطاعات. وقيل غير هذا، وبالجـملة فالذنوب التى يتاب منها إما كفر أو غيـره، فتوبة الكافر إيمانه مع ندمه على سـالف كفره وغير الكفر: إما حق لله وإمـا حق لغيره. فحق الله تعالى يكفى فى التـوبة منه الترك غير أن منهـا ما لم يكتف الشرع فيـها بمجرد الترك، بل أضاف إلى ذلك فى بعضها قضـاء، كالصلاة والصوم. ومنها ما أضاف إليه كفارة كالحنث في الأيمان وغير ذلك. وأما حقوق الآدميين فلا بد من إيصالها إلى مستحقيها فإن لم يوجـدوا تصدق عنهم، ومن لـم يجد السبيل لخروج ما عليه لإعسـاره فعـفو الله مأمـول وفضله مـبذول. فكم ضـمن من التبـعات وبدل من السيئات بالحسنات. وعليه أن يكثر من الأعمـال الصالحات ويستغفر لمن ظلمه من المؤمنين والمؤمنات فهذا الكلام فى حقيقة التوبة .

قال العلمـاء: إرضاء الخصـوم يكون بأن يرد عليهم مـا غصبـهم من مال أو خانهم أو غلهم أو اغتـابهم أو خرق أعراضهم أو شتـمهم أو سبهم فيـرضيهم بما استطاع ويتحللهم من ذلك، فإن انقرضـوا فإن كان لهم قبله مال رده إلى الورثة، وإن لم يعرف الورثة تصدق به عنهم ويسـتغفر لهم بعد الموت، وأما تغـيير اللباس فهو أن يسـتبدل ما عليه الحـرام بالحلال. وإن كانت ثياب كـبر وخيلاء استـبدلها

فهو أن يستبدل ما عليه الحرام بالحلال. وإن كانت ثياب كبر وخيلاء استبدلها بأطمار متوسطة، وتغيير المجلس: هو بأن يترك مجالس اللهو واللعب والجهال والأحداث. ويجالس العلماء ومجالس الذكر والفقراء والصالحين وتغيير الطعام بأن يأكل الحلال ويجانب ما كان من شبهة أو شهوة .

وتغيير النفقة هو بترك الحرام وكسب الحلال، وتغيير الفراش بالقيام بالليل عوض ما كان يشغله بالبطالة والغفلة والمعصية كما قال الله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦] وتغيير الخلق هو بأن ينقلب خلقه من الشدة إلى اللين ومن الضيق إلى السعة ومن الشكاسة إلى السماحة. وتوسيع القلب يكون بالإنفاق ثقة بالقيام على كل حال، وتوسيع الكف بالسخاء والإيثار بالعطاء. هكذا يبدل كل ما كان فيه كشرب الخمر بكسره وسقى اللبن والعسل والزنا بكفالة الأرملة واليتيمة وتجهيزهما ويكون مع ذلك نادمًا على ما سلف منه ومتحسرًا على ما ضيع من عمره. فإذا كملت التوبة به على هذه الخصال التى ذكرنا والشروط التى بينا تقبلها الله بكرمه وأنسى حافظيه وبقاع الأرض خطاياه وذنوبه. قال الله تعالى: ﴿وإنِّى لغفَّارٌ لمن تَابَ وآمنَ وعمِلَ صالحًا ثم اهتدَى﴾ [طه: ٨٢] .

والأصل فى هذه الجملة: حديث أبى هريرة ﷺ فى الرجل الذى قتل مائة نفس ثم سأل: هل له من توبة؟ فقال له العالم: ومن يحول بينك وبينها، انطلق إلى أرض بنى فلان فإن بها ناسًا صالحين يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا تعد إلى أرضك فإنها أرض سوء[1] . الحديث أخرجه مسلم فى الصحيح .

وفى مسند أبى داود الطيالسى: حدثنا زهير بن معاوية، عن عبد الكريم الجزرى، عن زياد وليس بابن أبى مريم، عن عبد الله بن مغفل قال: كنت مع أبى وأنا إلى جنبه عند عبد الله بن مسعود فقال له أبى: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله عز وجل تاب الله عليه؟ » فقال: نعم سمعته يقول: « الندم توبة »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٦٦)، وأحمد (حـ ٣ ص ٧٢) كلاهما عن أبى سعيد الخدرى .

(٢) صحيح أخرجه ابن ماجة (٤٢٥٢)، وأحمد (حـ١ ص ٣٧٦، ٤٢٣، ٤٣٣)، (حـ ٦ ص٢٦٤).

وفى صحيح مسلم والبخارى عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»(١) .

وروى أبو حاتم البستى فى المسند الصحيح له عن أبى هريرة رضي الله عنه وأبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر ثم قال: « والذى نفسى بيده » ثلاث مرات ثم سكت فأكب كل رجل منا يبكى حزينًا ليمين رسول الله ﷺ ثم قال: « ما من عبد يؤدى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة حتى إنها لتصفق. ثم تلا ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كبائر ما تُنْهَوْنَ عنه نكفِّر عنكم سيِّئَاتِكم ﴾ [النساء: ٣١](٢) .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: فدل القرآن على أن فى الذنوب كبائر وصغائر، خلافًا لمن قال: كلها كبائر، حسب ما بيناه فى سورة النساء (*)، وأن الصغائر كاللمسة والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعًا بوعده الصدق وقوله الحق، لا أنه يجب عليه ذلك، لكن بضميمة أخرى إلى الاجتناب، وهى إقامة الفرائض كما نص عليه الحديث. ومثله: ما رواه مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر »(٣) على هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح فى الباب. وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة منها والإقلاع عنها .

* * * *

(١) أخرجه البخارى (٤١٤١، ٤٧٥٠) جزءًا من حديث الإفك، ومسلم (٢٧٧٠) كذلك .

(٢) أخرجه ابن حبان أبو حاتم البستى فى صحيحه كما فى موارد الظمآن (١٧)، وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (جـ ١٠ ص ١٨٧) وفى إسناده ضعف لكن له شواهد تجبره .

(*) أى فى تفسيره المسمى بتفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن .

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٣) وأحمد وأصحاب السنن الأربعة .

باب
لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر حتى يبشر وأنه يصعد بها

ابن ماجة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحًا قالوا: اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب. أخرجى حميدة وأبشرى بروح وريْحان وربٍّ راضٍ غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان ابن فلان فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب. ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى. فإذا كان الرجل السوء قال: اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث. اخرجى ذميمة وأبشرى بجحيم وغسّاق وآخر من شكله أزواج. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث. ارجعى ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء. فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر »[1] .

وعن أبى هريرة: «إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها».

قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض. صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه. فينطلق بها إلى ربه ثم يقول: انطلقوا بها إلى آخر الأجل، وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد: وذكر من نتنها وذكر لعنًا. ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال: فيقال: انطلقوا بها إلى آخر الأجل قال أبو هريرة: فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا[2] .

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجة (٤٢٦٢)، وأحمد (جـ ٢ ص ٣٦٤) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٢) .

البخاري. عن عبـادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومـن كره لقاء الله كـره الله لقاءه »، فـقالت عائـشة - أو بعض أزواجـه: إنا لنكره الموت فقـال: « ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حـضره الموتُ بشِّـر برضوان من الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه »، أخرجـه مسلم وابن ماجة من حديث عائشة وابن المبارك من حديث أنس رضي الله عنه[1] .

(فصل) :

هذا الحديث. وإن كان مفسرًا مبينًا. فقد روى عن عائشة رضي الله عنها فى تفسير هذا الحديث أنها قـالت لشريح بن هانئ وقد سـألها عما سمـعه من أبى هريرة وليس بالذى تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد تشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقـاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. خرجه مسلم .

وخرج التـرمذى فى أبواب القدر عن أنس قال: قـال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل إذا أراد بعبـد خيرًا استعـمله». فقيل: كيف يستـعمله يا رسول الله؟ قال: « يوفقه لعمل صالح قبل الموت »[2] قال أبو عيسى هذا حديث صحيح .

* * * *

---

(١) أخرجه البخارى (٦٥٠٧، ٦٥٠٨)، ومسلم (٢٦٨٣) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢١٤٢)، وأحمد (جـ ٣ ص ١٠٦، ١٢٠، ٢٣٠) .

باب

ما جاء في تلاقي الأرواح في السماء والسؤال عن أهل الأرض وفى عرض الأعمال

خرج النسائى بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال الحديث وفيه: « فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحًا من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانه؟ فيقولون: دعوه فإنه كان فى غمّ الدنيا فإذا قال: أو ما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية »(١) .

وقد قيل فى قوله عليه الصلاة والسلام: « الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف »(٢): إنه هذا التلاقى، وقد قيل: تلاقى أرواح النيام والموتى. وقيل غير هذا. والله أعلم .

* * * *

باب

كيفية التوفى للموتي؟ واختلاف أحوالهم في ذلك

ذكر الله التوفى فى كتابه مجملاً ومفصلاً:

فقال الله تعالى: ﴿ الذين تَتَوَفَّاهَمْ الملائكة طيِّبين ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال: ﴿ قُلْ يَتَوفَّاكم ملكُ الموت الذى وكّل بكم ﴾ [السجدة: ١١]، وقال: ﴿ توفَّتْه رُسُلنا وهم لا يُفرِّطون﴾[الأنعام: ٦١]، وقال: ﴿الذين تتوفّاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ [النحل: ٢٨]، فهذا كله مجمل، وقد بينه رسول الله ﷺ على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى، وقال: ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يَضربون وجوهَهم وأدبارهم ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال: ﴿ فكيفَ إذَا توفّتهم الملائكةُ يضربون وَجوهَهَم وأدبارَهم ﴾ [محمد: ٢٧]، وهذا مخصوص بمن قتل من الكفار يوم بدر باتفاق أهل التأويل، فيما

(١) صحيح أخرجه النسائى (حـ ٤ الجنائز/ ص ٨) وفى الحديث دلالة على أن الأموات يجهلون أحوال الأحياء ولا يدرون ما عملهم ولا متى آجالهم .

(٢) أخرجه البخارى (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨) .

قاله بعض علمائنا، وقد ذكر المهدوى وغيره فى ذلك اختلافًا، وأن الكفار حتى الآن يتوفون بالضرب والهوان والله أعلم .

وروى مسلم فى حديث فيه طول قال أبو زميل: فحدثنى ابن عباس، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه لضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: « صدقت ذلك من مدد السماء الثانية »، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. وذكر الحديث[١].

وقال تعالى: ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم** ﴾ أى بالعذاب ﴿ **أخرجوا أنفسكم** ﴾ إلى قوله: ﴿ **يستكبرون** ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وقد زادت السنة هذا النوع بيانًا على ما يأتى:

(فصل) :

إن قال قائل: كيف الجمع بين هذه الآى وكيف يقبض ملك الموت فى زمن واحد أرواح من يموت بالمشرق والمغرب؟ قيل له: اعلم أن التوفى مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم يدع منه شيئًا، فتارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك، وتارة إلى أعوانه من الملائكة، لأنهم قد يتولون ذلك أيضًا، وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفى على الحقيقة كما قال عز وجل: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال: ﴿ **وهو الذى أحياكم ثم يميتكم** ﴾ [الحج: ٦٦] وقال: ﴿ **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم** ﴾ [الملك: ٢] فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره .

وقال الكلبى: يقبض ملك الموت الروح من الجسد، ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنًا، وإلى ملائكة العذاب إن كان كافرًا، وهذا المعنى منصوص فى حديث البراء،[٢] وسيأتى .

---

(١) مسلم (١٧٦٣) .

(٢) حديث البراء فى عذاب القبر حديث صحيح. أخرجه أحمد (حـ٤ ص ٢٨٧)، وأبو داود (حـ٤/ ٤٧٥٣) وغيرهما .

باب
ما جاء أن ملك الموت عليه السلام هو القابض لأرواح الخلق

قال الله تعالى: ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ﴾ [السجدة: ١١] .

فقال تعالى: ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ﴾ [الأنفال: ٥٠] .

وقال تعالى: ﴿ توفته رسلنا ﴾ [الأنعام: ٦١] والبارى سبحانه خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل .

قال الله تعالى: ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ﴾ [الزمر: ٤٢] وقال: ﴿ الذى خلق الموت والحياة ﴾ [الملك: ٢] وقال: ﴿ يحيى ويميت ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فملك الموت يقبض الأرواح والأعوان يعالجون، والله يزهق الروح. وهذا هو الجمع بين الآى والحديث، لكنه لما كان ملك الموت متولى ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفى إليه كما أضيف الخلق للملَك .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: كما فى حديث ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله الملك (فينفخ) فيه الروح »[1] الحديث خرجه مسلم وغيره .

وفى صحيح مسلم أيضًا: عن حذيفة بن أَسِيد الغفارى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا مرّ بالنطفة اثنتان وأربعون بعث الله إليها ملكًا (فصورها وخلق سمعها وبصرها وشعرها وجلدها ولحمها وعظامها). ثم يقول: أى رب أذكر أم أنثى» ؟ وذكر الحديث وما قبله يفسره ويبينه؛ لأن النطفة لا يبعث الملك إليها إلا بتمام اثنتين وأربعين ليله فتأمله. ونسبة الخلق والتصوير للملك نسبة مجازية لا حقيقية، وإنما صدر عنه فعل ما فى المضغة كان عنه التصوير والتشكيل بقدرة الله تعالى وخلقه واختراعه. ألا تراه سبحانه وتعالى قد أضاف إليه الخلقة

---

(١) أخرجه البخارى (٣٣٣٢، ٦٥٩٤) ومسلم (٢٦٤٣، ٢٦٤٤) .

الحقيقية وقطع عنها نسب جميع الخليقة. فقال تعالى: ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** ﴾ [الأعراف: ١١] إلى غير ذلك من الآيات مع ما دلت عليه قاطعات البراهين إذ لا خالق لشيء من المخلوقات إلا رب العالمين. وهكذا القول فى قوله: «ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح»(١) أى إن النفخ فيه سبب يخلق الله فيه الروح والحياة. وكذلك القول فى سائر الأسباب المعتادة فإنه بإحداث الله تعالى لا بغيره فتأمل ذلك. هذا هو الأصل وتمسك به ففيه النجاة من مذاهب أهل الضلال والقائلين بالطبائع وغيرهم، وأن الله هو القابض لأرواح جميع الخلق على الصحيح، وأن ملك الموت وأعوانه وسائط. وقد سئل مالك بن أنس عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق مليًا ثم قال: ألها نفس؟ قال: نعم. قال: ملك الموت يقبض أرواحها ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ [الزمر: ٤٢].

* * * *

باب
ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر

ابن ماجه، عن أم سلمة، قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة، وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: « إن الروح إذا قبض تبعه البصر»(٢). خرجه مسلم أكمل من هذا.

وروى مسلم عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره »، قالوا: بلى، قال: « فذلك حين يتبع بصره نفسه »(٣).

(فصل):

فى قوله عليه السلام: « إن الروح إذا قبض تبعه البصر »، وقوله: « فذلك حين يتبع بصره نفسه » ما يستغنى به عن قول كل قائل فى الروح والنفس، وإنهما اسمان لمسمى واحد.

---

(١) مسلم (٢٦٤٥).

(٢) مسلم (٩٢٠)، وابن ماجة (١٤٥٤).

(٣) مسلم (٩٢١).

باب
ما جاء فى استحسان الكفن

مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال: « إذا كفّن أحدكم أخاه فليحسن كفنه إن استطاع »(١) .

* * * *

باب
الإسراع بالجنازة وكلامها

البخارى عن أبى سعيد الخدرى: كان النبى ﷺ يقول: « إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم. فإن كانت صالحة قالت: قدمونى قدمونى. وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق »(٢). وقد تقدم من حديث أنس أنها تقول: « يا أهلى ويا ولدى » الحديث .

البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه . . . وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»(٣) خرّجه مسلم أيضًا . . .

(فصل) :

صعق: مات. والإسراع قيل: معناه: الإسراع بحملها إلى قبرها فى المشى وقيل: تجهيزها بعد موتها لئلا تتغير، والأول أظهر لما رواه النسائى. قال: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا خالد قال: حدثنا عيينة بن عبد الرحمن قال: حدثنى أبى قال: شهدت جنازة عبد الرحمن بن سمرة وخرج زياد يمشى بين يدى السرير، فجعل رجال من أهل عبد الرحمن ومواليهم يستقبلون السرير ويمشون

(١) مسلم (٩٤٣) .
(٢) البخارى (١٣١٤، ١٣١٦، ١٣٨٠) .
(٣) البخارى (١٣١٥)، ومسلم (٩٤٤) .

على أعـقابهم ويقـولون: رويدًا رويدًا بارك الله فيكم. فكانوا يدبون حـتى إذا كنا ببـعض الطريق لحقنا أبـو بكرة ﷺ يمشى على بغـلة. فلما رأى الذى يصنعـون حمل عليـهم ببغلته وأهـوى عليهم بالسوط. فـقال: خلوا فوالذى كـرم وجه أبى القاسم لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وإنا لنكاد نرمل بها رملاً. فانبسط القوم[١]. صححه أبو محمد عبد الحق .

والذى عليه جماعة أهل العلم فى ذلك الإسراع فـوق السجية قليلاً، والعجلة أحب إليـهم من الإبطاء، ويكره الإسـراع الذى يشق على ضعـفـه من يتبـعهـا. السجية: العادة .

* * * *

بـاب
يدفن العبد فى الأرض التي خلق منها

أبو عيسى الترمذى، عن مطر بن عُكَامِس، قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة » أو قال: « بها حاجة »[٢] .

قال أبو عيـسى: وفى الباب عن أبى عزة، وهذا حديـث غريب، ولا يعرف لمطر بن عكامس عن النبى ﷺ غير هذا الحديث .

وعن أبى عزة، قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا قـضى الله لعبد أن يموت بأرض، جعل له إليها حاجة »[٣] أو قال: « بها حاجـة » قال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو عزة له صحبة، واسمه يسار بن عبيد، وأنشدوا:

إذا حِمامُ المرء كان ببلدةٍ   دعتْه إليها حـــاجةٌ فيطـــيرُ

وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول، عن أبى هريرة، قال:

---

(١) صححه الألبانى كما فى صحيح النسائى (١٨٠٤) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢١٤٦) .

(٣) صحيح أخرجه الترمذى (٢١٤٧) .

خرج علينا رسول الله ﷺ : يطوف ببعض نواحى المدينة، وإذا بقبر يحفر، فأقبل حتى وقف عليه، فقال: « لمن هذا »؟ قيل: لرجل من الحبشة، فقال: « لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن فى الأرض التى خلق منها »[١]. وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ ، أنه قال: « إذا كان أجل العبد بأرض أوثبته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله فتقول الأرض يوم القيامة: رب هذا ما استودعتنى »[٢] خرّجه ابن ماجة أيضًا .

(فصل) :

قال علماؤنا رحمه الله عليهم: فائدة هذا الباب: تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظلمة؛ قضاء الدين؛ وإتيان الوصية بماله أو عليه فى الحضر، فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر، فإنه لا يدرى أين كتبت منيته من بقاع الأرض .

وأنشد بعضهم:

مشيناها خطىً كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطىً مشاها

وأرزاق لنا متفرقات ... فمن لم تأته منا أتاها

ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت فى أرض سواها

وقد روى فى الآثار القديمة أن سليمان عليه السلام كان عنده رجل يقول: يا نبى الله إن لى حاجة بأرض الهند. فأسألك أن تأمر الريح أن تحملنى إليها فى هذه الساعة، فنظر سليمان إلى ملك الموت عليه السلام، فرآه يبتسم، فقال: مم تبتسم؟ قال: - تعجبًا -: إنى أمرت بقبض روح هذا الرجل فى بقية هذه الساعة بالهند، وأنا أراه عندك، فروى أن الريح حملته فى تلك الساعة إلى الهند فقبض روحه بها. والله أعلم[٣] .

---

(١) حسنه الألبانى بمجموع طرقه انظر صحيحه (١٨٥٨)، وانظر مجمع الزوائد (حـ ٣ ص ٤٢) .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٢٦٣) وكذلك الحاكم والحكيم الترمذى وابن أبى عاصم عن مسعود وصححه الألبانى كما فى صحيح الجامع الصغير (٧٥٨) .

(٣) هى من حكايات بنى إسرائيل والله تعالى أعلم بصحة حصولها والله على كل شىء قدير .

بابـ
ما يتبع الميت إلي قبره وبعد موته
وما يبقى معه فيه

مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : « يتبع الميت ثلاث. فيرجع اثنان ويبقى واحد : يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[١] .

* * * *

بابـ
ما جاء أن القبر أول منازل الآخرة
وفى البكاء عنده، وفى حكمه والاستعداد له

ابن ماجة عن هانىء بن عثمان قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: تذكُرُ الجنة والنار ولا تبكى، وتبكى من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: « إن القبر أول منازل الآخرة. فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعد أشد منه »[٢] .

قال: وقال رسول الله ﷺ : « ما رأيت منظرًا قط إلاّ والقبر أفظع منه » أخرجه الترمذى[٣] وزاد رزين قال: وسمعت عثمان ينشد على قبر شعرًا:

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا إخالك ناجيًا

ابن ماجة عن البراء قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة. فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بلّ الثرى ثم قال: «يا إخوانى لمثل هذا فأعدوا »[٤].

---

(١) البخارى (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠) .

(٢) حديث حسن أخرجه ابن ماجة (٤٢٦٧) .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٣٠٨) وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه أحمد (حـ ١ ص ٦٤)، والحاكم (حـ ١ ص ٣٧١)، وابن ماجة (٤٢٦٧) .

(٤) أخرجه ابن ماجة (٤١٩٥)، وأحمد (حـ ٤ ص ٢٩٤). وحسنه الألبانى .

(فصل) :

القبر واحد القبور فى الكثرة وأقبر فى القلّة ويقال للمدفن: مُقبر .

قال الشاعر:

لكل أناس مُقبر بفنائهم وهم ينقصون والقبور تزيدُ

واختلف فى أول من سنّ القبر؟ فقيل: الغراب لمّا قتل قابيل وهابيل. وقيل بنو إسرائيل، وليس بشىء. وقد قيل: كان قابيل يعلم الدفن ولكن ترك أخاه بالعراء استخفافًا به، فبعث الله غرابًا يبحث التراب على هابيل ليدفنه. فقال عند ذلك ﴿ **يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هـذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين** ﴾ [المائدة: ٣١] حيث رأى إكرام الله لهابيل بأن قيّض الله الغراب له حتى واراه. ولم يكن ذلك ندم توبة. وقيل: ندمه إنما كان على فقده. لا على قتله .

قال ابن عباس: ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة. ويقال: لما قتله قعد يبكى عند رأسه. إذ أقبل غرابان فاقتتلا. فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه، ففعل القاتل بأخيه كذلك. فبقى ذلك سنة لازمة فى بنى آدم. وفى التنزيل ﴿ **ثم أماته فأقبره** ﴾[عبس: ٢١] أى جعل له قبرًا يوارى فيه إكرامًا له ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطير والعوافى. قاله الفراء .

وقال أبو عبيدة: أقبره: جعل له قبرًا وأمر أن يقبر وحكم القبر: أن يكون مسنّمًا. مرفوعًا على وجه الأرض قليلاً غير مبنى بالطين والحجارة والجص فإن ذلك منهى عنه .

وروى مسلم عن جابر، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه[1]. وخرّجه الترمذى أيضًا عن جابر، قال: نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح .

(١) مسلم (٩٧٠) .

قال علماؤنا رحمهم الله: وكره مالك تجصيص القبور، لأن ذلك من المباهاة وزينة الحياة الدنيا وتلك منازل الآخرة، وليس بموضع المباهاة، وإنما يزين الميت فى قبره عمله، وأنشدوا:

وإذا وليت أمور قوم ليلة فاعلم بأنك بعدها مسؤول
وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعله من تحته مغلول

وفى صحيح مسلم، عن أبى الهياج الأسدى، قال: قال لى على بن أبى طالب ﷺ: ألاَ أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ؟ ألاَّ تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته[1].

وقال أبو داود فى المراسيل، عن عاصم بن أبى صالح: رأيت قبر النبى ﷺ شبرًا أو نحوًا من شبر، يعنى فى الارتفاع.

قال علماؤنا - رحمة الله عليهم -: يسنم القبر ليعرف كى يحترم ويمنع من الارتفاع الكثير الذى كانت الجاهلية تفعله، فإنها كانت تعلى عليها، وتبنى فوقها تفخيمًا لها وتعظيمًا؛ وأنشدوا:

أرى أهل القصور إذا أميتوا بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخرًا على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت الترب عنهم فما تدرى الغنى من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف من الجلد المباشر للحرير
إذا أكل الثرى هذا وهذا فما فضل الغنى على الفقير؟

يا هذا، أين الذى جمعته من الأموال، وأعددته للشدائد والأهوال، لقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفرًا، وبدلت من بعد غناك وعزك ذلاً وفقرًا، فكيف أصبحت يا رهين أوزاره ويا من سلب من أهله ودياره؟ ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد، وأقل اهتمامك لحمل الزاد، إلى سفرك البعيد، وموقفك الصعب الشديد، أو علمت يا مغرور: أن لا بد من الارتحال، إلى يوم

(١) مسلم (٩٦٩).

شديد الأهوال، وليس ينفعك ثمّ قيل ولا قال، بل يعد عليك بين يدى الملك الديان، ما بطشت اليدان، ومشت القدمان ونطق به اللسان، وعملت الجوارح والأركان فإن رحمك فإلى الجنان، وإن كانت الأخرى فإلى النيران، يا غافلاً عن هذه الأحوال إلى كم هذه الغفلة والتوان، أتحسب أن الأمر صغير. وتزعم أن الخطب يسير؟ وتظن أن سينفعك حالك، إذا آن ارتحالك، أو ينقذك مالك، حين توبقك أعمالك، أو يغنى عنك ندمك، إذا زلت بك قدمك، أو يعطف عليك معشرك، حين يضمك محشرك، كلا والله ساء ما تتوهم ولا بد لك أن ستعلم. لا بالكفاف تقنع، ولا من الحرام تشبع، ولا للعظات تستمع، ولا بالوعيد ترتدع، دأبك أن تنقلب مع الأهواء، وتخبط خبط العشواء، يعجبك التكاثر بما لديك، ولا تذكر ما بين يديك، يا نائمًا فى غفلة وفى خبطة يقظان، إلى كم هذه الغفلة والتوان، أتزعم أن ستترك سدى، وأن لا تحاسب غدًا، أم تحسب أن الموت يقبل الرِّشا[1]، أما تميز بين الأسد والرِّشا[2]، كلا والله لن يدفع عنك الموت مال ولا بنون، ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور، فطوبى لمن سمع ووعى، وحقق ما ادعى، ونهى النفس عن الهوى، وعلم أن الفائز من ارعوى، ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ۝ وأن سعيه سوف يرى** ﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠] فانتبه من هذه الرقدة، واجعل العمل الصالح لك عدّة، ولا تتمن منازل الأبرار، وأنت مقيم على الأوزار عامل بعمل الفجار، بل أكثر من الأعمال الصالحات، وراقب الله فى الخلوات. رب الأرض والسموات، ولا يغرنك الأمل، فتزهد عن العمل، أو ما سمعت الرسول حيث يقول، لما جلس على القبور : « يا إخوانى، لمثل هذا فأعدوا »، أو ما سمعت الذى خلقك فسواك، يقول: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾ [البقرة: ١٩٧] .

(١) الرِّشا : بكسر الراء وبضمها جمع الرُّشوة بكسر الراء وبضمها .
(٢) الرِّشا : الرَّشأ ولد الظبية إذا قوى وتحرك ومشى مع أمه وجمعه أرشاء .

وأنشدوا:

تزود من معاشك للمعـــاد وقم لله واعمل خيـر زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيـراً فإن المال يجمع للنفـــاد
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغيـر زاد؟

وقال آخر:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكونَ كمثلـه وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

وقال آخر:

الموتُ بحرٌ طافح مـــوجُه تذهب فيه حيلة السابـــح
يا نفس إنى قائل فاسمعى مقالة من مشفق ناصــــح
لا ينفع الإنســـان فى قبره غير التقى والعمل الصالح

وقال آخر:

ولـدتك إذ ولــدتك أمّك باكيًا والقومُ حولك يضحكون سروراً
فاعمل ليومٍ أن تكون إذا بكـوا فى يومِ موتك ضاحكًا مسـروراً

وروى عن محمد القرشى أنه قال: سمعت شيخنا يقول: أيها الناس إنى لكم ناصح، وعليكم شفيق، فـاعملوا فى ظلمة الليل لظلمة القبـر. وصوموا فى الحر قبل يوم النشور، وحجوا يحط عنكم عظائم الأمور، وتصدقوا مخافة يوم عسير .

* * * *

بابـ
فى استحسان الكفن

فى صحـيح مسلم عن جابر بن عبـد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ: « إذا كفّن أحدكم أخاه فليحسن كفنه »[1] .

* * * *

(١) مسلم (٩٤٣) .

باب
ما جاء فى ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحاً

النسائى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال: « هذا الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه »(١) قال أبو عبد الرحمن النسائى يعنى سعد بن معاذ .

ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : « إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ »(٢).

* * * *

باب
منه وما جاء إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه

وروى أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ من حديث منصور بن زاذان، عن الحسن، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ « إن الله ليعذب الميت بصياح أهله عليه »(٣) .

قال المؤلف رحمه الله: وهذا بظاهره أنّ بنفس الصياح يقع التعذيب وليس كذلك. وإنما هو محمول على ما ذكرناه. والله أعلم(٤) .

---

(١) صحيح أخرجه النسائى (حـ ٤ ص ١٠٠) .

(٢) أخرجه أحمد (حـ ٦ ص٥٥،٩٨) وفى إسناده مجهول عن عائشة لكن الحديث له طرق وشواهد تصححه. انظر الصحيحة للألبانى (١٦٩٥) .

(٣) صحيح أخرجه بنحوه أحمد، والجماعة إلا ابن ماجة عن ابن عمر وهو عند الشيخين أيضًا عن عمر بنحو ذلك .

(٤) ترجم البخارى رحمه الله هذه المسألة فى صحيحه فأجاد فقهًا وعلمًا قال : « يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته لقول الله تعالى : ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارًا ﴾ وقال=

(فصل) :

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: قال بعض العلماء أو أكثرهم: إنما يعذب الميت ببكاء الحى. إذا كان البكاء من سنّة الميت واختياره، كما قال:

إذا مت فانعينى بما أنا أهلـه وشقى على الجيب يا ابنة معبد

وكذلك إذا وصى به .

* * * *

باب
ما يقال عند وضع الميت فى قبره
وفى اللحد في القبر

اللّحد: هو أن يحفر للميت فى جانب القبر، إن كانت الأرض صلبة، وهو أفضل من الشق، فإنّه الذى اختاره الله لنبيّه ﷺ .

روى ابن ماجة عن ابن عباس قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، بعثوا إلى أبى عبيدة، وكان يضرّح كضريح أهل مكة، وبعثوا إلى أبى طلحة وكان هو الذى يحفر لأهل المدينة. وكان يلحد. فبعثوا إليهما رسولين، قالوا: اللهم خِر لرسولك. فوجدا أبا طلحة فجىء به ولم يوجد أبو عبيده فلحد لرسول الله ﷺ (١) .

وروى أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « اللحد لنا

=النبى ﷺ : « كلكم راع ومسئول عن رعيته » فإذا لم يكن من سنته فهو كما قالت عائشة رضي الله عنها: لا تزر وازرة وزر أخرى، وهو كقوله: ﴿ وإن تدع مثقلة ... ﴾ - ذنوبا - ﴿... إلى حملها لا يحمل منه شىء ﴾ .

(١) أخرجه ابن ماجة (١٦٢٨) وإسناده ضعيف فيه الحسين بن عبد الله الهاشمى متروك. لكن قصة الشقاق واللحد ثابته انظر صحيح ابن ماجة (١٥٥٧ ، ١٥٥٨) .

والشق لغيرنا »[١] خرّجه ابن ماجة والترمذى وقال : حديث حسن غريب ، وأنشدوا:

ضعوا خدى على لحدى	ضعوه ومن عفر التراب فوسّدوه
وشقوا عنه أكفانًا رقاقًا	وفى الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه إذا تقضت	صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه	على وجناته وانفض فوه
وناداه البلا : هذا فلان	هلموا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكم وجاركم المفدّى	تقادم عهده فنسيتموه

* * * *

باب
الوقوف عند القبر
قليلاً بعد الدفن والدعاء بالتثبيت له

مسلم عن بن شماسة المهرى، قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت، الحديث: وفيه: « فإذا دفنتمونى فشنوا علىّ التراب شنّاً، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رُسُل ربى عز وجل »[٢] ؟

أبو داود عن عثمان بن عفان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: « استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآنُ يسأل »[٣] .

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٣٢٠٨)، والنسائى (حـ ٤ ص ٨٠)، والترمذى (١٠٤٥)، وابن ماجة (١٥٥٤) .

(٢) مسلم (١٢١) .

(٣) أخرجه أبو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبى وقال الألبانى: وهو كما قالا «أحكام الجنائز».

(فصل) :

قال الآجرى أبو بكر محمد بن الحسين فى كتاب النصيحة: يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً، والدعاء للميت والجزور بفتح الجيم من الإبل . والجزرة من الضأن والمعز خاصة. قاله فى الصحاح .

قال العلماء: مما يوصى باجتنابه الضجيج وبذكر الله سبحانه وتعالى أو بغير ذلك حول الجنائز والبناء على المقابر، والاجتماع فى الجبانات والمساجد للقراءة وغيرها لأجل الموتى، وكذلك الاجتماع إلى أهل الميت، وصنعة الطعام، والمبيت عندهم. كل ذلك من أمر الجاهلية ونحو منه الطعام الذى يصنعه أهل الميت اليوم فى يوم السابع. فيجتمع له الناس يريدون بذلك القربة للميت والترحم عليه، وهذا محدث لم يكن فيما تقدم، ولا هو مما يحمده العلماء. قالوا: وليس ينبغى للمسلمين أن يقتدوا بأهل الكفر، وينهى كل إنسان أهله عن الحضور لمثل هذا وشبهه من لطم الخدود، ونشر الشعور، وشق الجيوب، واستماع النوح، وكذلك الطعام الذى يصنعه أهل الميت - كما ذكرنا - فيجتمع عليه النساء والرجال من فعل قوم لا خلاق لهم .

وقال أحمد بن حنبل: هو من فعل الجاهلية، قيل له: أليس قد قال النبى ﷺ اصنعوا لآل جعفر طعامًا؟ فقال: لم يكونوا هم اتخذوا. إنما اتّخذ لهم فهذا كله واجب على الرجل أن يمنع أهله منه. ولا يرخص لهم، فمن أباح ذلك لأهله فقد عصى الله عز وجل، وأعانهم على الإثم والعدوان، والله تعالى يقول: ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾ [التحريم: ٦] قال العلماء: معناه أدبوهم وعلّموهم .

وروى ابن ماجة فى سننه عن جرير بن عبد الله البجلى، قال: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعه الطعام من النياحة. وفى حديث شجاع بن مخلد قال: كانوا يرون أن إسناده صحيح. وذكر الخرائطى عن هلال بن خباب، قال: الطعام على الميت من أمر الجاهلية[1] .

(١) صححه البوصيرى فى مصباح الزجاجة معزواً لأحمد وابن ماجة .

قال المولف رحمه الله: وهذه الأمور كلها قد صارت عند الناس الآن سنّة وتركها بدعة .

(فصل) :

ومن هذا الباب ما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب. ودعا بدعوى الجاهلية »[١] وفيهما أيضًا عن أبى بردة بن أبى موسى قال: وجع أبو موسى وجعًا فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا فلما أفاق قال: أنا برىء مما برىء منه رسول الله ﷺ ، فإن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة[٢] .

وفى صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد وأبى بُردة بن أبى موسى قالا: أُغمى على أبى موسى وأقبلت امرأته تصيح برنة، قالا: ثم أفاق، قال: ألم تعلمي - وكان يحدثها - أن رسول الله ﷺ قال: « أنا برىء ممن حلق وسلق وخرق »؟[٣]

ابن ماجة عن أبى أمامة: أن رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور[٤]، إسناده صحيح. وقال حاتم الأصم: إذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه، وأظهر حزنه، فعزّيته فقد أشركته فى إثمة وإنما هو صاحب منكر، يحتاج أن تنهاه. وقال أبو سعيد البلخى: من أصيب بمصيبة فمزق ثوبًا، أو ضرب صدراً، فكأنما أخذ رمحًا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل وأنشدوا :

عجبت لجازع، باكٍ مصاب	بأهلٍ ، أو حميم ذى اكتئاب
شقيقُ الجيب، داعى الويل، جهلاً	كأن الموت كالشىء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى	نبى الله منه لم يحاب
له ملك ينادى كل يوم:	لدوا للموت وابنوا للخراب

(١) البخارى (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣) بلفظ ضرب الخدود .
(٢) البخارى (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤) .
(٣) مسلم (١٠٤) .
(٤) صحيح أخرجه ابن ماجة (١٥٨٥) .

بـاب
فى سؤال الملكين للعبد
وفى التعوذ من عذاب القبر وعذاب النار

البخارى عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: « إن العبد إذا وضع فى قبره، وتولى عنه أصحابه. إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقـال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعـالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعًا ». قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره .

ثم رجع إلى حديث أنس قال: « وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت. ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صـيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين »[١] .

وقول الملكين: (ولا تليت):

قال النحويون: الأصل فى هذه الكلـمة: الواو. أى ولا تلوت إلاّ أنها قلبت ياء ليتبع بها دريت. وقـد جاء من حديث البراء: «لا دريت ولا تلوت»[٢] على ما رواه الإمام أحمد بن حنبل: أى لم تدر ولم تتـل القرآن. فلم تنتفع بدراستك ولا تلاوتك .

ابن ماجه، عـن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « إن الميت يصير إلى الـقبر فيجلس الرجـل الصالح فى قبره غيـر فزع ولا مشغوف، ثم يقـال له: فيم كنت؟ فيـقول فى الإسلام! فـيقال: ما هذا الـرجل؟ فيقول: مـحمد رسـول الله، جاءنا بالبينات من عند الله فـصدقناه. فيقـال له: هل رأيت الله؟ فيقول: لا، مـا ينبغى لأحد أن يرى الله! فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضا بعضًا، فيقال

---

(١) البخارى (١٣٣٨، ١٣٧٤) .

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد (حـ ٤ ص ٢٨٧) .

له: انظر إلى مـا وقاك الله، ثم يفرج له فـرجة قـبل الجنة فينظر إلى زهرتهـا وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك .

ويقال له: على اليـقين كنت. وعليه مت. وعليه تبـعث إن شاء الله تعالى، ويجلس الرجل السوء فى قـبره فزعـًا مرعوبًا فـيقال له: فيـما كنت؟ فيـقول: لا أدرى. فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته. فيفرج له فرجة قبل الجنة فـينظر إلى زهرتها وما فيها. فيقـال له: انظر إلى ما صرفه الله عنك، ثم يفرج له فرجة قـبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعـضًا، فيقال: هذا مقعدك على الشك كنت. وعليه مت. وعليه تبعث إن شاء الله تعالى »[1] .

الترمـذى عن أبى هريرة قال: قـال رسول الله ﷺ: « إذا أقـبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر. وللآخر: النكير. فيـقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فـيقول ما كـان يقول فيه: هو عـبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن مـحمداًعبده ورسوله، فيـقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له فى قـبره سبعون ذراعًا فى سبـعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم. فيقول: أرجع إلى أهلى فأخـبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليـه حتى يبعـثه الله من مـضجعـه ذلك. وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون قولاً . فقلت مثله: لا أدرى. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فـيقال للأرض: التئمى عليـه. فتختلف أضـلاعه. فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك »[2] قال: حديث حسن غريب .

أبو داود عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل نخلاً لبنى النجـار، فسمع صوتًا ففـزع، فقال: « من أصحـاب هذه القبور؟ » قالوا: يا رسـول الله ناس ماتوا فى الجاهلية، فـقال: « تعوذوا بالله من عذاب القبر. ومن فـتنة الدّجال » قالوا: وممّ ذاك يا رسول الله؟ قال: « إن المؤمـن إذا وضع فى قبره أتاه ملك، فيـقول له: ما كنت تعبـد؟ فإن هداه الله. قال: كنـت أعبد الله فـيقال: مـا كنت تقول فى هذا

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجة (٤٢٦٨) .

(٢) الترمذى (١٠٧١) بإسناد صحيح رجاله ثقات .

الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله. فـما يُسأل عن شيء غيرها. فينطلق به إلى بيت كـان له فى النار. فيـقال له: هذا بـيتك كـان فى النار، ولكن الله عصـمك ورحمك فأبدلك بيـتًا فى الجنة فيقول دعـونى حتى أذهب فأبشر أهلى فـيقال له: اسكن .

وإن الكافر إذا وضع فى قبره أتاه ملك فينتهره ويقول: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدرى كنت أقول كما يقول الناس. فيضـرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين »[1] .

وخرّج أبو داود أيضًا عن البراء بن عـازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصـار. فانتـهينا إلى القـبر ولما يلحـد، فجلـس رسول الله ﷺ وجلسنا حولـه كأنما على رؤوسنا الطير وفى يده عـود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال: « استعـيذوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثًا، قال: « وإنه ليسـمع خفق نعالهم إذا ولّوا مـدبرين حين يقـال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ » قال: « ويأتيه ملكان فيجلسـانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله، فيقولان: مـا دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيـقولان: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيـقول: هو رسول الله، فيـقولان له: وما يدريك؟ قال: قـرأت كتاب الله فآمنت وصدقت » قـال: « فينادى مناد من السماء: أن صدق عبـدى فأفرشوه من الجنة. وألبسـوه من الجنة. وافتحـوا له بابًا إلى الجنة » قال: « فـيأتيه من روحـها وطيبها » قال: « ويفسح له مد بصره » .

قال: « وإن الكافر » فذكر موته قـال: « وتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه. فـيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه. لا أدرى. فـيقولان: ما هذا الرسول الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه. لا أدرى قال: فينادى مناد: أن كذب عبدى. فـأفرشوه من النار، وألبـسوه من النار، وافتحـوا له بابًا إلى النار » قال: «فيأتيه من حرّها وسـمومها » قال: ويضيّق عليه قبره حتى تخـتلف فيه أضلاعه » زاد فى حديث جـرير قال: « ثم يقـيض له أعمى أبكم مـعه مرزبة مـن حديد لو

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٤٧٥١) .

ضرب بها جبل لصار ترابًا » قال: « فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابًا، ثم تعاد فيه الروح »[١] .

(فصل) :

جاء فى حديث البخارى ومسلم: سؤال الملكين، وكذلك فى حديث الترمذى ونص على اسميهما ونعتهما. وجاء فى حديث أبى داود: سؤال ملك واحد، وفى حديثه الآخر: سؤال ملكين ولا تعارض فى ذلك والحمد لله، بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص فرب شخص يأتيانه جميعًا ويسألانه جميعًا فى حال واحد عند انصراف الناس ليكون السؤال عليه أهون والفتنة في حقه أشد وأعظم وذلك بحسب ما اقترف من الآثام واجترح من سيء الأعمال، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد فيكون ذلك أخف فى السؤال وأقل فى المراجعة والعتاب لما عمله من صالح الأعمال .

وقد يحتمل حديث أبى داود وجها آخر وهو: أن الملكين يأتيان جميعًا ويكون السائل أحدهما، وإن تشاركا فى الإتيان فيكون الراوى اقتصر على الملك السائل وترك غيره لأنه لم يقل فى الحديث أنه لا يأتيه إلي قبره إلا ملك واحد، ولو قاله هكذا صريحًا لكان الجواب عنه ما قدمنا من أحوال الناس. والله أعلم، وقد يكون من الناس من يوقى فتنتهما ولا يأتيه أحد منهما .

واختلفت الأحاديث أيضًا فى كيفية السؤال والجواب. وذلك بحسب اختلاف أحوال الناس، فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته، ومنهم من يسأل عن كلّها فلا تناقض. ووجه آخر هو: أن يكون بعض الرواة اقتصر على بعض السؤال وأتى به غيره على الكمال. فيكون الإنسان مسؤولاً عن الجميع. كما جاء فى حديث البراء المذكور والله أعلم. وقول المسؤول: هاه هاه هى حكاية صوت المبهور من تعب أو جرى أو حمل ثقيل .

* * * *

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (حـ ٤ ص ٢٨٧)، والحاكم (حـ١/ ٣٧) من طرق وصححه .

باب
ذكر حديث البراء المشهور
الجامع لأحوال الموتي عند قبض أرواحهم وفي قبورهم

أخرجه أبو داود الطيالسى وعبد بن حميد فى مسنديهما وعلى بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية. وهناد بن السرى فى زهده. وأحمد بن حنبل فى مسنده وغيرهم. وهو حديث صحيح له طرق كثيرة اهتم بتخريج طرقه على بن معبد. فأما أبو داود الطيالسى فقال: حدثنا أبو عوانة عن الأعمش. وقال هناد وأحمد: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو، وقال أبو داود: حدثنا عمرو ابن ثابت، سمعه من المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء - يعنى ابن عازب - وحديث أبى عوانة أتمهما، قال البراء: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر، ولمّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، كأنما على رؤوسنا الطير، قال عمرو بن ثابت: وقع ولم يقله أبو عوانة، فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر إلى الأرض، ثم قال: « أعوذ بالله من عذاب القبر » قالها مراراً ثم قال: « إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول: اخرجى أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقا » قال عمرو فى حديثه: ولم يقله أبو عوانة « وإن كنتم ترون غير ذلك. وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها. فيجلسون منه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين » قال: « فذلك قوله تعالى: ﴿ **توفته رسلنا وهم لا يفرطون** ﴾ [الأنعام: ٦١] قال: فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت، فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح؟ فيقال فلان، بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به إلى أبواب سماء الدنيا فيفتح له، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى إلى السماء السابعة، فيقال: اكتبوا كتابه فى عليين ﴿ **وما أدراك ما عليون ۝ كتاب مرقوم ۝ يشهده المقربون** ﴾ [المطففين: ١٩، ٢١] فيكتب كتابه فى عليين. ثم يقال: ردوه إلى الأرض فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم،

وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى، قال: فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه فى جسده، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربى الله ودينى الإسلام، فيقولان: فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول : هو رسول الله . فيقولان : وما يدريك؟ فيقول: جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت قال: وذلك قوله تعالى: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: وينادى منادى السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وأروه منزله منها ويفسح له مد بصره. ويمثل عمله له فى صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول: أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول: بشّرك الله بخير، من أنت فوجهك الوجه الذى جاء بالخير؟ فيقول: هذا يومك الذى كنت توعد، أو الأمر الذى كنت توعد أنا عملك الصالح فو الله ما علمتك إلاّ كنت سريعًا فى طاعة الله بطيئًا عن معصية الله فجزاك الله خيراً. فيقول: يا رب أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى » قال: « فإن كان فاجراً وكان فى إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة جاء ملك، فجلس عند رأسه فقال: اخرجى أيتها النفس الخبيثة أبشرى بسخط من الله وغضبه، فتنزل الملائكة سود الوجوه معهم مسوح من نار فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين، قال: فتفرق فى جسده فيستخرجها، تقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب فى الصوف المبتل، فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفة وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض، إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان بأسوأ أسمائه حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا يفتح لهم، فيقولون: ردوه إلى الأرض إنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى قال: فيرمى به من السماء. قال: وتلا هذه الآية: ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** ﴾ [الحج: ٣١]. قال: « فيعاد إلى الأرض وتعاد فيه روحه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول : لا أدرى. فيقولان: فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه فيقال: محمد، فيقول: لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك قال: فيقال: لا دريت، فيضيق عليه

قبره حتى تختلف أضلاعه. ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: من أنت فوجهك الذى جاء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فو الله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله سريعًا إلى معصية الله قال عمرو فى حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبى ﷺ: « فيقيض له أصم أبكم بيده مرزبة لو ضرب بها جبل صار ترابًا » أو قال: « رميمًا فيضربه به ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم تعاد فيه الروح فيضرب ضربة أخرى »[1] لفظ أبى داود الطيالسى وخرّج أبو عبد الرحمن النسائى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: أخرجى راضية مرضيًا عنك إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض؟ فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحًا من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ فيقولون: دعوه فإنه كان فى غم الدنيا فإذا قال: ما أتاكم؟ قالوا: ذُهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجى ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله فيخرج كأنتن ريح خبيثة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح؟ حتى يأتوا به أرواح الكفار »[2].

(فصل) :

الإيمان بعذاب القبر وفتنته: واجب. والتصديق به: لازم. حسب ما أخبر به الصادق. وأن الله تعالى يحيى العبد المكلّف فى قبره برد الحياة إليه ويجعله من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له فى قبره من كرامة أو هوان. وبهذا نطقت الأخبار عن

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده (٧٥٣)، وأحمد فى مسنده (حـ ٤ ص ٢٨٧)، والحاكم (حـ ١/ ٣٧ - ٣٩) .

(٢) صحيح أخرجه النسائى (حـ ٤ - الجنائز ص ٨) .

النبى المختار ﷺ وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أهل الملة. ولم تفهم الصحابة الذى نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه السلام غير ما ذكرنا . وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جراً.

* * * *

بابـ
اختلاف الآثار فى سعة القبر على المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم

جاء فى حديث البخارى ومسلم: «أنه يفسح له سبعون ذراعًا» وفى الترمذى: «سبعون ذراعًا فى سبعين ذراعًا»(*) وفى حديث البراء: «مد البصر» .

قلت : وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر والسؤال. وأما الكافر فلا يزال قبره عليه ضيقًا. فنسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

* * * *

بابـ
ما جاء فى عذاب القبر وأنه حق وفى اختلاف عذاب الكافرين وفى قبورهم وضيقها عليهم

قال الله تعالى: ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكًا** ﴾ [طه: ١٢٤] قال أبو سعيد الخدرى وعبد الله بن مسعود: ضنكًا. قال: عذاب القبر. وقيل فى قوله عز وجل: ﴿ **وإن للذين ظلموا عذابًا دون ذلك** ﴾ [الطور: ٤٧] هو: عذاب

(*) قوله: « سبعون ذراعًا ليس فى صحيح البخارى، وإنما زاده قتادة فى رواية مسلم (٢٨٧٠) موقوفا عليه غير موصول بالنبى ﷺ، قال الحافظ ابن حجر فى « الفتح »: « ولم أقف على هذه الزيادة موصولة من حديث قتادة » .

قلت: لكنه فى حديث الترمذى (١٠٧١) وابن حبان عن أبى هريرة بإسناد صحيح رجاله ثقات .

القبر؛ لأن الله ذكره عقب قوله: ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون﴾ [الطور: ٤٥] وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا، فدل على أن العذاب الذى هم فيه هو عذاب القبر وكذلك قال: ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [الأنفال: ٣٤] لأنه غيب. وقال: ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب ۝ النار يعرضون عليها غدواً وعشيًا ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦] فهذا عذاب القبر فى البرزخ وقال ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ [التكاثر: ٣] ما ينزل بكم من العذاب فى القبر ﴿ ثم كلا سوف تعلمون ﴾ [التكاثر: ٤] فى الآخرة إذا حل بكم العذاب فالأول فى القبر، والثانى فى الآخرة فالتكرير للحالتين .

* * * *

بابـ
ما يكون منه عذاب القبر واختلاف أحوال العصاة فيه بحسب اختلاف معاصيهم

البخارى ومسلم عن ابن عباس قال: مرّ النبى ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير. أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة. وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا »[1] وفى رواية « كان لا يستتنزه عن البول أو من البول » رواه مسلم. وفى كتاب أبى داود: « وكان لا يستنثر بوله ». وفى حديث هناد بن السرى « لا يستبرىء من البول » من الاستبراء وقال البخارى: « وما يعذبان فى كبير وإنه لكبير » .

قال المؤلف: هذا الحديث يدل على أن التخفيفَ إنما هو بمجرد نصف العسيب ما دام رطبًا لا زيادة معه. وقد خرّجه مسلم من حديث جابر الطويل، وفيه: فلما انتهى إلىّ قال: « يا جابر هل رأيت مقامى؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصنًا، فأقبل بهما حتى إذا

(١) البخارى (١٣٧٨)، ومسلم (٢٩٢) .

قمت مقامى فأرسل غصنًا عن يمينك وغصنًا عن يسارك » قال جابر: فقمت فأخذت حجرًا فكسرته وحسرته فاندلق لى فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنًا، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ فأرسلت غصنًا عن يمينى، وغصنًا عن يسارى، ثم لحقته فقلت: قد فعلت ذلك يا رسول الله فعند ذاك قال: « إنى مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتى أن يرفه عنهما. ما دام الغصنان رطبين »[١].

ففى هذه الحديث زيادة على رطوبة الغصن وهى: شفاعته ﷺ، والذى يظهر لى أنهما قضيتان مختلفتان لا قضية واحدة كما قال من تكلم على ذلك ويدل عليهما سياق الحديث، فإن فى حديث ابن عباس عسيبًا واحدًا شقه النبى ﷺ بيده نصفين وغرسهما بيده وحديث جابر بخلافه، ولم يذكر فيه ما يعذب بسببه.

البخارى عن سمرة بن جندب قال: كان النبى ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه. فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا»؟ فإن رأى أحد رؤيا قصّها فيقول: «ما شاء الله» فسألنا يومًا. فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» قلنا: لا. قال: «لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ بها رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق ليأخذه فما يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها. وفيها رجال ونساء عراة. فقلت: ماهذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان. فجعل

---

(٢) مسلم (٣٠١٢).

كلّما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان . فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا، حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان. وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى الشجرة وأدخلانى دارًا لم أر قط أحسن منها فيها شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجانى منها فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارًا هى أحسن وأفضل. فيها شيوخ وشباب قلت: طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت. قالا: نعم. الذى رأيت يشق شدقه: فكذاب يحدّث بالكذب فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة. والذى رأيته يشدخ رأسه: فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار. يُفعل به إلى يوم القيامة، وأما الذين رأيتهم فى الثقب. فهم الزناة، والذى رأيته فى النهر آكل الربا. والشيخ فى أصل الشجرة: إبراهيم. والصبيان حوله: فأولاد الناس. والذى يوقد النار: مالك خازن النار ، والدار الأولى: دار عامة المؤمنين. وأما هذه الدار: فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسى، فإذا فوقى مثل السحاب قالا: ذلك منزلك، فقلت: دعانى أدخل منزلى. قال: إنه بقى لك عمر، لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك»[١].

(فصل) :

قال علماءونا رحمة الله عليهم: لا أبينَ فى أحوال المعذبين فى قبورهم من حديث البخارى، وإن كان منامًا فمنامات الأنبياء عليهم السلام وحى بدليل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ **يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك**﴾[الصافات: ١٠٢] فأجابه ابنه: ﴿ **يا أبت أفعل ما تؤمر** ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وذكر أبو داود عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم»[٢].

(١) البخارى (١٣٨٦) .

(٢) صححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير من حديث أحمد وأبى داود .

بـاب
ما جاء فى التعوذ من عذاب القبر وفتنته

النسائى عن عائشة ﵂ قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى امرأة من اليهود. وهى تقول: إنكم تفتنون فى القبور. فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود» قالت عائشة: فلبثنا ليالى. ثم قال رسول الله ﷺ: «هل شعرت أنه أوحى إلى: إنكم تفتنون فى القبور؟» قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يستعيذ من عذاب القبر [١].

وروى الأئمة عن أسماء عنه ﷺ أنه قال: «وإنه قد أوحى إلىّ أنكم تفتنون فى القبور قريبًا، أو مثل فتنة الدجال لا أدرى أىّ ذلك؟» قالت أسماء: يؤتى بأحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن الموقن فيقول: «هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا» ثلاث مرات. ثم يقال له: «نم قد نعلم إنك لتؤمن به فنم صالحًا. وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدرى أى ذلك؟» قالت أسماء: «فيقول: لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئًا فقلت» لفظ مسلم[٢].

وخرج البخارى عن أبى هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر. ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات. ومن فتنة المسيح الدجال»[٣]. والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة جدًا أخرجها الأثبات الثقات.

* * * *

---

(١) صحيح أخرجه النسائى (حـ ٤ - الجنائز ص ١٠٤).

(٢) مسلم (٩٠٥).

(٣) البخارى (٨٣٢).

باب
ما جاء أن البهائم تسمع عذاب القبر

مسلم عن زيد بن ثابت قال: بينما النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له نحن معه إذا حادت به فكادت تلقيه. وإذا أَقبُر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: « من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟» فقال رجل: أنا. قال: «فمتى مات هؤلاء؟» قال: ماتوا فى الإشراك. فقال: «إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمعه»(١).

وخرّج أيضًا عن عائشة ﵂(٢) أنها قالت: دخلت علىّ عجوزان من عجائز يهود المدينة فقالتا: إن أهلِ القبور يعذبون فى قبورهم. قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما. فخرجتا ودخل على رسول الله ﷺ. فقلت : يا رسول الله إن عجوزين من عجائز يهود المدينة قالتا: إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم. قال النبى ﷺ : «صدقتا إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم»، قالت: فما رأيته بعد فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر. خرّجه البخارى أيضًا وقال: «تسمعه البهائم كلها»(٣)، وخرّج هناد بن السرى فى زهده.

(فصل) :

قال علماؤنا: وإنما حادت به البغلة لما سمعت من صوت المعذبين وإنما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله عليه الصلاة والسلام: «لولا أن لا تدافنوا» الحديث. فكتمه الله سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية لغلبة الخوف عند سماعه فلا نقدر على القرب من القبر للدفن أو يهلك الحى عند سماعه إذ لا يطاق سماع شىء من عذاب الله فى هذه الدار. لضعف هذه القوى، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف، أو الزلازل الهائلة هلك كثيرٌ من الناس وأين صعقة الرعد من صيحة الذى تضربه الملائكة بمطارق

---

(١) مسلم (٢٨٦٧) .

(٢) مسلم (٥٨٦) .

(٣) البخارى (٦٣٦٦) .

الحديد التى يسمعها كل من يليه؟ وقد قال ﷺ فى الجنازة: «ولو سمعها إنسان لصعق».

قلت: هذا وهو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولا هوان. فكيف إذ حل به الخزى والنكال واشتد عليه العذاب والوبال؟ فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته بمنه.

* * * *

باب
ما جاء أن الميت يسمع ما يقال

مسلم عن أنس بن مالك: أن عمر بن الخطاب حدّث عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس. يقول: «هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله». قال: فقال عمر: فو الذى بعثه بالحق نبيًا ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ. قال: فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: «يا فلان بن فلان. هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقًا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقًا؟» فقال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علىّ شيئًا». وعنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثًا. فقام عليهم فناداهم. فقال: «يا أبا جهل بن هشام. يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة. يا شيبة بن ربيعة. أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقًا!» فسمع عمر قول النبى ﷺ. فقال: يا رسول الله كيف يسمعون! وأنّى يجيبون ! وقد جيفوا؟ قال: والذى نفسى بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا» ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر(١).

---

(١) مسلم (٢٨٧٣، ٢٨٧٤).

(فصل) :

أعلم رحمك الله أن عائشة رضي الله عنها قد أنكرت هذا المعنى. واستدلت بقوله تعالى: ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ [الروم: ٥٢] وقوله: ﴿وما أنت بمسمع من فى القبور﴾ [فاطر: ٢٢] ولا تعارض بينهما؛ لأنه جائز أن يكونوا يسمعون فى وقت مّا. أو فى حال مّا فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصِّص، وقد وجد هنا بدليل ما ذكرناه- وقد تقدم- وبقوله عليه الصلاة والسلام: «إنه ليسمع قرع نعالهم» وبالمعلوم من سؤال الملكين للميت فى قبره وجوابه لهما وغير ذلك مما لا ينكر(١).

* * * *

بابـ
قوله تعالي:
﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية

مسلم عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة**﴾ قال: نزلت فى عذاب القبر. يقال له: من ربك ؟ فيقول: الله ربى. ونبيى محمد. فذلك قوله: ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾.

وفى رواية أنه قول البراء. ولم يذكر النبى ﷺ (٢).

قلت: وهذا الطريق وإن كان موقوفًا فهو لا يقال من جهة الرأى فهو محمول على أن النبى ﷺ قاله كما فى الرواية الأولى، وكما خرّجه النسائى وابن ماجة فى سننهما والبخارى فى صحيحه ، وهذا لفظ البخارى .

---

(١) هذا كلام جيد وهذه أدلة تخصص عدم سماع الموتى بهذه الحالات التى ثبت فيها سماعهم بما صح من كلام النبى ﷺ ، فالأصل أن الموتى لا يسمعون كما دلَّ عليه القرآن العظيم وكما استدلت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢) مسلم (٢٨٧١) .

حدثنا جعفر بن عمر قال: حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال: «إذ أقعد العبد المؤمن فى قبره. أتى ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله: ﴿ **يثبت الله الذى آمنوا بالقول الثابت**﴾ الآية»، وخرّجه أبو داود أيضًا فى سننه. فقال فيه عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «إن المسلم إذا سئل فى القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخر**﴾ وقد مضى هذا المعنى فى حديث البراء الطويل مرفوعًا. والحمد لله [١].

* * * *

باب
ما ينجي المؤمن
من أهوال القبر وفتنته وعذابه

روى مسلم عن سلمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان»[٢] فالرباط من أفضل الأعمال التى يبقى ثوابها بعد الموت.

والرباط يضاعف أجره لصاحبه إلى يوم القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام: «وإن مات أجرى عليه عمله» وقد جاء مفسرًا مبينًا فى كتاب الترمذى عن فضالة ابن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطًا فى سبيل الله، فإنه ينمو له عمله يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر»[٣]. قال: حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود بمعناه وقال: «ويؤمن من فتانى القبر» ولا معنى للنماء إلا المضاعفة وهى غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه، بل هى

---

(١) البخارى (٤٦٩٩)، (١٣٦٩) .

(٢) مسلم (١٩١٣) .

(٣) الترمذى (١٦٢١) .

فضل دائم من الله تعالى؛ لأن أعمال البر لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسته بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام، وهذا العمل الذى يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة .

وخرّجه ابن ماجة بإسناد صحيح عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «من مات مُرابطًا فى سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذى كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله آمنًا من الفزع الأكبر»[(١)].

مسألة الرباط: هو الملازمة فى سبيل الله. مأخوذ من ربط الخيل ثم سمى ملازم لثغر من ثغور المسلمين: مرابطًا. فارسًا كان أو راجلاً، واللفظة مأخوذة من الرباط، وقول النبى ﷺ فى منتظرى الصلاة: «فذلكم الرباط» إنما هو تشبيه بالرباط فيه مدة ما، فأما سكان الثغور دائمًا بأهلهم الذين يعمرون ويكتسبون إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما، فأما سكان الثغور دائمًا بأهلهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك، فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين. قاله علماؤنا، وقد بيناه فى كتاب الجامع لأحكام القرآن من سورة آل عمران والحمد لله.

روى النسائى عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»[(٢)].

وخرّج ابن ماجة فى سننه والترمذى فى جامعه وغيرهما عن المقدام بن معدى كرب قال: قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له فى أول دفعة. ويرى مقعده من الجنة. ويجار من عذاب القبر. ويأمن من الفزع الأكبر. ويوضع على رأسه تاج الوقار، والياقوته منه خير من الدنيا وما فيها. ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع فى سبعين من أقاربه» لفظ الترمذى، وقال : حديث حسن صحيح غريب، وقال ابن ماجة: «يغفر له فى أول

(١) صحيح أخرجه ابن ماجة (٢٧٦٧) .

(٢) صحيح أخرجه النسائى (جنائز ص ٩٩) .

دفعة من دمه. قال: ويحلى حلة الإيمان» بدل: «يوضع على رأسه تاج الوقار»[١]

وخرّج النسائى عن جامع بن شداد قال: سمعت عبد الله بن يسار يقول: كنت جالسًا عند سليمان بن صرد ، وخالد بن عرفطة فذكرا أن رجلاً مات ببطنه فإذا هما يشتهيان أن يشهدا جنازته. فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من يقتله بطنه لم يعذب فى قبره»[٢] . أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده .

(فصل) :

قلت: أعلم رحمك الله أن هذا الباب لا يعارض ما تقدم من الأبواب، بل يخصصها ويبين من لا يسأل فى قبره ولا يفتن فيه، ممن يجرى عليه السؤال، ويقاسى تلك الأهوال وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه. وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى العباد ﷺ .

* * * *

باب
ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى

البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[٣].

(فصل) :

قوله: «عرض عليه مقعده» ويروى: «عرض على مقعده» قال علماؤنا: وهذا ضرب من العذاب كبير وعندنا المثال فى الدنيا. وذلك كمن عرض عليه القتل أو

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى (١٦٦٣)، وابن ماجة (٢٧٩٩) .

(٢) صحيح أخرجه النسائى (جـ ٤ - الجنائز ص ٩٨) .

(٣) أخرجه البخارى (١٣٧٩)، ومسلم (١٢٨٦٦) .

غيره من آلات العذاب أو من يهدد به من غير أن يرى الآلة، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته. وجاء في التنزيل في حق الكافرين: ﴿ **النارُ يعرضون عليها غدوًا وعشيًا** ﴾ [غافر: ٤٦] فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخبر الصحيح في ذلك، وهل كل مؤمن يعرض على الجنان؟ فقيل: ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان، ومن أراد الله إنجاءه من النار، وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخلطين الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فله مقعدان يراهما جميعًا كما أنه يرى عمله شخصين في وقتين أو وقت واحد قبيحًا وحسنًا، وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيفما كان، والله أعلم.

ثم قيل: هذا العرض إنما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون مع جزء من البدن، ويجوز أن يكون عليه مع جميع الجسد فيرد إليه الروح كما ترد عند المسألة حين يقعده الملكان، ويقال له: أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة وكيفما كان، فإن العذاب محسوس، والألم موجود، والأمر شديد، وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلاً في النائم فإن روحه تعذَّب أو تنعم والجسد لا يحسّ بشيء من ذلك.

* * * *

باب
ما جاء أن أرواح الشهداء في الجنة

في صحيح مسلم عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم إطلاعه فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث نشاء؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا:

يا رب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[(١)].

* * * *

بـاب
كم الشهداء؟ ولم سمي شهيدًا؟
ومعنى الشهادة

خرّج الآجرى وغيره عن أبى مالك الأشجعى قال: قال رسول الله ﷺ: «من فصل فى سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد، أو وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأى حتف شاء الله إنه شهيد وإن له الجنة»[(٢)]. وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة بمعناه، عن عبد الله بن عتيك، عن النبى ﷺ.

الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المبطون، والمطعون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد فى سبيل الله عز وجل»[(٣)]. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

النسائى عن جابر: قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء سبعة- سوى القتل فى سبيل الله-: المطعون، والمبطون، والغرق، والحرق، وصاحب ذات الجنب، والذى يموت تحت الهدم، والمرأة تموت بجمع»[(٤)]، قيل: هى التى تموت من الولادة، وولدها فى بطنها قد تم خلقه، وقيل: إذا ماتت من النفاس فهى شهيدة، سواء ألقت ولدها أو ماتت وهو فى بطنها، وقيل: التى تموت بكرًا لم

---

(١) مسلم (١٨٨٧).

(٢) الحديث فى سنن أبى داود (٢٤٩٩) وفى مستدرك الحاكم (حـ ٢ ص ٧٨) وصححه على شرط مسلم من حديث أبى مالك الأشعرى هو الحارث الأشعرى لا من حديث أبى مالك الأشجعى سعد بن طارق والحديث حسنه الألبانى.

(٣) أخرجه الترمذى (١٠٦٣) بل هو فى صحيح البخارى (٢٨٢٩)، وفى صحيح مسلم (١٩١٤).

(٤) صحيح أخرجه مالك وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجة وغيرهم عن جابر بن عتيك. انظر أحكام الجنائز للألبانى (٢٩).

يمســها الرجال، وقيل: التى تموت قـبل أن تحيض وتطمث فهذه أقـوال لكل قول وجه،وفى جمع: لغتان ضم الجيم وكـسرها، وفى بعض الآثار: «المجنوب شهيد» يريد:صاحب الجنب، يقـال منه رجل جنب بكسر النون وفتح الجـيم إذا كانت به ذات الجنب وهو الشوصة .

وفى كتـاب الترمذى وأبى داود والنسائى عن سـعيد بن زيد، قال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قـتل دون ماله فهو شـهيد، ومن قتل دون دمـه فهو شهيـد، ومن قتل دون دينه فهو شهـيد، ومن قتل دون أهله فهو شـهيد»[١]. قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وروى النسائى من حديث سويد بن مـقرن قال: قال رسول الله ﷺ : «من قُتل دون مظلمته فهو شهيد»[٢].

وخرّج مسلم من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ :«من طلب الشهادة صادقًا أعطيها وإن لم تصبه»[٣] وعن سهل بن حنيـف أن النبى ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه »[٤].

(فصل):

الشهداء جمع الشاهد. والشهيد: القـتيل فى سبيل الله. كذا قال أهل اللغة: الجوهرى وغـيره وسمى بذلك لأنه مشـهود له بالجنة، فالشـهيد بمعنى مشـهود له فعيل بمعنى مـفعول، وقال ابن فارس اللـغوى فى المجمل: والشهيـد: القتيل فى سبيل الله. قالوا : لأن مـلائكة الله تشهده. وقيل : سمى شـهيدًا؛ لأن أرواحهم أحضرت دار السلام. لأنهم ﴿ **أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وأرواح غيـرهم لا تصل إلى الجنة . فالشهيـد بمعنى الشاهد أى الحاضـر للجنـة، وقيل: سمى بذلك: لسقوطه بالأرض والأرض، الشاهدة، وقيل : سمى بذلك: لشهادته

(١) صحيح أخرجه الترمذى (١٤١٨، ١٤٢١) .
(٢) صحيح أخرجه النسائى (حـ ٧ ص ١١٧) .
(٣) مسلم (١٩٠٨) .
(٤) مسلم (١٩٠٩) .

على نفسه لله عز وجل حين لزمه الوفاء بالبيعة التى بايعه فى قوله الحق ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ [التوبة: ١١١] . فاتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد فسماه شهيداً .

فأما الشهادة، فصفة سمى حاملها بالشاهد ويبالغ بشهيد، وللشهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهى: الحضور. والوعى، والأداء، أما الحضور: هو شهود الشاهد المشهود. والوعى: هو ما شاهده وعلمه فى شهوده ذلك. والأداء: هو الإتيان بالشهادة على وجهها فى موضع الحاجة إلى ذلك. هذا معنى الشهادة، والشهادة على الكمال ، إنما هى لله سبحانه وتعالى، وأن جميع الشاهدين سواه يؤدون شهادتهم عنده. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق** ﴾ [الزمر: ٦٩] والشهداء : هم العدول، وأهل العدالة فى الدنيا والآخرة هم القائمون بما أوجب الحق سبحانه عليهم فى الدنيا .

* * * *

بابـ
منــــه

روى النسائى عـن العرباض بن سارية أن رسـول الله ﷺ قال: «يختصم الشهـداء والمتوفـون على فرشهم إلى ربنـا فى الذين يتوفون من الطـاعون فيـقول الشهداء: قتلوا كما قتلنا؟ ويقول المتوفون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا؟ فيقول ربنا عز وجل: انظروا إلى جراحهم ، فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم»[1].

* * * *

---

(١) حسنه الحافظ ابن حجر فى الفتح (جـ ١٠ ص ١٩٤) .

بابـ
ما جاء أن الإنسان يبلى
ويأكله التراب إلا عجب الذنب

مسلم وابن ماجة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «ليس من الإنسان شىء يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(١) وعنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب»(٢).

(فصل) :

يقال: عجم وعجب بالميم والباء : لغتان وهو جزء لطيف فى أصل الصلب. وقيل: هو رأس العصعص كما رواه ابن أبى داود فى كتاب البعث من حديث أبى سعيد الخدرى قيل: يا رسول الله وما هو؟ قال: «مثل حبة خردل. ومنه تنشأون». وقوله: «منه خلق ومنه يركب» أى أول ما خلق من الإنسان هو، ثم إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى.

* * * *

بابـ
لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء
ولا الشهداء ، وإنهم أحياء

قال الله تعالى: ﴿ **بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون** ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ولذلك لا يغسلون ولا يصلى عليهم. ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة فى شهداء أحد وغيرهم، ليس هذا موضع ذكرها .

وخرّج أبو داود وابن ماجة فى سننهما عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ : «إنّ أفضل أيامكم يوم الجمعة. فيه خلق آدم. وفيه قبض. وفيه النفخة. وفيه الصعقة، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه. فإن صلاتكم معروضة علىّ» قالوا:

(١، ٢) مسلم (٢٩٥٥) .

يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون: بليت فقال: «إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكلَ أجساد الأنبياء»(١) لفظ أبى داود وقال ابن العربى: حديث حسن.

* * * *

باب
فى انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصعق وكم بين النفختين؟ وذكر البعث والنشر والنار

مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين- لا أدرى أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا- فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله عز وجل ريحًا باردة من قبل الشمال، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى إن أحدكم لو دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دارٌّ رزقهم، حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا» قل: «فأول من يسمعهم رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس» ثم قال: «يرسل الله»، أو قال «ينزل الله مطرًا كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس ﴿**ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**﴾ [الزمر: ٦٨] ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ﴿**وقفوهم إنهم مسئولون**﴾ [الصافات: ٢٤] ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» قال: « فذلك يوم يجعل الولدان شيبًا وذلك يوم يكشف عن ساق»(٢).

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود وابن ماجة والحاكم وصححه ووافقه الذهبى. انظر«خصائص يوم الجمعة» للسيوطى بتحقيقنا (٦٦) .

(٢) مسلم (٢٩٤٠) .

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعين يومًا ؟ قال: أبيت ؟ قالوا: أربعين شهرًا ؟ قال: أبيت . قالوا: أربعين عامًا؟ قال أبيت، ثم ينزل الله من السماء ماء ينبتون كما ينبت البقل قال : « وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا» وفى رواية «لا تأكله الأرض أبدًا » وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة[1] .

(فصل) :

هذا الحديثان مع صحتهما فى غاية البيان فيما ذكرناه ، ويأتى ذكر الدجال مستوعبًا فى الأشراط. إن شاء الله تعالى. وأصغى معناه: أمال. ليتًا يعنى صفحة العنق. ويلوط معناه: يطين ويصلح، وقول أبى هريرة: أبيت. فيه تأويلان:

الأول: أبيت أى امتنعت من بيان ذلك وتفسيره وعلى هذا كان عنده علم من ذلك أى سمعه من النبى ﷺ.

الثانى : أبيت أى أبيت أن أسأل عن ذلك النبى ﷺ وعلى هذا لم يكن عنده علم من ذلك. والأول أظهر وإنما لم يبينه لأنه لم ترهق لذلك حاجة، ولأنه ليس من البينات والهدى الذى أمر بتبليغه، وفى البخارى عنه أنه قال: حفظت وعاءين من علم فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم ، قال أبو عبد الله : البلعوم: مجرى الطعام، وقد جاء أن بين النفختين أربعين عامًا، والله أعلم.

* * * *

---

(١) مسلم (٢٩٥٥) .

بابـ
في قول الله تعالي:

﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله﴾

وهم الملائكة ، أو الشهداء، أو الأنبياء، أو حملة العرش، أو جبريل، أو ميكائيل، أو ملك الموت. صعق: مات .

روى الأئمة عن أبى هريرة قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذى اصطفى موسى على البشر. فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه. قال: تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ ؟ فذكرت ذلك لرسول الله قال: «قال الله عز وجل : **﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾** [الزمر: ٦٨] فأكون أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى. أو كان ممن استثنى الله. ومن قال: «أنا خير من يونس بن متى: فقد كذب»[1].

(فصل) :

واختلف العلماء فى المستثنى: من هو؟ فقيل: الملائكة. وقيل: الأنبياء. وقيل الشهداء واختاره الحليمى قال: وهو مروى عن ابن عباس أن الاستثناء لأجل الشهداء. فإن الله تعالى يقول: **﴿ أحياءٌ عند ربهم يرزقون ﴾** [آل عمران: ٦٩] وضعف غيره من الأقوال على ما يأتى وقال شيخنا أبو العباس: والصحيح أنه لم يرد فى تعيينهم خبر صحيح. والكل محتمل.

قلت : قد ورد حديث أبى هريرة بأنهم الشهداء وهو الصحيح .

* * * *

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجة (٤٢٧٤)، والترمذى (٣٢٤٥)، كما أخرجه البخارى (٧٤٢٧)، مسلم (٢٣٧٣) بمعناه .

بـاب
يفني العباد ويبقي الملك الله وحده

البخارى ومسلم عن أبى هريرة قـال: قال رسول الله ، : «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»(١).

وعن عبدالله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكى رسول الله ، قال: «يأخذ الله سماواته بـيديه. فيقول: أنا الله ويقبض أصابعه ويبـسطها فيقول: «أنا الملك» حـتى نظرت إلى المنبر يتـحرك من أسـفل حتى إنى أقول: أسـاقط هو برسول الله ﷺ (٢).

(فصل) :

هذه الأحاديث تدل على أن الله سبحانه يفنى جميع خلقه أجمع كما تقدم ثم يقول الله عـز وجل: ﴿ **لمن الملك اليـوم** ﴾ [غافر: ١٦] فجيب نفســه المقدسة بقوله: ﴿**لله الواحد القهار** ﴾ .

وقيل: إن المنادى يـنادى بعد حشـر الخلق على أرض بيضـاء مثل الفـضة لم يعص الله عليها على مايأتى ﴿**لمن الملك اليوم**﴾ فيجيبه العباد ﴿**لله الواحد القهار**﴾. رواه أبو وائل عن ابن مسعود واخـتاره أبوجعفر النحاس قـال: والقول صحيح عن ابن مسعود وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل .

قال المؤلف ﷺ : والقول الأول أظهر لأن المقـصود انفرداه تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين وانتساب المنتسـبين. إذ قد ذهب كل ملك وملكه وكل جبار ومتكبر وملكه، وانقطعت نسبتهم ودعاويهم وهذا أظهر. وهو قول الحسن ومحمد ابن كعب وهو مقتضى قوله الحق: «أنا الملك أين ملوك الأرض؟».

* * * *

---

(١) البخارى (٦٥١٩، ٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧) .

(٢) مسلم (٢٧٨٨) .

باب
البرزخ

روى هناد بن السرى قال: حدثنا محمد بن فضيل، ووكيع عن فطر قال: سألت مجاهدًا عن قول الله تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [المؤمنون: ١٠٠] قال: هو ما بين الموت والبعث. وقيل للشعبى: مات فلان. قال: ليس هو فى الدنيا ولا فى الآخرة هو فى برزخ ، والبرزخ فى كلام العرب الحاجز بين الشيئين. ومنه قوله تعالى: ﴿ وجعل بينهما برزخًا ﴾ [الفرقان: ٥٣] أى : حاجزًا وكذلك هو فى الآية من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل فى البرزخ وقوله تعالى: ﴿ ومن ورائهم برزخ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] أى من أمامهم وبين أيديهم.

* * * *

باب
ذكر النفخ الثاني للبعث في الصور

قال الله عز وجل: ﴿ يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة ﴾ [الأنعام: ٧٣] وقال: ﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وقال: ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ [الزمر: ٦٨] وقال: ﴿ يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجًا ﴾ [النبأ: ١٨] وسماه الله تعالى بالناقور. فى قوله تعالى: ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾ [المدثر: ٨] .

قال المفسرون: الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق على ما يأتى بيانه، قال الله تعالى مخبرًا عن كفار قريش: ﴿ ما ينظرون ﴾ [يس: ٤٩] أى ما ينتظرون كفار آخر هذه الأمة الدائنون بدين أبى جهل وأصحابه- إلا صيحة واحدة- يعنى النفخة الأولى التى يكون بها هلاكهم: ﴿ تأخذهم وهم يخصمون ﴾ [يس: ٤٩] أى يختصمون فى أسواقهم وحوائجهم. قال الله : ﴿لا تأتيكم إلا بغته﴾ [الأعراف:١٨٧] ﴿ فلا يستطيعون ﴾ أى أن يوصوا: ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ [يس: ٥٠]، أى من أسواقهم وحيث كانوا ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴾ [يس: ٢٩] ، ﴿ ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث ﴾ [يس: ٥١] النفخة هى النفخة الثانية

نفخة البعث. والصور: قرن من نور يجعل فيه الأرواح يقال: إن فيه من الثقب على عدد أرواح الخلائق على ما يأتى. قال مجاهد: هو كالبوق ذكره البخارى، فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده ﴿ **فإذا هم من الأجداث** ﴾ أى القبور ﴿ **ينسلون** ﴾ أى يخرجون سراعًا يقال: نسل ينسل وينسل بالضم أيضًا: إذا أسرع فى مشيه فالمعنى يخرجون مسرعين وفى الخبر: أن بين النفختين أربعين عامًا. وسيأتى . وفى البخارى عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿**فإذا نقر فى الناقور**﴾ [المدثر: ٨] : الصور : قال: (والراجفة) النفخة الأولى (والرادفة) الثانية .

* * * *

باب
منه في صفة البعث وما آية ذلك في الدنيا وأول ما يخلق من الإنسان رأسه

قال الله تعالى: ﴿ **وهو الذى يُرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابًا ثقالاً سقناه إلى بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** ﴾ [الأعراف: ٥٧] وقال سبحانه: ﴿ **الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه فى السماء كيف يشاء** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها** ﴾ [الروم: ٤٩]. ﴿ **وكذلك النشور** ﴾ [فاطر: ٩] . والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

وخرّج أبو داود الطيالسى والبيهقى وغيرهما عن أبى رزين العقيلى قال: قلت: يا رسول الله : كيف يعيد الله الخلق؟ وما آية ذلك فى خلقه؟ قال: «أما مررت بوادى قومك جدبًا، ثم مررت به يهتز خضراً»؟ قال: نعم. قال: «فتلك آية الله فى خلقه»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده برقم (١٠٨٩)، وفى إسناده وكيع بن عدس أو ابن حدس الذى يرويه عن عمه أبى رزين العقيلى قال فيه ابن قتيبة: غير معروف وقال ابن القطان: مجهول الحال وذكره ابن حبان فى الثقات لكن الحديث على ضعف إسناده يوافق معناه معنى الآيات الكريمة التى ذكرت قبله ولهذا أثبتناه على سبيل الاستئناس .

قلت : هذا حديث صحيح لأنه موافق لنص التنزيل والحمد لله .

* * * *

باب
يبعث كل عبد على ما مات عليه

مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»(١) . وعن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أراد الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على نياتهم» خرّجه البخارى. ولفظ البخارى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا أنزل الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم»(٢).

مالك ، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لا يُكلَم أحد فى سبيل الله- والله أعلم بمن يكلم فى سبيله- إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا اللون لون الدم ، والعرف عرف المسك» خرّجه البخارى ومسلم(٣).

أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال: يا رسول الله ، أخبرنى عن الجهاد والغزو. فقال: «يا عبد الله إن قتلت صابرًا محتسبًا بعثت صابرًا محتسبًا. وإن قتلت مرائيًا مكاثرًا بعثت مرائيًا مكاثرًا على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال»(٤).

مسلم عن ابن عباس أن رجلاً كان مع رسول الله ، محرمًا فوقصته ناقته فمات فقال رسول الله ﷺ : «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه فى ثوبه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا» وفى رواية «ملبدًا» أخرجه البخارى(٥).

---

(١) مسلم (٢٨٧٩) .

(٢) البخارى (٧١٠٨) .

(٣) البخارى (٢٨٠٣) من طريق مالك ومسلم بنحوه (١٨٧٦) من غير طريق مالك .

(٤) أبو داود (٢٥١٩) .

(٥) مسلم (حج/ ٩٨) والبخارى (١٢٦٨) .

مسلم، وابن ماجة عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله : «النياحة من أمر الجاهلية. وإن النائحة إذا ماتت قطّع الله لها ثيابًا من نار ودرعًا من لهب النار» لفظ ابن ماجة. وقال مسلم: «تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»(١).

ابن ماجة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «النياحة على الميت من أمر الجاهلية. وإن النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران، ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار»(٢).

* * * *

باب
أين يكون الناس؟

﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ [إبراهيم: ٤٨]

مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليكم يا محمد وذكر الحديث وفيه فقال اليهودى: أين يكون الناس ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات**﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم فى الظلمة دون الجسر»(٣).

وخرّج مسلم أيضًا وابن ماجة جميعًا قالا: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا على بن مسهر، عن داود بن أبى هند، عن الشعبى، عن مسروق، عن عائشة قالت: سُئل رسول الله عن قوله تعالى: ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط»(٤).

وأخرجه الترمذى قال: حدثنا ابن أبى عمر قال: حدثنا سفيان عن داود بن

---

(١) مسلم (٩٣٤)، وابن ماجة (١٥٨١).
(٢) صحيح أخرجه ابن ماجة (١٥٨٢).
(٣) مسلم (٣١٥).
(٤) مسلم (٢٧٩١)، وابن ماجة (٤٢٧٩).

هند، عن الشعبى، عن مسروق، عن عائشة قالت: يا رسول الله ﴿ **والأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾ [الزمر: ٦٧] فأين يكون المؤمنون يومئذ ؟ قال: « على الصراط يا عائشة» قال: هذا الحديث حسن صحيح(١).

وخرج عن مجاهد قال: قال ابن عباس: أتدرى ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال: أجل والله ما تدرى . حدثتنى عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿ **والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾ قال: فقلت: فأين الناس يا رسول الله؟ قال: على جسر جهنم» قال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه(٢).

(فصل) :

هذه الأحاديث نصّ فى أن الأرض والسموات تبدّل ويخلق الله أرضًا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط. لا كما قال كثير من الناس أن تبدل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها ومد أرضها .

وأما تبديل السماء فقيل: تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها. قاله ابن عباس وقيل: اختلاف أحوالها فتارة كالمهل، وتارة كالدهان. حكاه ابن الأنبارى. وقال كعب: تصير السماء دخانًا، وتصير البحار نيرانًا، وقيل تبديلها: أن تطوى كطى السجل للكتاب، وذكر أبو الحسن شبيب بن إبراهيم بن حيدرة فى كتاب الإفصاح له: أنه لا تعارض بين هذه الآثار، وأن الأرض والسماوات تبدل كرتين إحداهما هذه الأولى وأنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق فتنتثر أولاً كواكبها ، وتكسف شمسها وقمرها وتصير كالمهل، ثم تكشط عن رؤوسهم، ثم تسير الجبال ثم تموج الأرض، ثم تصير البحار نيرانًا، ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر فتصير الهيئة غير الهيئة، والبنية غير البنية ، ثم إذا نفخ فى الصور نفخة الصعق طويت السماء ودحيت الأرض، وبدلت السماء سماء أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿**وأشرقت**

---

(١) الترمذى (٣١٢١) .

(٢) الترمذى (٣٢٤١) .

الأرض بنور ربها﴾ [الزمر: ٦٩] وبدلت الأرض: وأعيدت كما كانت فيها القبور.. والبشر على ظهرها وفى بطنها .

* * * *

باب
الحشر ومعناه الجمع

وهو على أربعة أوجه : حشران فى الدنيا وحشران فى الآخرة .

والحشر الأول: أما الذى فى الدنيا فقوله تعالى: **﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾** قال الزهرى: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم فى الدنيا .

والحشر الثاني: ما رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا» أخرجه البخارى أيضًا[١] .

وقال قتادة: الحشر الثانى نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل منهم من تخلف، قال القاضى عياض: هذا الحشر فى الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها كما ذكره مسلم بعد هذا فى آيات الساعة. قال فيه: وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تزجر الناس، وفى رواية تطرد الناس إلى محشرهم، وفى حديث آخر: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ويدل على أنها قبل يوم القيامة. قوله: فتقيل معهم حيث قالوا، وتمسى معهم حيث أمسوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا. قال وفى بعض الروايات فى غير مسلم فإذا سمعتم به فاخرجوا إلى الشام كأنه أمر بسبقها إليه قبل إزعاجها لهم .

---

(١) مسلم (٢٨٦١)، والبخارى (٦٥٢٢) .

والحشر الثالث: حشرهم إلى الموقف على ما يأتـى بيانه فى الباب بعد هذا إن شاء الله قال الله تعالى: ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ [الكهف: ٤٧] .

والحشر الرابع: حشرهم إلى الجنة والنار. قال الله تعالى: ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ﴾[مريم: ٨٥] أى ركبـانًا على النجب، وقيل: على الأعمال كـما تقدم. وقـد وردت أخبار منها مـا رواه النعمان بن سعـد عن على رضي الله عنه فى قوله تعالى: ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ قال : أما إنهم ما يحشرون على أقدامـهم ولا يساقون سـوقًا، ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لـم تنظر الخلائق إلى مثلهـا رحالها الذهب، وأزمـتها الزبرجد فـيقعدون عـليها حتى يقـرعوا باب الجنة، وسمى المتقـون (وفدًا) لأنهم يسقون الناس إلى حيث يدعـون إليه فهم لا يتباطئون، لكنهم يجدّون ويسرعـون والملائكة تتلقاهم بالبشارات. قال الله تعالى: ﴿ وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فيزيدهم ذلك إسراعًا وحق للمتـقين أن يسبقوا لسبقـهم فى الدنيا بالطاعات ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا ﴾ [مريم: ٨٦] أى عطاشًا. وقال: ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا ﴾ [طه: ١٠٢] وقال: ﴿ ونحشرهـم يوم القيامة على وجـوههم عميًا وبكمًـا وصمًا ﴾ [الإسراء: ٩٧] وقال: ﴿ الذين يحشـرون على وجوههم إلى جهـنم أولئك شرٌ مكانًا وأضلُ سبيلاً ﴾ [الفرقان: ٣٤] .

مسلم عن أنس أن رجـلاً قال يا رسول الله: الذين يحشـرون على وجوههم أيحـشر الكافـر على وجـهه؟ قـال رسول الله ﷺ : «ألـيس الذى أمشـاه على الرجلين قادرًا أن يمشيـه على وجهه يوم القيامة» قال قتـادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا. أخرجه البخارى أيضًا[١] .

(فصل) :

قال أبو حامد: وذكـر هذا الفصل وفى طبع الآدمى إنكار ما لم يأنس به ولم يشاهده ولو لم يشاهـد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها لأنـكر المشى من غير رجل، والمشى بالرجل أيضًا مستبعـد عند من لم يشاهد ذلك، فإياك أن تنكر شيئًا

---

(١) مسلم (٢٨٠٦)، والبخارى فى التفسير (سورة الفرقان) .

من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا(*) فإنك لو لم تشاهد عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارًا لها ، فاحضر رحمك الله فى قلبك صورك ، وأنت قد وقفت عاريًا ذليلاً مدحورًا متحيرًا مبهوتًا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء.

* * * *

باب
بيان الحشر إلى الموقف

مسلم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ : «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيه علم لأحد »[1].

* * * *

باب
الجمع بين آيات وردت في الكتاب فى الحشر ظاهرها التعارض

منها قوله تعالى: ﴿ **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم** ﴾ [يونس: ٤٥] وقال تعالى: ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا** ﴾ [الإسراء: ٩٧] وفى آية ثالثة أنهم يقولون: ﴿ **يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا** ﴾ [يس: ٥٢] وهذا كلام وهو مضاد للبكم والتعارف: تخاطب وهو مضاد للصم والبكم معًا، وقال تعالى : ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين**﴾ [الأعراف: ٦] والسؤال لا يكون إلا بالإسماع وإلا لناطق يتسع للجواب وقال: ﴿**ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا**﴾ [طه: ١٠٢] وقال: ﴿ **فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون** ﴾ [يس: ٥١] وقال : ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم**

(*) لا يحل إنكار شيء من عجائب يوم القيامة ولكن بشرط أن يبلغنا ذكره بالخبر الصحيح إلى النبى ﷺ .

(١) مسلم (٢٧٩٠) .

إلى نصب يوفضون ﴾ [المعارج: ٤٣] والنسلان والإسراع مخالفان للحشر على الوجوه .

والجواب : لمن سأل عن هذا الباب أن يقال له : إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم ، فليست حالهم حالة واحدة ولا موقفهم ولا مقامهم واحدًا ولكن لهم مواقف وأحوال واختلفت الأخبار عنهم لاختلاف مواقفهم وأحوالهم وجملة ذلك أنها خمسة أحوال: حال البعث من القبور، والثانية: حال السوق إلى موضع الحساب، والثالثة: حال المحاسبة، والرابعة: حال السوق إلى دار الجزاء، والخامسة: حال مقامهم فى الدار التى يستقرون فيها .

فأما حال البعث من القبور: فإن الكفار يكونون كاملى الحواس والجوارح لقول الله تعالى: ﴿ **يتعارفون بينهم** ﴾ [يونس: ٤٥] وقوله : ﴿ **يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً** ﴾ [طه:١٠٢] وقوله : ﴿ **فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ [الزمر: ٦٨] وقوله : ﴿**قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين**﴾ إلى قوله: ﴿**ترجعون**﴾ [المؤمنون: ١٢٢، ١١٥].

والحالة الثانية: حال السوق إلى موضع الحساب وهم أيضًا فى هذه الحال بحواس تامة لقوله عز وجل: ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ماكانوا يعبدون (٢٢) من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم (٢٣) وقفوهم إنهم مسئولون** ﴾ [الصافات: ٢٢:٢٤] ومعنى ﴿ **فاهدوهم**﴾ أى دلوهم ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع وألسنة ناطقة .

والحالة الثالثة: وهى حالة المحاسبة وهم يكونون فيها أيضًا كاملى الحواس ليسمعوا ما يقال لهم ويقرأوا كتبهم الناطقة بأعمالهم وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم، فيسمعونها وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون: ﴿ **ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ [فصلت: ٢١] وليشاهدوا أحوال القيامة وما كانوا مكذبين فى الدنيا به من شدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها .

وأما الحالة الرابعة: وهى السوق إلى جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم لقوله تعالى: ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا مأواهم جهنم** ﴾ [الإسراء: ٩٧] ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿ **يعرف**

المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام ﴾ [الرحمن: ٤١] وإشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق .

والحالة الخامسة: حال الإقامة فى النار. وهذه الحالة تنقسم إلى بدو ومآل. فبدوها أنهم إذا قطعوا المسافة التى بين موقف الحساب وشفير جهنم عميًا وبكمًا وصمًا إذلالاً لهم تمييزًا عن غيرهم، ثم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار، ما أعد الله لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب وكل ما كانوا به مكذبين، فيستقرون فى النار ناطقين سامعين مبصرين ولهذا قال الله تعالى: ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى ﴾ [الشورى: ٤٥] وقال: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ [الانعام: ٢٧] وقال: ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ﴾ إلى قوله: ﴿ وقالت أولاهم لأخراهم ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩] وقال: ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ۝ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ﴾ [الملك: ٨،٩] وأخبر تعالى أنهم ينادون أهل الجنة فيقولون: ﴿ أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ [الأعراف: ٥٠] وأهل الجنة ينادونهم :﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا قالوا نعم ﴾ فيقول لهم :﴿ إنكم ماكثون ﴾ [الزخرف: ٧٧] وأنهم يقولون لخزانة جهنم : ﴿ ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب ﴾ [غافر: ٤٩] فيقولون لهم : ﴿ أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ [غافر: ٥٠] . وأما العقبى والمآل فإنهم إذا قالوا : ﴿أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فقال الله تعالى: ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وكتب عليهم الخلود بالمثل الذى يضرب لهم وهو أن يؤتى بكبش أملح ويسمى الموت، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار وينادوا: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت سلبوا فى ذلك الوقت أسماعهم؛ وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام، لكن سلب السمع يقين، لأن الله تعالى يقول: ﴿ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾ [الأنبياء: ١٠٠] فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلى الزفير والشهيق، ويحتمل أن تكون الحكمة فى سلب الأسماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه على

ألسنة رسله فلم يجيبوه بل حجدوه، وكذبوا به بعد قيام الحجة عليهم بصحته، فلما كانت حجة الله عليهم فى الدنيا الاستماع عاقبهم على كفرهم فى الأخرى بسلب الأسماع يبين ذلك أنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ : وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وإن قوم نوح عليه السلام كانوا يستغشون ثيابهم تسترًا منه لئلا يروه ولا يسمعوا كلامه وقد أخبر الله تعالى عن الكفار فى وقت نبينا محمد ﷺ مثله فقال: «ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم وإن سلبت أبصارهم فأنهم أبصروا الغير فلم يعتبروا والنطق فلأنهم أوتوه فكفروا، فهذا وجه الجمع بين الآيات على ما قاله علماؤنا ، والله أعلم.

* * * *

بـاب
ما جاء في حشر الناس إلي الله عز وجلّ حفاة عراة غرلاً وفي أول من يكسى منهم وفى أول ما يتكلم من الإنسان

مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غـرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ألا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه يؤتى برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابى فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ **وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **العزيز الحكيم** ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨] قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»(١). أخرجه البخارى أيضًا والترمذى .

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن النبى ﷺ فى حديث ذكره قال: وأشار بيده إلى الشام فقال: «ههنا تحشرون ركبانًا ومشاة وتجرون على وجوهكم يوم

---

(١) مسلم (الجنة/ ٥٨)، والبخارى (٦٥٢٦)، والترمذى (٢٤٢٣) .

القيامة أفواهكم الفدام توفون سبعين أمة أنتم خيرهم على الله وأكرهم على الله، وإن أول ما يعرب عن أحدكم فخذه» وفى رواية أخرى ذكرها ابن أبى شيبة: «وإن أول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه» (١).

(فصل):

قوله: (غرلاً) أى غير مختونين، النقى: الحوارى وهو الدرمك من الدقيق، والعفر بياض ليس بخالص يضرب إلى الحمرة قليلاً، والفدام: مصفاة الكوز والإبريق. قاله الليث. قال أبو عبيدة: يعنى أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم، فشبه ذلك بالفدام الذى يجعل على الإبريق وقوله: « أول من يكسى إبراهيم» فضيلة عظيمة لإبراهيم وخصوص له كما خص موسى عليه السلام بأن النبى ﷺ يجده معلقًا بساق العرش مع أن النبى ﷺ أول من تنشق عنه الأرض، ولا يلزم من هذا أن يكون أفضل منه مطلقًا، بل هو أفضل من وافى القيامة على ما يأتى بيانه فى أحاديث الشفاعة والمقام المحمود إن شاء الله تعالى.

* * * *

باب
منه وبيان قوله تعالي:
﴿ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾

مسلم عن عائشة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً» قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»(٢).

الترمذى عن ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ قال: «تحشرون حفاة عراة غرلاً» فقالت امرأة: أيبصر بعضنا أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: «يا فلانه لكل أمرىء

---

(١) انظر مسند أحمد (حـ ٥ ص ٥) ومستدرك الحاكم (حـ ص ٤٤٠) وسنن الترمذى (٢٤٢٤، ٣١٤٣).

(٢) مسلم (٢٨٥٩)، وأخرجه البخارى (٦٥٢٧).

منهم يومئذ شأن يغنيه» قال: حديث حسن صحيح[١] .

(فصل) :

قلت: هذا الباب والذى قبله يدل على أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً أى غير مختونين كما بدأنا أول خلق نعيده. قال العلماء: يحشر العبد غدًا وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه عضو يرد فى يوم القيامة حتى الختان.

* * * *

باب
قول النبى ﷺ من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ
﴿إذا الشمس كورت﴾ و ﴿إذا السماء انفطرت﴾ و ﴿إذا السماء انشقت﴾
وفى أسماء يوم القيامة

الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: **﴿إذا الشمس كورت﴾** و **﴿إذا السماء انفطرت﴾** و **﴿ إذا السماء انشقت ﴾** » قال: هذا حديث حسن[٢].

(فصل) :

قلت : وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها وتكور شمسها وانكدار نجومها وتناثر كواكبها إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها، وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم بعد نشر صحفهم وقراءة كتبهم وأخذها بأيمانهم وشمائلهم أو من وراء ظهورهم فى موقفهم على ما يأتى بيانه. قال الله تعالى: **﴿إذا السماء انشقت﴾** وقال : **﴿إذا السماء انفطرت﴾** وقال: **﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام﴾** [الفرقان: ٢٥] فتراها واهية منفطرة متشققة كقوله تعالى: **﴿ وفتحت السماء فكانت أبوابًا﴾** [النبأ: ١٩] .

---

(١) الترمذى (٣٣٣٢) .

(٢) الترمذى (٣٣٣٣) .

وقوله تعالى: ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ قال ابن عباس ﷺ: تكويرها إدخالها فى العرش. وقيل: ذهاب ضوئها. قاله الحسن وقتادة. وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد. وقال أبو عبيدة: كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى، وقال الربيع ابن خيثم: كورت رمى بها ومنه كورته فتكور أى سقط.

قلت: وأصل التكوير الجمع مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أى لاتها وجمعها فهى تكور ثم يمحى ضوءها ثم يرمى بها والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ [التكوير:٢] أى انتثرت قيل: تناثر من أيدى الملائكة لأنهم يموتون. وفى الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدى الملائكة. وقال ابن عباس ﷺ: انكدرت: تغيرت، وأصل الانكدار الانصباب فتسقط فى البحار فتصير معها نيرانًا إذا ذهبت المياه.

وقوله: ﴿ **وإذا الجبال سيرت** ﴾ [التكوير: ٣] هو مثل قوله: ﴿ **ويوم نسير الجبال**﴾ [الكهف: ٤٧] أى تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيبًا مهيلاً أى رملاً سائلاً وتكون كالعهن، وتكون هباء منبثًا، وتكون سرابًا مثل السراب الذى ليس بشىء، وقيل: إن الجبال بعد اندكاكها أنها تصير كالعهن من حرِّ جهنم كما تصير السماء من حرها كالمهل .

قوله: ﴿ **وإذا العشارُ عطلت** ﴾[التكوير:٤] أى عطّلها أهلها فلم تحلب من الشغل بأنفسهم. والعشار: الإبل الحوامل واحدها عشراء وهى التى أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع، وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز ما يكون على العرب، فأخبر أنه تعطل يوم القيامة. ومعناه: أنهم إذا قاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضًا ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التى كانت أنفس أموالهم لم يعبئوا بها ولم يهمهم أمرها، ويحتمل تعطل العشار إبطال الله تعالى أملاك الناس عما كان ملكهم إياها فى الدنيا، وأهل العشار يرونها فلا يجدون إليها سبيلاً. وقيل: العشار: السحاب يعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر. وقيل: العشار الديار تعطل فلا تسكن. وقيل: الأرض التى يعشر زرعها تعطل فلا تزرع. والقول الأول أشهر وعليه من الناس الأكثر.

وقوله: ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ [التكوير:١٢] أي جمعت والحشر: الجمع وقد تقدم.

وقوله: ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ [التكوير:١٣] أي أوقدت وصارت نارًا. رواه الضحاك عن ابن عباس ﷺ وقال قتادة: غار ماؤها فذهب، وقال الحسن والضحاك: فاضت. قال ابن أبي زمنين: ﴿ سجرت ﴾ حقيقته ملئت فيفضى بعضه إلى بعض فتصير شيئًا واحدًا وهو معنى قول الحسن.

قوله: ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ [التكوير: ٧] تفسير الحسن: أن تلحق كل شيعة شيعتها اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئًا يلحق بعضهم ببعض والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين. وقال عكرمة: المعنى تقرن بأجسادها أى ترد إليها. وقيل: يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان. وقيل: يقرن المؤمنون بالحور العين والكافرون بالشياطين.

وقوله: ﴿ وإذا الموؤدة سئلت ﴾ [التكوير:٨] يعنى بنات الجاهلية كانوا يدفنونهن أحياء لخصلتين.

إحداهما: كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به .

الثانية : مخافة الحاجة والإملاق وسؤال الموؤدة على وجه التوبيخ لقاتلها كما يقال للطفل إذا ضرب: لم ضربت وما ذنبك؟ وقال الحسن: أراد الله أن يوبخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب وبعضهم يقرأ: ﴿ وإذا الموؤدة سئلت ﴾ تعلق الجارية بأبيها فتقول: بأى ذنب قتلتنى؟ وقيل: معنى سئلت يسأل عنها كما قال: ﴿ إن العهد كان مسؤولاً ﴾ .

وقوله: ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ [التكوير:١٠] أى للحساب وسيأتى.

وقوله: ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ [التكوير:١١] قيل معناه طويت كما قال الله تعالى: ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أى كطى الصحيفة على ما فيها فاللام بمعنى (على) يقال: كشطت السقف أى قلعته فكان المعنى قلعت فطويت. والله أعلم . والكشط والقشط سواء وهو القلع .

وقوله: ﴿ **وإذا الجحيم سعرت** ﴾ [التكوير: ١١] أى أوقدت .

وقوله : ﴿ **وإذا الجنة أزلفت** ﴾ [التكوير: ١٠] أى قربت لأهلها وأدنيت: ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾ أى من عمله وهو مثل قوله: ﴿ **علمت نفس ما قدمت وأخرت** ﴾ [الانفطار: ٥] ومثل قوله: ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر** ﴾ [القيامة: ١٣] فهو يوم الانشقاق ويوم الانفطار ويوم التكوير ويوم الانكدار ويوم الانتثار ويوم التسيير قال الله تعالى: ﴿ **وتسير الجبال سيراً** ﴾ [الطور: ١٠] ﴿**وإذا الجبال سيرت**﴾ [التكوير: ٣] ويوم التعطيل ويوم التسجير ويوم التفجير ويوم الكشط والطى ويوم المد لقوله تعالى: ﴿ **وإذا الأرض مدت** ﴾ [الانشقاق: ٣] إلى غير ذلك من أسماء القيامة وهى الساعة الموعود أمرها ولعظمها أكثر الناس السؤال عنها لرسول الله ﷺ حتى أنزل الله عز وجل على رسوله: ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم، وله نظائر. فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى فى كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة. منها ما ذكرناه، مما وقع فى هذه السور الثلاث .

ومنها الساعة قال الله تعالى: ﴿ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** ﴾ [الروم: ٥٥] وقال: ﴿ **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون** ﴾ [الروم: ١٢]. ﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** ﴾ [الروم: ١٤] وقال: ﴿ **ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ [غافر: ٤٦] وهو فى القرآن كثير .

ومنها: يوم النفخة. قال الله تعالى: ﴿ **يوم ينفخ فى الصور** ﴾ .

ومنها: يوم الزلزلة ويوم الرجفة. قال الله تعالى : ﴿ **يوم ترجف الراجفة ۝ تتبعها الرادفة** ﴾ [النازعات: ٦] وقد تقدم .

ومنها: يوم الناقور كقوله تعالى: ﴿ **فإذا نقر فى الناقور** ﴾ [المدثر: ٨] .

ومنها: القارعة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها يقال: قد أصابتهم قوارع الدهر أى أهواله وشدائده.

ومنها: يوم النشور وهو عبارة عن الإحياء. يقال: قد أنشر الله الموتى فنشروا أى أحياهم الله فحيوا ومنه قوله تعالى: ﴿ **وانظر إلى العظام كيف ننشزها** ﴾ [البقرة:٢٥٩] أى نحييها ، وقد يكون معناه التفريق من ذلك قولك أمرهم نشر.

ومنها: يوم الخروج قال الله تعالى: ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعًا**﴾ [المعارج:٤٣] فأوله الخروج من القبور وآخره خروج المؤمنين من النار ثم لا خروج ولا دخول على ما يأتى .

ومنها: يوم الحشر وهو عبارة عن الجمع، وقد يكون مع الفعل إكراه قال الله تعالى: ﴿ **فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين** ﴾ [الشعراء:٥٣] أى من يسوق السحرة كرهًا وقد مضى القول فى الحشر مستوفى والحمد لله.

ومنها : يوم العرض قال الله تعالى: ﴿**يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**﴾ [الحاقة:١٨] وقال: ﴿ **وعرضوا على ربك صفًا** ﴾ [الكهف: ٤٨] وحقيقته إدراك الشيء بإحدى الحواس ليعلم حاله وغايته السمع والبصر فلا يزال الخلق قيامًا فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما شاء الله أن يقوموا حتى يلهموا أو يهتموا. فيقولون: قد كنا نستشفع فى الدنيا فهلم فلنسأل الشفاعة إلى ربنا فيقولون: ائتو آدم الحديث وسيأتى.

قال ابن العربى: وفى كيفية العرض أحاديث كثيرة المعول منها على تسعة أحاديث فى تسعة أوقات:

الأول: الحديث المشهور الصحيح رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى ﵄ واللفظ له قال: إن ناسا فى زمن النبى ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : «هل تضارون فى رؤية الشمس الظهيرة صحوًا ليس معها سحاب، وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوٌ ليس فيه سحاب» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما. إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبَّر أهل الكتاب،

فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنهاسراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون فى النار، حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها. قال: فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا مرتين أو ثلاثًا. حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ، فيقولون: نعم. يكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقًا ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى الصورة التى رأوه فيها أول مرة. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم(١).

الثاني: صح من حديث عائشة رضي الله عنها أنه قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نوقش الحساب عذب» قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيراً** ﴾ [الانشقاق: ٨] قال: « ليس ذلك الحساب ذلك العرض»(٢).

الثالث: روى الحسن، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات»(٣).

---

(١) أخرجه البخارى (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) .

(٢) أخرجه البخارى (٦٥٦٣)، ومسلم (٢٨٧٦) .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤٢٥) وضعفه، وابن ماجة (٤٢٧٧) .

الرابع: روى عن أنس ﷺ أنه قال عن النبى ﷺ : «يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج» الحديث[1].

الخامس: ثبت عن أبى هريرة ﷺ وأبى سعيد الخدرى واللفظ له: «يؤتى بعبد يوم القيامة فيقال له: ألم أجعل لك سمعًا وبصراً ومالاً وولدًا وتركتك ترأس وترتع فكنت تظن أنك ملاقى يومك هذا. فيقول: لا. فيقال له : اليوم أنساك كما نسيتنى» وهذا حديث صحيح.

قلت: خرّجه مسلم والترمذى مطولاً [2].

السادس: ثبت من طرق صحاح أن النبى ﷺ قال : «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيقول له: عبدى تذكر يوم كذا وكذا حين فعلت كذا وكذا فلا يزال يقرره حتى يرى أنه هلك: ثم يقول له: عبدى أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»[3].

السابع: وفى الصحيح عن أبى ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجًا من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال : « أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها » وذكر الحديث[4].

الثامن: وفى الصحيح عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج من النار أربعة فيعرضون على فيلتفت أحدهم فيقول: أى رب إذا أخرجتنى منها فلا تعدنى فيها فينجيه الله منها»[5].

وروى مسلم: «يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون

---

(١) أخرجه أحمد (حـ ٢ ص ١٠٥)، والترمذى (٤٧٢٧) وإسناده ضعيف .

(٢) مسلم (٢٩٦٨)، والترمذى مطولاً (٤٢٢٨) .

(٣) البخارى (٧٥١٤)، ومسلم (٢٧٦٨) .

(٤) أخرجه مسلم (١٩٠)، والترمذى (٢٥٩٦) .

(٥) أخرجه مسلم (١٩٢)، وأحمد (حـ ٣ ص ٢٢١) .

آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول لهم: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك»(١). وذكر حديث الشفاعة .

التاسع: العرض على الله ولا أعلمه فى الحديث إلا قوله فى النص المتقدم حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين، وذكر الحديث.

قلت : إذا تتبعت الأحاديث فى هذا الباب على هذا السياق كان الحسن والصحيح منها أكثر من تسعة .

وقد خرّج عن أبى برزة الأسلمى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع» الحديث(٢).

وقوله فى الحديث الآخر: «إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله »(٣).

وخرّج مسلم عن عدى بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان» الحديث(٤).

وخرّج البخارى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب» الحديث(٥).

وهذا كله من باب العرض على الله. وإذا تتبعت الأحاديث كانت أكثر من هذا فى مواطن مختلفة وأشخاص متباينة، والله أعلم، وفى بعض الخبر أن يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار، ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى، ولا يكشف مساوئهم على رؤوس الخلائق .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥)، وانظر كتاب الشفاعة من كتابنا « صحيح الأحاديث القدسية » .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى عن أبى برزة الأسلمى (٢٤١٧)، وليس فيه لفظ أربع وإن عدَّ أربعًا يسأل عنها العبد .

(٣) ضعفه الألبانى من حديث تمام والخطيب عن ابن عمر كما فى ضعيف الجامع الصغير (٧٦١) .

(٤) مسلم (زكاة/ ٦٧) .

(٥) البخارى (٤٤٨٧) .

ومنها: يوم الجمع وحقيقته فى العربية ضم واحد إلى واحد، فيكون شفعًا أو زوجًا إلى زوج فيكون جمعًا. قال الله تعالى: ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع**﴾[التغابن: ٩] وقال: ﴿**ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه**﴾ [النساء: ٨٧] وهو فى القرآن كثير.

ومنها: يوم التفرق قال الله تعالى: ﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ۝ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون ۝ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون** ﴾ [الروم: ١٤- ١٦] وهو معنى قوله تعالى: ﴿ **فريق فى الجنة وفريق فى السعير** ﴾ [الشورى: ٧].

ومنها: يوم الصدع والصدر أيضًا قال الله تعالى: ﴿ **يومئذ يصدر الناس أشتاتًا**﴾ [الزلزلة: ٦] وقال: ﴿ **يومئذ يصدعون** ﴾ ومعناهما معنى الاسم الذى قبله.

ومنها: يوم البعثرة ومعناه تتبع الشىء المختلط مع غيره حتى يخلص منه فيخلص الله تعالى الأجسام من التراب والكافرين من المؤمنين والمنافقين، ثم يخلص المؤمنين من المنافقين.

ومنها: ما روى: «أنه يخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم» وهو صحيح أيضًا وسيأتى. وقال ﷺ: «يؤخذ برجل ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابى فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك»(١).

ومنها: يوم الفزع وحقيقته ضعف النفس عن حمل المعانى الطارئة عليها خلاف العادة، فإن استمر كان جبنًا وعند ذلك تتشوق النفس إلى ما يقويها فلأجل ذلك قالوا: فزعت من كذا أى ضعفت من حمله من طريانه على خلاف العادة، وفزعت إلى كذا أى تشوقت نفسى عند ذلك إلى ما يقويها على ما نزل بها والآخرة كلها خلاف العادة وهى فزع كلها وفى التنزيل: ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر**﴾ وقد اختلف فيه فقيل: هو قوله: ﴿ **لا بشرى يومئذ للمجرمين** ﴾. وقيل، إذا طبقت النار على أهلها وذبح الموت بين الجنة والنار. وقال الحسن: هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار وعنه أن الفزع الأكبر: النفخة الآخرة وتتلقاهم الملائكة بالبشارة حتى يخرجوا من قبورهم.

---

(١) البخارى (٤٦٢٥)، ومسلم (جنة/ ٥٨).

ومنها: يوم التناد بتخفيف الدال من النداء وتشديدها من ند إذا ذهب وهو قوله تعالى: ﴿ **يوم تولون مدبرين**﴾ [غافر: ٣٣] وهو الذهاب فى غير قصد.

وهى التى يقول الله: ﴿ **ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة** ﴾ فيسير الله الجبال ويرج الأرض بأهلها رجًا وهى التى يقول الله: ﴿ **ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ۝ قلوب يومئذ واجفة ۝ أبصارها خاشعة**﴾ [النازعات: ٦-٩] فيميد الناس على ظهرها فتذهب المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضًا وهو الذى يقول الله تعالى: ﴿ **يوم التناد ۝ يوم تولون مدبرين** ﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣] قال ابن العربى: وقد رويت فى ذلك آثار كثيرة هذا أمثلها فدعوها، فالمعنى الواحد يكفينا منها ومن هولها ومن تحقيق المعنى لها .

ومنه: يوم الواقعة. وأصل وقع فى كلام العرب كان ووجد، وجاءت الشريعة فى تأكيد ذلك بثبوت ما وجد قال الله تعالى: ﴿ **وإذا وقع القولُ عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم**﴾ [النمل: ٨٢] والمراد بالقول هنا إخبار البارى عن الساعة وأنها قريبة.

ومنها: الخافضة الرافعة أى ترفع قومًا فى الجنة وتخفض أخرى فى النار والخفض والرفع يستعملان عند العرب فى المكان والمكانة والعز والإهانة، ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعًا ومجازًا على عادة العرب فى إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يمكن منه الفعل يقولون : ليل قائم ونهار صائم وفى التنزيل: ﴿ **بل مكر الليل والنهار** ﴾ [سبأ: ٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده، فرفع أولياءه فى أعلى الدرجات وجعل أعداءه فى أسفل الدركات قال الله تعالى: ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا ۝ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا** ﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦] .

ومنها : يوم الحساب ومعناه أن البارى سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة يعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض فما يشقق منها على الآخر حكم للمشفوق بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر.

وفى صحيح مسلم[١] حديث أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله: «هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة؟ قالوا: لا. قال: فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر وليس فى سحابة قالوا: لا. قال: فو الذى نفس محمد بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما». قال: «فيلقى العبد فيقول: أى قل: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى فيقول: أفظننت أنك ملاقى؟ فيقول: لا. فيقول: إنى أنساك كما نسيتنى، ثم يلقى الثانى فيقول له ويقول هو مثل ذلك بعينه، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وتصدقت وصمت ويثنى بخير ما استطاع قال: فيقول: ها هنا إذا ثم يقول الآن نبعث شاهدًا عليك فيقول فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه. ويقال لفخذه: انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا** ﴾ [الإسراء: ١٤] أى حاسبًا فعيلا بمعنى فاعل، وإذا نظر فيها ورأى أنه قد هلك فإن أدركته سابقة حسنة وضعت له لا إله إلا الله فى كفة فرجحت له السموات والأرض. وفى رواية فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» وسيأتى وقال: «من نوقش الحساب عذب».

ومنها: يوم السؤال والبارى سبحانه وتعالى سأل الخلق فى الدنيا والآخرة تقريرًا لإقامة الحجة وإظهارًا للحكمة. قال الله تعالى: ﴿ **سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة** ﴾ [البقرة: ٢١١] وقال: ﴿ **واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحرْ** ﴾ [الأعراف: ١٦٣] وقال: ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا** ﴾ [الزخرف: ٤٥] وهو فى القرآن كثير وقال: ﴿ **ليسأل الصادقين عن صدقهم** ﴾ [الأحزاب: ٨] وقال: ﴿ **وإذا الموؤدة سئلت** ﴾ [التكوير: ٨] وقال: ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ [الحجر: ٩٢] قيل: عن لا إله إلا الله. وقال: ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) مسلم (٢٩٦٨).

وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسؤولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(١)

ومنها: يوم الشهادة ويوم يقوم الأشهاد.

والشهادة على أربعة أنواع:

شهادة محمد وأمته تحقيقًا لشهادة الرسل على قومهم .

الثانى: شهادة الأرض والأيام والليالى بما عمل فيها وعليها .

الثالث: شهادة الجوارح قال الله تعالى: ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم** ﴾ [النور: ٢٤] وقال: ﴿ **وقالوا: لجلودهم لم شهدتم علينا** ﴾ [فصلت: ٢١].

الرابع: حديث أنس رضي الله عنه(٢) وفيه يختم على فيه ويقال لأركانه: انطقى فتنطق بأعماله.

ومنها: يوم الجدال قال الله تعالى: ﴿ **يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها** ﴾ [النحل: ١١١] أى تخاصم وتحاج عن نفسها.

ومنها: يوم الوعيد وهو أن البارى سبحانه أمر ونهى ووعد وأوعد فهو أيضًا يوم الوعد والوعد للنعيم والوعيد للعذاب الأليم، وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة، والوعد الخبر عن المثوبة عند الموافقة، وقد ضل فى هذه المسألة المبتدعة وقالوا: إن من أذنب ذنبًا واحدًا فهو مخلد فى النار تخليد الكفار أخذًا بظاهر هذا اللفظ فى آى فلم يفهموا العربية ولا كتاب الله وأبطلوا شفاعة رسول الله ﷺ .

ومنها: يوم الدين. وهو فى لسان العرب الجزاء قال الشاعر:

حصادك يومًا ما زرعت وإنما يدان الفتى فيه كما هو دائن

(١) البخارى (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٩) .

وقال آخر:

واعلم يقينًا إن ملكــك زائل   واعلم بأنك كما تدين تدان

ومنها: يوم الجزاء. قــال الله تعالى: ﴿ **اليوم إنما تجزون مـا كنتم تعملون**﴾[1] [التحريم: ٧] وقال: ﴿ **اليوم تجزى كل نفـس بما كسبت** ﴾ [غافر: ١٧] وهو أيضًا يوم الوفاء. قال الله تعالى: ﴿ **يومئذ يوفـيهم الله دينهم الحق** ﴾ [النور: ٢٥] أى حسابهم وجزاؤهم والجنة جزاء الحسنات والنار جزاء السيئات. قال الله تعالى فى المعنيين: ﴿ **جزاء بما كانوا يكسبون** ﴾ [التوبة: ٨٢] و ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ [السجدة: ١٧] وقال فى جهة الوعيد كذلك: ﴿ **نجزى كل كفور** ﴾ [فاطر: : ٣٦] .

ومنها: يوم الندامة. وذلك أن المحسن إذا رأى جزاء إحسانه والكافر جزاء كفره ندم المحسن أن لا يكون مسـتكثرًا ، وندم المسيئ أن لا يكون استعـتب، فإذا صار الكافر إلى عـذاب لا نفاد له تحـسر، فلذلك سمى يوم الحـسرة قـال الله تعالى: ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر** ﴾ [مريم: ٣٩] والحسرة: عبارة عن استكشاف المكروه بعد خفائه.

ومنها: يوم التـبديـل. قال الله تعـالى: ﴿ **يوم تبـدل الأرض غـيـر الأرض والسموات** ﴾ [إبراهيم: ٤٨] .

ومنها: يوم التـلاق. قال الله تعـالى: ﴿ **لينذر يوم التلاق** ﴾ [غافر: ١٥] وهو عبارة عن اتصال المعنيين بسبيب من أسباب العلم والجسمين. وهو أنواع أربعة:

الأول: لقاء الأموات لمن سـبقهم إلى الممات فـيسألونهم عن أهل الدنيـا كما تقدم .

والثانى: عمله وقد تقدم.

الثالث: لقاء أهل السموات لأهل الأرض فى المحشر وقد تقدم .

الرابع: لقاء الخلق للبـارى سبحانه وتعـالى وذلك يكون فى عرصات القـيامة وفى الجنة.

---

(١) والآية فى سورة التحريم: ﴿ **يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾

ومنها: يوم الآزفة. تقول العرب أزف كذا أى قرب.

وهى قريبة جدا وكل آت قريب وإن بعد مداه قال الله تعالى: ﴿ **وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا**﴾ [الاحزاب: ٦٣] وما يستبعد الرجل من الساعة ومدته ساعة.

ومنها : يوم المآب. ومعناه الرجوع إلى الله تعالى ولم يذهب عن الله شيء فيرجع إليه ، وإنما حقيقته أن العبد يخلق الله فيه ما شاء من أفعاله لما خلق فيه علمًا وخلق فيه إيثارًا واختيارًا ظن الناس أنه شيء أو أن له فعلاً، فإذا أماته وسلب ما كان أعطاه أذعن وآب فى وقت لا ينفعه الإياب، ولم يزل عن الله تعالى فى حال فهو الأواب.

ومنها: يوم المصير. وهو يوم المآب بعينه قال الله تعالى: ﴿ **ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير** ﴾ [النور: ٤٢] فالخلق سائرون إلى أمر الله تعالى وآخر ذلك دار القرار وهى الجنة أو النار قال الله تعالى فى حق الكافرين: ﴿ **قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار** ﴾ [إبراهيم: ٣٠] .

ومنها: يوم القضاء. وهو أيضًا يوم الحكم والفصل، وسيأتى أن أول ما يقضى فيه الدماء وقال ﷺ : «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها»[(١)] الحديث وفيه كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد والفصل هو الفرق والقطع فيفصل يومئذ بين المؤمن والكافر والمسيء والمحسن. قال الله تعالى: ﴿ **يوم القيامة يفصل بينكم** ﴾ [الممتحنة: ٣] الآية وهو يوم الحكم؛ لأن إنفاذ الحكم هو إنفاذ العلم قال الله تعالى: ﴿ **الملك يومئذ لله يحكم بينهم** ﴾ [الحج: ٥٦] الآية. وقال: ﴿**ذلكم حكم الله يحكم بينكم**﴾ [الممتحنة: ١٠].

ومنها: يوم الوزن. قال الله تعالى: ﴿ **والوزن يومئذ الحق** ﴾ [الأعراف: ٨] الآية.

ومنها: يوم عقيم. وهو فى اللغة عبارة عن من لا يكون له ولد. ولما كان الولد يكون بين الأبوين وكانت الأيام تتوالى قبل وبعد جعل الاتباع بالتعدية فيها كهيئة الولادة. ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) عن أبى هريرة فى أثم مانع الزكاة .

ومنها: يوم عسير . وهذا فى حق الكافرين خاصة . والعسر ضد اليسر فهو عسير على الكافرين؛ لأنهم لا يرون فيه أملا ولا يقطعون فيه رجاء حتى إذا خرج المؤمنون من النار طلبوا مثل ذلك، فيقال لهم: ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فحينئذ يكون المنع الصريح على ما يأتى بيانه فى أبواب النار إن شاء الله تعالى، وأما المؤمنون فتنحل عقدهم بيسر إلى يسر ، فينحل طول الوقوف إلى تعجيل الحساب وتثقيل الموازين وجواز الصراط والظلال بالأعمال، ولا تنحل للكافرين من هذه العقد عقدة واحدة إلا إلى أشد منها حتى إلى جهنم دار القرار.

ومنها: يوم مشهود. سمى بذلك لأنه يشهده كل مخلوق وقيل: سمى بذلك لأن الشهداء يشهدون فيه على ما يأتى والله أعلم.

ومنها: يوم التغابن. سمى بذلك لأن الناس يتغابنون فى المنازل عند الله: فريق فى الجنة وفريق السعير. وحقيقته فى لسان العرب: ظهور الفضل فى المعاملة لأحد المتعاملين والدنيا والآخرة دار العملين وحالين وكل واحد منهما لله ولا يعطى أحدهما إلا لمن ترك نصيبه من الأخرى قال الله تعالى: ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد** ﴾ [الإسراء:١٨] وقال: ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب**﴾ [الشورى: ٢٠] ومن أراد الآخرة فسعيه مشكور، وحظه فى الآخرة موفور.

ومنها: يوم عبوس قمطرير، والقمطرير: الشديد وقيل: الطويل. وأما العبوس فهو الذى يعبس فيه سمى باسم ما يكون فيه، كما يقال: ليل قائم ونهار صائم وكلوح الوجه ، وعبوسه هو قبض ما بين العينين وتغير السحنة عن عادتها الطلقة. يقال: يوم طلق إذا كانت شمسه نيرة فاترة وإذا كانت شمسه مدجية قد غطاها السحاب. قيل: يوم عبوس وأول العبوس والكلوح عند الخروج من القبور ورؤية الأعمال فى الصور القبيحة كما تقدم، وآخر ذلك كلوح النار وهو الكلوح الأعظم يشوى الوجوه ويسقط الجلود على ما يأتى، ومع العبوس تشخص الأبصار وهى ثبوتها راكدة على منظر واحد لهول الانتقال منه إلى غيره كما قال سبحانه: ﴿**ليوم تشخص فيه الأبصار**﴾ [إبراهيم: ٤٢] .

ومنها: يوم تبلى السرائر . ومعناه إخراج المخبـآت بالاختبار بوزن الأعمال فى الصحف.

ومنها: يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا. مث قوله: ﴿ **واتقوا يومًا لا تجزى نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون** ﴾ [البقرة: ٤٨] وقال : ﴿ **يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئًا** ﴾ [الدخان: ٤١] فكل نفس بما كسبت رهينة لا يغنى أحد عن أحد شيئًا، بل ينفصل كل واحد عن أخيه وأبيه، ولذلك كان يوم الفصل ويوم الفرار. قال الله تعالى: ﴿ **إن يوم الفصل كان ميقاتا** ﴾ [النبأ: ١٧] وقال تعالى: ﴿**يوم يفر المرأ من أخيه ۝ وأمه وأبيه ۝ وصاحبته وبنيه ۝ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ [عبس: ٣٤، ٣٧] .

ومنها: يوم يدعون إلـى نار جهنم دعا. والـدع الدفع أى يدفعون إلـى جهنم ويسحـبون فيهـا على وجوههم كما قـال تعالى: ﴿ **يوم يسحبـون فى النار على وجوههم** ﴾ القمر: ٤٨] .

ومنها: يوم التقليب وهو التحول. قال الله تعالى: ﴿ **يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ [النور: ٣٧] أى قلوب الكفار وأبصارهم فـتقلب قلوب الكفار انتزاعها من أمـاكنها إلى الحناجر فلا هى ترجع إلى أماكنهـا ولا هى تخرج، فأما تقلب الأبصار فالزرقة بعد الحكل والعمى بـعد البصر. وقيل: تتقلب القلوب بين الطمع فى النجاة والخوف من الـهلاك والأبصار تنظر من أى ناحية يعطون كـتبهم وإلى أى ناحية يؤخذ بـهم. وقيل: إن قلوب الشاكين تتحول عمـا كانت عليه من الشك وكذلك أبصارهم لرؤيتهم اليقين إلا أن ذلك لا ينفعهم فى الآخرة .

ومنها: يوم الشخوص والإقناع. قال الله تعالى: ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أى لا تغمض فيه من هول مـا ترى فى ذلك اليوم. قاله الفراء.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : تشخص أبصار الخلائـق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يغتمضون: ﴿ **مهطعين** ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أى مديمى النظر .

قال مجاهد والضحاك: ﴿ **مقنعي رؤوسهم** ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أى رافعى رؤوسهم

وإقناع الرأس رفعه. قاله ابن عباس ومجاهد، وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد. فإن قيل: فقد قال الله تعالى فى غير هذه الآية: ﴿ خاشعة أبصارهم ﴾ [المعارج: ٤٤] وقال: ﴿ خشعا أبصارهم ﴾ [القمر: ٧] فكيف يكون الرافع رأسه الناظر نظرًا طويلاً حتى إن طرفه لا يرتد إليه خاشع البصر ؟.

فالجواب أنهم يخرجون حال المضى إلى المواقف خاشعة أبصارهم، وفى هذه الحال وصفهم الله تعالى بخشوع الأبصار وإذا توافوا وضمهم الموقف وطال القيام عليهم فإنهم يصيرون من الحيرة كأنهم لا قلوب لهم ويرفعون رؤوسهم فينظرون النظر الطويل ولا يرتد إليهم طرفهم كأنهم قد نسوا الغمض أو جهلوه فهو تعسير عليهم.

ومنها: ﴿ يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ [المرسلات: ٣٥] .

وذلك حين يقال لهم: ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ [المؤمنون:١٠٨] وتطبق عليهم جهنم.

ومنها: ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ [غافر: ٥٢] وإن أذن لهم بأن يمكنوا منها لا بأن يقال لهم اعتذروا كقوله: ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ [الأحزاب:٦٧] الآية وكقوله: ﴿ ربنا أخرجنا منها ﴾ [المؤمنون:١٠٧] الآية .

ومنها: ﴿ ولا يكتمون الله حديثًا ﴾ [النساء: ٤٢] .

ومنها: يوم الفتنة. قال الله تعالى: ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ [الذاريات: ١٣] أى يعذبون من قولك فتنت الذهب إذا رميت به فى النار.

ومنها: ﴿ يوم لا مرد من الله ﴾ [الروم: ٤٣] يريد يوم القيامة أى لا يرده أحد بعد ما حكم الله به وجعل له أجلاً ووقتًا .

ومنها: يوم الغاشية. وسميت بذلك لأنها تغشى الناس بإفزاعها. أى تعمهم بذلك. ومنه غاشية السرج. ومنها: فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد.

ومنها: يوم لا بيع فيه ولا خلال قال الله تعالى: ﴿ قل لعبادى الذين آمنوا

يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال ﴾ [إبراهيم: ٣١] وقال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة** ﴾ [البقرة: ٢٤٥] والخلة والخلال الصداقة والمودة .

ومنها: يوم لا ريب فيه ، وإن وقع فيه ريب الكفار أى شك فليس فيه ريب لقيام الأدلة الظاهرة عليه كما قال الله تعالى: ﴿ **أفى الله شك** ﴾ [إبراهيم: ١٠] فليس فى البارى شك لقيام الأدلة عليه ولشهادة أفعاله ولاقتضاء المحدث أن يكون له محدث، ولكن قد شك فيه قوم ونفاه آخرون، ولم يوجب ذلك شكًا فيه لقيام الأدلة عليه، فكذلك يوم القيامة لا ريب ولا شك فيه مع النظر فى الدليل والعلم، فإذا خلق الله تعالى الرين على القلب كان الشك. قال الله تعالى: ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور** ﴾ [الحج: ٧] .

ومنها: ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾ [آل عمران: ١٠٦] .

ومنها: يوم الأذان. دخل طاووس على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿ **فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين** ﴾ [الأعراف: ٤٤] فصعق هشام، فقال طاووس: هذا ذل الصفة فكيف ذل المعاينة.

ومنها: يوم الشفاعة قال الله تعالى: ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿ **لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ [سبأ: ٢٣] وقال: ﴿ **فما لنا من شافعين** ﴾ [الشعراء: ١٠٠].

ومنها: يوم الفرار. قال الله تعالى: ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه ۞ وأمه وأبيه ۞ وصاحبته بنيه** ﴾ [عبس: ٣٤، ٣٦] فيفر كل واحد من صاحبه حذرًا من مطالبته إياه، إما لما بينهم من التبعات أولئلا يروا ما هو فيه من الشدة. وقال عبد الله بن طاهر الأبهرى: يفر منهم لما يتبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه، ولو ظهر له ذلك فى الدنيا لما اعتمد شيئا سوى ربه تعالى. وقال الحسن: أول من يفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم، وأول من يفر من ابنه

نوح، وأول من يفر من امرأته لوط. قال : فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم، وهذا فرار التبرى نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد نبى الرحمة وصحبه الكرام البررة، وجعلنا ممن حشر فى زمرتهم ولا خالف بنا عن طريقهم ومذهبهم بمنه وكرمه... آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال المؤلف: وقد سرد تسمية هذه الأيام على التوالى من غير تفسير غير واحد من العلماء. منهم ابن نجاح فى سبل الخيرات ، وأبو حامد الغزالى فى غير موضع من كتبه كالإحياء وغيره، والقتبى فى كتاب عيون الأخبار، وهذا تفسيرها حسب ماذكره القاضى أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين، وربما زدنا عليه فى ذلك والحمد لله على ذلك. ولا يمتنع أن تسمى غير ما ذكرنا بحسب الأحوال الكائنة فيه من الازدحام والتضايق واختلاف الأقدام والخزى والهوان والذل والافتقار والصغار والانكسار ويوم الميقات والمرصاد إلى غير ذلك من الأسماء.

* * * *

باب
ما يلقي الناس في الموقف
من الأهوال العظام والأمور الجسام

مسلم عن سليم بن عامر، عن المقداد بن الأسود ﷺ قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل» قال سليم بن عامر: فو الله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاما» قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[1]، وأخرجه الترمذى وزاد قوله: «تكحل به العين فتصهرهم الشمس»[2].

---

(١) مسلم (٢٨٦٤)، والترمذى (٢٤٢١) .

(٢) هذه الزيادة رواها الترمذى فى سننه (٢٤٢١) .

مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «إن العرق يوم القيـامة ليذهب فى الأرض سبعـين باعا وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو آذانهم»(١) يشك ثور أيهما. قـال: أخرجه البخارى، وعن ابـن عمر رضي الله عنهما، عن النبى ﷺ : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال: «يوم يقوم أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنيه»(٢) أخرجه البخارى والترمذى وقال: حديث صحيح مرفوعًا وموقوفًا.

وروى هناد بن السرى قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن ضرار بن مرة، عن عبد الله بن المكتـب، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قـال: قال له رجل إن أهل المدينة ليوفون الكيل يا أبا عبد الرحمن. قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل. وقد قال الله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ حتى بلغ: ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [المطففين: ١-٦] قال: إن العرق ليبلغ أنصاف آذانهم من هول يوم القيامة وعظمه(٣).

* * * *

بـاب
ما ينجى من أهوال يوم القيامة ومن كربها

مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ : «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» وذكر الحديث(٤).

وقد ينجى منها كلها ما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شىء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا فكان يأمـر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال: قال الله عز وجل: أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدى»(٥).

---

(١) مسلم (٢٨٦٣). والبخارى (٦٥٣٢) .

(٢) البخارى (٦٥٣١)، والترمذى (٢٤٢٢) بنحوه .

(٣) إسناده صحيح رجاله ثقات .

(٤) مسلم (٢٦٩٩) .

(٥) مسلم (١٥٦١) .

وخرج عن حذيفة عن النبى ﷺ أن رجلاً مات فدخل الجنة، فقيل له : ما كنت تعمل؟ فقال: إنى كنت أبايع الناس، فكنت أنظر المعسر وأتجاوز فى السكة أو فى النقد فغفر له». فقال أبو مسعود رضي الله عنه: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ[١]. رواه مسلم من طرق، وخرجه البخارى.

وروى مسلم عن أبى قتادة رضي الله عنه أنه طلب غريمًا له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إنى معسر. قال : الله فقال : الله . قال : فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة لينفس عن معسر أو يضع عنه »[٢].

وعن أبى اليسر واسمه كعب بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من انظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله فى ظله » خرجه مسلم[٣].

وروى الأئمة عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[٤]. معنى (فى ضله) أى: فى ظل عرشه وقد جاء هكذا تفسيراً فى الحديث.

* * * *

---

(١) مسلم (مساقاة/٢٨) والبخارى (٢٠٧٧) .

(٢) مسلم (١٥٦٣) .

(٣) مسلم (٢٩٩٩). عن أبى اليسر صاحب رسول الله ﷺ .

(٤) أخرجه البخارى (٦٦٠) وفى غير موضع، ومسلم (١٠٣١) .

بابـ
فى الشفاعة العامة
لنبينا محمدﷺ لأهل المحشر

مسلم عن أبى هريرة ؓ قال: أتى النبى ﷺ يومـا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبـه فنهش منها نهشة فقال: «أنا سيـد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيـبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتمـلون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون مـا أنتم فيه ألا ترون مـا قد بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض: أئتو آدم فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبونا أبو البشـر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحـه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربى قد غضب الـيوم غضبًا لم يغـضب قبله مثله ولن يغضب بـعده مثله وإنه نهانى عن الشـجرة فعصـيته، نفسـى نفسى، اذهبوا إلى نوح، فيـأتون نوحا فيقـولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبـدا شكورًا، اشفع لنا إلى ربنا، ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم نوح: إن ربى قـد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى . نفسى نفسى، اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فـيقول لهم إبراهيم: إن ربى قد غـضب اليوم غضبا لـم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى، فـيأتون موسى فـيقولون: يا مـوسى أنت رسول الله فضلك الله برسـالته وبتكليـمه على الناس اشـفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فـيه، ألا ترى مـا قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها، نفسى نفسى، أاهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقـولون: يا عيسى أنت رسول الله ، وكلمت الناس فى المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم ، وروح منه ؛ فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا

ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى : إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا. نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فانطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدًا لربى، ثم يفتح الله علىّ ويلهمنى من محامده وحسن الثناءعليه شيئًا لم يفتحه لأحد غيرى من قبلى ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأقول: يا رب أمتى أمتى، فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاءالناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى[1] وفى البخارى كما بين مكة وحمير .

(فصل) :

هذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء هى المراد بقوله عليه السلام: «لكل نبى دعوة مستجابة فتعّجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى»[2]. رواه الأئمة البخارى ومسلم وغيرهما، وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هى ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهى الخاصة به ﷺ وقوله: « أقول يا رب أمتى أمتى » اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم،وقوله: «فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته، فقد شرع فى حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم. وكان طلبه هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر فى ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ المحمود الذى وعده، ولذلك قال كل نبى: لست لها لست لها حتى انتهى الأمر إلى محمد ﷺ فقال: «أنا لها ».

---

(١) مسلم (١٩٤)، والبخارى (٣٣٤٠) .

(٢) البخارى (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩) .

وروى مسلم، عن قتادة، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك». وفى رواية فيلهمون فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا. قال: فيأتون آدم وذكر الحديث[1].

* * * *

باب
ما جاء أن هذه الشفاعة هى المقام المحمود

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم ومن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال: فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك فيقول: أنا أذنبت ذنبًا فأهبطت به إلى الأرض ائتوا نوحًا فيقول: إنى دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول: إنى كذبت ثلاث كذبات، ثم قال رسول الله ﷺ: «ما منها كذبة إلاّ ما حل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول: إنى قد قتلت نفسًا ولكن ائتوا عيسى فيقول: إنى عُبدتُ من دون الله ولكن ائتوا محمدًا ﷺ فيأتونى فأنطلق معهم». قال ابن جدعان قال أنس: فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ قال: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا؟ فيقال: محمد فيفتحون لى ويرحبون فيقولون مرحبًا فأخرُّ ساجدًا لله فيلهمنى من الثناء والحمد فيقال لى ارفع رأسك وسل تعطِ واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذى قال الله فيه: ﴿ **عسى أَن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال سفيان: ليس عن أنس إلا هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها[2]. قال الترمذى: حديث حسن.

---

(١) مسلم (إيمان/ ٣٢٣) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٣١٤٨)، وابن ماجة (٤٣٠٨) .

وخرجه أبو داود الطيالسى بمعناه عن ابن عبـاس رضي الله عنهما فقال: حدثنا حماد بن سلمة قـال: حدثنا على بن زيد عن أبى نضـرة قال: خطبنا ابن عبـاس على منبر البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما من نبى إلا وله دعوة كلهم قد تنجزها فى الدنيا وإنى ادخرت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ألا وإنى سيد ولد آدم يوم القـيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القـيامة ولا فخر، وبيدى لـواء الحمد تحته آدم صلى الله عليه وسلم ومن دونه ولا فخـر ، ويشتد كرب ذلك اليوم على الناس فيـقولون: انطلقوا بنا إلى آدم أبى البشر فـيشفع لنا إلى ربنا عز وجل حتى يقضى بيننا». الحـديث وفيه: فيأتون عيسى عليه الـسلام فيقولون: اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضى بيننا فيـقول: إنى لست لها إنى اتُّخِذْتُ وأمى إلهين من دون الله ولكن أرأيتم لو أن متاعًا فى وعاء قد ختم عليه أكان يُواصل إلى مافى الوعاء حتى يفض الخاتم؟ فيقولون: لا. فيقول: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد حضر اليوم وقد غفـر له ما تقدم من ذنبه ومـا تأخر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فـيأتينى الناس فيقولون: اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضى بيننا فأقول: أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، فإذا أراد الله أن يقضى بين خلقه نادى مناد: أين مـحمد صلى الله عليه وسلم وأمته؟ فأقوم وتتبعنى أمتى غـرًا محجلين من أثر الطهور» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فنحن الآخـرون الأولون وأول من يحـاسب ويفـرج لنا فى الأمم عن طريقناويقـولون: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها»[1]. وذكر الحديث.

وفى البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثيًا كل أمة تتبع نبـيها تقول: يا فلان اشـفع يا فلان اشفع حتى تنتهى الشـفاعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[2].

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه قـال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ سئل عنها قال: «هى الشفاعة. قال: هذا حديث صحيح[3] .

---

(١) مسند الطيالسى (٢٧١١) وأحمد (٢٥٤٦ ـ طبع شاكر) وهو حديث صحيح بشواهده .

(٢) البخارى (٤٧١٨) .

(٣) الترمذى (٣١٣٧) .

باب
من أسعد الناس بشفاعة النبى ﷺ

البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه»[١].

* * * *

باب
من نوقش الحساب عذب

البخارى عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عذب»[٢]. قالت: فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله: ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] فقال: «ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب» أخرجه مسلم والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

* * * *

باب
ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى: ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال: ﴿ **ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ [يونس: ٢٣] وقال: ﴿ **قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم** ﴾ [التغابن: ٧] أى ما عملتموه. وقال: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ۝ ومن يعمل مثقال شرًا يره** ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] أى

(١) البخارى (٩٩).

(٢) أخرجه البخارى (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

يسأل عن ذلك ويجازى عليه والآيات فى هذا المعنى كثيرة وقال: ﴿ **ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم** ﴾ [التكاثر: ٨] .

الترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية : ﴿ **لتسئلن يومئذ عن النعيم** ﴾ قال الناس: يا رسول الله عن أى نعيم نسأل فإنما هما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا؟ قال: «إن ذلك سيكون» وعنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعنى العبد أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد[1] قال الترمذى حديث غريب .

مسلم!! عن أبى برزة الأسلمى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن جسده فيما أبلاه؟ وعن عمله ما عمل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيما أنفقه؟»[2] خرجه الترمذى، وقال فيه: حديث حسن صحيح .

مسلم عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر ﷺ . كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يدنى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف. قال: فيقول: إنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . قال: فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون ، فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله[3] وقال فى آخره : ﴿ **هولاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين** ﴾ [هود: ١٨] .

وعن أبى ذر ﷺ قال: قال رسول الله : «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه وتخبأ كبارها، فقال له : عملت يوم كذا وكذا وكذا

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٣٣٥٨)، والحاكم فى المستدرك (حـ ٤ ص ١٣٨) وصححه ووافقه الذهبى .

(٢) الحديث ليس فى مسلم قطعًا عن أبى برزة الأسلمى وإنما رواه الترمذى (٢٤١٧) وغيره. وصححه الألبانى بشواهده انظر الصحيحة (٩٤٦) .

(٣) مسلم (٢٧٦٨)، والبخارى بنحوه (٤٦٨٥) .

ثلاث مرات، قال: هو يقر ليس ينكر قال: وهو مشفق من الكبائر أن تجيء قال: فإذا أراد الله به خيرًا قال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة؛ فيقول حين طمع: يا رب إن لي ذنوبًا ما رأيتها ها هنا، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ثم تلا: ﴿ **فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾ [الفرقان: ٧٠] خرجه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن نمير قال: حدثنا الأعمش فذكره[1].

(فصل) :

قوله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل»: عام لأنه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله عليه السلام: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب» على ما يأتي.

وبقوله تعالى لمحمد عليه السلام: أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن، وقد تقدم الحديث.

وبقوله تعالى: ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام**﴾ [الرحمن: ٤١] .

قوله عليه السلام: «وعن عمله ما عمل فيه».

قلت: هذا مقام مخوف لأنه لم يقل: وعن عمله ما قال فيه، وإنما قال: ما عمل فيه لينظر العبد ما عمل فيما عمل هل صدق الله في ذلك وأخلصه حتى يدخل فيمن أثنى عليه بقوله: ﴿ **أولئك الذين صدقوا** ﴾ أو خالف علمه بفعله فيدخل في قوله تعالى: ﴿ **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب** ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب** ﴾ وقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ .

---

(١) أخرجه أبو عوانة في مسنده (جـ ١ ص ١٧٠) عن أحمد بن رجاء المصيصي بهذا الإسناد عن أبي ذر مرفوعًا بهذا اللفظ، وأخرجه مسلم في سياقة تختلف (إيمان/ ٣١٤) عن محمد بن عبد الله ابن نمير عن أبيه عن الأعمش به بنحو معناه .

والأخبار فى هذا المعنى كثيرة ، وقوله «حتى يضع عليه كنفه» أى ستره ولطفه وإكرامه فـيخاطب خطاب الملاطفة ويناجيـه مناجاة المصافاة والمحادثة فـيقول: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، فيقول الله تعالى: ممتنًا عليه ومظهرًا فضله لديه: فإنى قد سترتهـا عليك فى الدنيا أى لم أفضحك بها فيهـا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم قيل هذه الذنوب تاب منهـا. كما ذكره أبو نعيم عن الأوزاعـى عن هلال بن سعد قال: إن الله يغفـر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحـيفة حتى يوقفـه عليها يوم القيامة وإن تاب منها.

قال المؤلف: ولا يعارض هذا مـا فى التنزيل والحديث من أن السيئـات تبدل بالتوبة حسنات، فلعل ذلك يكون بعد ما يوقفه عليها والله أعلم.

وقيل فى صغائر اقترفها، وقيل: كبائر بينه وبين الله تعالى اجترحها ، وأما ما كان بينه وبين العباد فـلا بد فيها من القصاص بالحسنات والسـيئات على ما يأتى، وقيل: ما خطر بقلبـه ما لم يكن فى وسعه ويدخل تحت كسبـه، ويثبت فى نفسه وإن لم يعلمـه، وهذا اختيـار الطبرى والنحـاس وغيـر واحد من العلمـاء جعلوا الحديث مفسـرًا لقوله تعالى: ﴿ **وإن تبدوا مـا فى أنفسكم أو تخفوه يحـاسبكم به الله** ﴾ فتكون الاية على هذا محكمة غير منسوخة والله أعلم.

وقد بينا فى كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة، وآى القرآن والحمد لله .

وروى عن ابن مسعود أنه قال: « ما ستـر الله على عبد فى الدنيا إلا ستر الله عليه فى الآخرة» وهذا مـأخوذ من حديث النجوى، ومن قـوله عليه السلام: «لا يستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» خرجه مسلم[١].

وفى صحيح مسلم أيضًا من حديث أبى هريرة ﷺ: «من سـتر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة»[٢] وروى : «من ستر على مسلم عـورته، ستر الله عورته يوم القيامة»، قال أبو حـامد: فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن سـتر على الناس عيوبهم

---

(١) مسلم (٢٥٩٠) .

(٢) مسلم (٢٥٨٠، ٢٥٩٠)، (٢٦٩٩)، والبخارى (٢٤٤٢) .

واحتمل فى حق نفسه تقصيرهم. ولم يحرك لسانه بذكر مساوىء الناس ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة.

(فصل) :

وفى قوله: «سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» نص منه تعالى على صحة قول أهل السنة فى ترك إنفاذ الوعيد على العصاة من المؤمنين، والعرب تفتخر بخلف الوعيد حتى قال قائلهم:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى ... ولا أختشى من روعة المتهدد

وإنى متى أو عدته أو وعدته ... لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

قال ابن العربى: إنه كذلك عند العرب، وأما ملك الملوك القدوس الصادق فلا يقع أبدًا خبره إلا على وفق مخبره كان ثوابًا أو عقابًا، فالذى قال المحققون فى ذلك قول بديع، وهو أن الآيات وقعت مطلقة فى الوعد والوعيد عامة فخصصتها الشريعة، وبينها البارى تعالى فى كتابه فى آيات أخر، كقوله: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ الآية وكقوله تعالى: ﴿ **حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو** ﴾ وبالشفاعة التى أكرمه الله بها ﷺ ومن شاء من الخلق من بعده .

* * * *

باب
ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان

مسلم عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ : «ما منكم من أحد إلا سيكمله الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أيسر منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة» زاد ابن حجر قال الأعمش: وحدثنى عمرو بن مرة عن خيثمة

عن عدى مثله وزاد فيه: «ولو بكلمة طيبة»[١] أخرجه البخارى والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح .

قال أبو عبيد: هو ولد الضأن وجمعه بذجان. وقال الجوهرى: البذوج من الضأن بمنزلة العقود من أولاد المعز .

قلت: وقوله: «ما منكم من أحد» مخصوص بماذكرناه فى الباب قبل أى ما منكم ممن لا يدخل الجنة بغير حساب من متى إلا وسيكلمه الله، والله أعلم فتفكر فى عظيم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذ يقول: يا عبدى أما استحييت منى فبارزتنى بالقبح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل أكنت أهون عليك من سائر عبادى استخففت بنظرى إليك فلم تكثرت به واستعظمت نظر غيرى، ألم أنعم عليك فماذا غرك بى؟ .

(فصل) :

فإن قيل: أخبر الله تعالى عن الناس أنهم مجزيون محاسبون، وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشىء فما القول فى ذلك عندكم، وهل يكلمهم الله؟ فالجواب أن الله تعالى أخبر أن الإنس والجن يسألون فقال خبراً عما يقال لهم: ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا** ﴾ الآية وهذا سؤال فإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله، ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل، قال: (منكم)، وإن كانت الرسل من الإنس وغلب الإنس فى الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث، وأيضًا لما كان الحساب عليهم دون الخلق قال: (منكم) فصير الرسل فى مخرج اللفظ من الجميع لأن الثقلين قد ضمتهما عرصة القيامة ، فلما صاروا فى تلك العرصة فى حساب واحد فى شأن الثواب والعقاب خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كأنهم جماعة واحدة لأن بدء خلقهم للعبودية، كما قال تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوا** ﴾ والثواب والعقاب على العبودية إلا أن الجن أصلهم من مارج من نار، وأصلنا من

(١) البخارى (١٤١٣)، ومسلم (زكاة/ ٦٧) .

تراب وخلقهم غير خلقنا، ومنهم مؤمن وكافر، وعدونا إبليس عدو لهم يعادى مؤمنهم ويوالى كافرهم، وفيهم أهواء شيعية وقدرية ومرجئة، وهو معنى قوله: ﴿كنا طرائق قدداً﴾ [الجن: ١١].

وقيل : إن الله تعالى لما قال: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ [البقرة: ٨٢] دخل فى الجملة الجن والإنس، فثبت للجن من وعد الجنة لعموم الآية ما ثبت للإنس.

فإن قيل: فما الحكمة فى ذكر الجنة مع الإنس فى الوعيد وترك إفراده الإنس عنهم فى الوعد؟.

فالجواب : أنهم قد ذكروا أيضًا فى الوعد لأنه سبحانه يقول: ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ [الأحقاف: ١٨] ثم قال: ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ [آل عمران: ١٩] وإنما أراد لكل من الإنس والجن فقد ذكروا فى الوعد مع الإنس.

فإن قيل : فقد ذكر يخاطب الجن والإنس فى النار لأن الله تعالى قال : ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ﴾ إلى قوله: ﴿ ولوموا أنفسكم ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ﴿ وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد ﴾ [ق: ٢٧] ولم يأت من تفاوض الفريقين فى الجنة خبر، إنما ذكر من تفاوضهم فى النار أن الواحد من الإنس يقول للشيطان الذى كان قرينه فى الدنيا إنه أطغانى وأضلنى فيقول له قرينه: ربنا ما أطغيته ولكنه كان ضالاً بنفسه ولا سبب بين الفريقين يدعو أهل الجنة فيهما إلى التفاوض فلذلك سكت عنهما، وأيضًا فإن الله تعالى أخبر الناس أن عصاتهم يكونون قرناء الشياطين يتخاصمون فى النار ليزجرهم بذلك عن التمرد والعصيان، وهذا المعنى مقصود فى الإخبار، فلهذا سكت عن ذلك فى الوعد به.

* * * *

باب
القصاص يوم القيامة ممن استطال فى حقوق الناس وفى حسبه لهم حتي ينصفوا منه

مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»(١) البخارى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. إن كان له عمل صالح أخذه منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»(٢).

مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول ﷺ قال:« أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: إن المفلس من أمتى؛ من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة؛ ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته؛ فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار»(٣).

وخرج ابن ماجه، حدثنا محمد بن ثعلبة بن سواء، حدثنا عمى محمد بن سواء، عن حسين المعلم، عن مطر الوراق، عن نافع، عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من مات وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته ليس ثم دينار ولا درهم من ترك دنيا أو ضياعًا فعلى الله ورسوله»(٤).

الحارث بن أبى أسامة، وعن عبد الله بن أنيس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد أو قال الناس- شك- وأومأ بيده إلى الشام عراة غرلاً بهما» قال: ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب، أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة،

---

(١) مسلم (بر/ ٦٠) .
(٢) البخارى (٢٤٤٩) .
(٣) مسلم (٢٥٨١) .
(٤) صحيح أخرجه ابن ماجة (٢٤١٤) .

وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة، ولا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وواحد من أهل الجنة يطلبه حتى اللطمة، قال: قلنا: كيف وإنما نأتى الله عراة حفاة، قال: الحسنات والسيئات»[1].

ابن ماجة عن جابر ﷺ قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة الحبر قال: «ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة»؟ فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كفيه ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدًا. قال يقول رسول الله ﷺ: «صَدَقَتْ صدقتْ كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»[2].

(فصل) :

فيجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه، كما قال عمر ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحًا ويتدارك ما فرط من تقصير فى فرائض الله عز وجل، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده ، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلبته، وهذا يقول ظلمتنى، وهذا يقول شتمتنى، وهذا يقول استهزأت بى، وهذا يقول: ذكرتنى فى الغيبة بما يسوؤنى وهذا يقول: جاورتنى فأسأت جوارى، وهذا يقول عاملتنى فغششتنى ، وهذا يقول: بايعتنى وأخفيت عنى عيب متاعك، وهذا يقول: كذبت فى سعر متاعك، وهذا يقول: رأتنى محتاجًا وكنت غنيًا فما أطعمتنى، وهذا يقول:

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (حـ ٣ ص ٤٩٥)، والبخارى فى « الأدب المفرد » (٩٧٠) .

(٢) حديث حسن أخرجه ابن ماجة (٤٠١٠) .

وجدتنى مظلومًا وكنت قادرًا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتنى ، فبينما أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالهم واحكموا فى تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو جناية أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار ﴿ **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم** ﴾ [غافر: ١٧] فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة ، وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله ﷺ حيث قال: ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء**﴾ [إبراهيم : ٤٢، ٤٣] .

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم، وما شد حسرتك فى ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل، وشوفهت بخطاب السيئات، وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرًا، فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضًا عن حقوقهم، كما ورد فى الأحاديث المذكورة فى هذا الباب.

(فصل) :

واختلف الناس فى حشر البهائم وفى قصاص بعضها من بعض، فروى عن ابن عباس أن حشر الدواب والطير موتها، وقال الضحاك: وروى عن ابن عباس في رواية أخرى: أن البهائم تحشر وتبعث قاله أبو ذر، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، والحسن البصرى وغيرهم وهو الصحيح لقوله تعالى: ﴿ **وإذا الوحوش حشرت**﴾ [التكوير: ٥] وقوله: ﴿ **ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾[الأنعام: ٣٨]، قال أبو هريرة: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والطير والدواب وكل شىء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كونى ترابا فذلك قوله تعالى

حكاية عن الكفار: ﴿ ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا ﴾ [النبأ: ٤٠][(١)] ونحوه عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص.

* * * *

باب

أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبى ﷺ عن آبائهم دنية عن رسول الله ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه فى حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[(٢)] صححه أبو محمد عبد الحق.

* * * *

باب

أول ما يحاسب عليه العبد من عمله: الصلاة وأول ما يقضي فيه بين الناس: الدماء، وفى أول من يدعى للخصومة

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء»[(٣)] أخرجه البخارى أيضا والنسائى والترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح. وللنسائى أيضا عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس الدماء»[(٤)].

ومن حديث نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت

---

(١) حديث صحيح أخرجه الحاكم (جـ ٢ ص ٣١٦) وابن جرير فى تفسيره وانظر صحيح الأحاديث القدسية (٣٣١، ٣٣٢).

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٣٠٥٢).

(٣) مسلم (١٦٧٨)، والبخارى (٦٨٦٤).

(٤) صحيح أخرجه النسائى (جـ ٧ ص ٨٣).

نبيكم ﷺ يقول: «يأتى المقتول معلقًا رأسه بإحدى يديه متلببًا قاتله بيده الأخرى تشخب أوداجه دمًا حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه: هذا قتلنى فيقول الله تعالى للقاتل: تعست ويذهب به إلى النار»(١).

وخرجه ابن المبارك موقوفًا على عبد الله بن مسعود قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم عن أبى وائل، عن عبد الله فذكر معناه.

وخرجه الترمذى فى جامعه قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى قال: حدثنا شبابة قال: حدثنا ورقاء بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «يجىء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمًا يقول: يا رب قتلنى هذا حتى يدنيه من العرش»(٢) قال: هذا حديث حسن غريب.

مالك عن يحيى بن سعيد قال: بلغنى أن أول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة، فإن قبلت منه نظر فيما بقى من عمله، وإن لم تقبل منه لم ينظر فى شىء من عمله.

قلت: وهذا الحديث وإن كان موقوفًا بلاغًا، فقد رواه أبو داود الترمذى والنسائى مرفوعًا بهذا المعنى، عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: « أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة. قال: يقول ربنا عز وجل لملائكته: انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك » لفظ أبى داود وقال الترمذى: حديث حسن غريب وخرجه ابن ماجة أيضا(٣).

---

(١) حديث حسن أخرجه الطبرانى فى الكبير وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة وانظر صحيح الأحاديث القدسية (١٥٥) .

(٢) الترمذى (٣٠٢٩) .

(٣) انظر صحيح الأحاديث القدسية (٦٤ - ٦٨) .

(فصل) :

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك والله أعلم فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها وسجودها ولم يدر قدر ذلك، وأما من تعمد تركها أو شيئًا منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامدًا واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاكر له فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه والله أعلم .

قلت : ينبغى للإنسان أن يحافظ على أداء فرضه فيصليه كما أمر من إتمام ركوع وسجود، وحضور قلب. فإن غفل عن شيء من ذلك فيجتهد بعد ذلك فى نفله ولا يتساهل فيه ولا فى تركه، ومن لا يحسن أن يصلى الفرض فأحرى أن لا يحسن النفل لا جرم بل تنفل الناس فى أشد ما يكون من النقصان والخلل فى التمام لخفة النفل عندهم وتهاونهم به، ولعمر الله لقد يشاهد فى الوجود من يشار إليه ويظن به العلم يتهاون بنفله كذلك بل بفرضه إذ ينقره نقر الديك، فكيف بالجهال الذين لا يعلمون. وإذا كان هذا فكيف يكمل بهذا النفل ما نقص من الفرض هيهات هيهات! فاعلموا أن الصلاة إذا كانت بهذه الصفة دخل صاحبها فى معنى قوله تعالى: ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا** ﴾ [مريم: ٥٩] وقال جماعة من العلماء: التضييع للصلاة هو أن لا يقيم حدودها من مراعاة وقت وطهارة وتمام ركوع وسجود ونحو ذلك وهو مع ذلك يصليها، ولا يمتنع من القيام بها فى وقتها وغير وقتها قالوا: فأما من تركها أصلاً ولم يصلها فهو كافر .

وروى الترمذى عن أبى مسعود الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ : « لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود »[١]، وقال: حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ ومن بعدهم يرون أن يقيم الرجل صلبه فى الركوع والسجود .

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٦٥) .

وروى البخارى عن زيد بن وهب عن حذيفة، ورأى رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده، فلما قضى صلاته قال له حذيفة: ما صليت ولو مت مت على غير سنة محمد ﷺ[١]. وأخرجه النسائى أيضا عنه عن حذيفة أنه رأى رجلاً يصلى فخفف فقال له حذيفة: منذ كم تصلى هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين عاما قال: ما صليت ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة لمت على غير فطرة النبى، ثم قال: إن الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويحسن[٢]. والأخبار فى هذا المعنى كثيرة جدا قد أتينا عليها فى غير هذا الباب وهى تبين لك المراد من قوله تعالى: ﴿ **أضاعوا الصلاة** ﴾ .

وروى النسائى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة صلاته، فإن وجدت تامة كتبت تامة، وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته من تطوعه، ثم سائر الأعمال تجرى على ذلك. وهذا نص. وقال عمر رضي الله عنه: ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع[٣] .

وفى موطأ مالك، عن يحيى بن سعيد، عن النعمان بن مرة الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال: « ما ترون فى الشارب والسارق والزانى قال: وذلك قبل أن ينزل فيهم قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذى يسرق صلاته قالوا: يا رسول الله وكيف يسرق صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها »[٤].

* * * *

(١) أخرجه البخارى (٨٠٨) .

(٢) صحيح أخرجه النسائى (السهو/ ٦٦)، وأحمد (جـ ٥ ص ٣٨٤) .

(٣) النسائى (جـ ١ ص ١٣٣) .

(٤) الموطأ (قصر الصلاة/ ٧٢) وقال ابن عبد البر: لم يختلف الرواة عن مالك فى إرسال هذا الحديث عن النعمان بن مرة وهو حديث صحيح مسند من وجوه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد

بابـ
ما جاء فى شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ولقائهما الله عز وجل

قال الله تعالى: ﴿ اليوم نختم على أفواهم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ [يس: ٦٥] وقال: ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ [النور: ٢٤] وقال: ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ [فصلت: ٢١] الآية. وذكر أبو بكر بن أبى شيبة من حديث معاوية بن حيدة القرشى أن النبى ﷺ قال: « تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام وأول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه »[١].

مسلم عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مم أضحك»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: « من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرنى من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى قال: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا، فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقى فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام قال: فيقول: بعداً لكن وسحقًا، فعنكن كنت أناضل »[٢].

الترمذى عن أبى سعيد وأبى هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا، وسخرت لك الأنعام، والحرث وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقى يومك هذا؟ فيقول: لا. فيقول: اليوم أنساك كما نسيتنى »[٣]. قال: هذا حديث صحيح غريب، وأخرجه مسلم عن أبى هريرة بأطول من هذا وقد تقدم .

البخارى عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال: « يجاء بالكافر يوم القيامة

---

(١) حديث معاوية بن حيدة صحيح أخرجه أحمد (حـ ٥ ص ٥)، والحاكم (حـ ٢ ص ٤٤٠). انظر كتابنا « صحيح الأحاديث القدسية » (٣٢٩) .

(٢) مسلم (٢٩٦٩) .

(٣) صحيح أخرجه الترمذى (٢٤٢٨) وانظر صحيح مسلم (٢٩٦٨) .

فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا كنت تفتدى به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك »[1]. وأخرجه مسلم وقال بدل: «قد كنت» « كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك » .

(فصل) :

قوله عليه السلام: « فأول ما يتكلم من الإنسان فخذه » يحتمل وجهين:

أحداهما: أن يكون ذلك زيادة فى الفضيحة والخزى على ما نطق به الكتاب فى قوله: ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق** ﴾ [الجاثية: ٢٩] لأنه كان فى الدنيا يجاهر بالفواحش ويخلو قلبه عندها من ذكر الله تعالى فلا يفعل ما يفعل خائفا مشفقا فيجزيه الله بمجاهرته بفحشه على رءوس الأشهاد .

والوجه الآخر: أن يكون هذا فيمن يقرأ كتابه ولا يعرف بما ينطق به بل يجحد فيختم الله على فيه عند ذلك، وتنطق منه الجوارح التى لم تكن ناطقة فى الدنيا فتشهد عليه بسيئاته، وهذا أظهر الوجهين يدل عليه أنهم يقولون لجلودهم أى لفروجهم فى قول زيد بن أسلم. لم شهدتم علينا؟ فتمردوا فى الجحود فاستحقوا من الله الفضح والإخزاء. نعوذ بالله منهما .

(فصل) :

قوله: « وتركتك ترأس وتربع » أى ترأس على قومك بأن يكون رئيسًا عليهم ويأخذ الربع مما يحصل لهم من الغنائم والكسب، وكانت عادتهم أن أمراءهم كانوا يأخذون من الغنائم الربع ويسمونه المرباع .

يقال: ربع الجيش يربعه رباعة إذا أخذ ربع الغنيمة. قال الأصمعى: ربع فى الجاهلية وخمس فى الإسلام .

وقوله: اليوم أنساك كما نسيتنى: أى اليوم أتركك فى العذاب كما تركت عبادتى ومعرفتى .

---

(١) صحيح البخارى (٦٥٣٨)، ومسلم (صفات المنافقين/ ٥٣) .

فإن قيل: فهل يلقى الكافر ربه ويسـألـه؟ قلنا: نعم بدليل ما ذكرنا. وقد قال تعالى: ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم** ﴾ [الأعراف: ٦] فى أحد التأويلين وقال: ﴿ **ولو ترى إذا وقفـوا على ربهم** ﴾ [الأنعام: ٣٠] وقال: ﴿ **أولئك يعرضـون على ربهم** ﴾ [هود: ١٨] وقال ﴿ **وعرضوا على ربك صفًا** ﴾ [الكهف: ٤٨] الآيتين. وقال: ﴿ **إن إلينا إيابهم ۝ ثم إن علينا حسابهم** ﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦] وقال: ﴿ **وقال الذين كـفروا للذين آمنوا اتبعوا سـبيلنا ولنحمل خطاياكم** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وليسئلن يوم القيامة عمّا كانوا يفترون** ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣] والآى فى هذا المعنى كثير .

فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئـذ لمحجوبون** ﴾ [المطففين: ١٥] وقال: ﴿ **ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون** ﴾ [القصص: ٧٨] وقال: ﴿ **ولا يكلمهم الله** ﴾ [البقرة: ١٧٤] وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار .

قلنا: القيامة مواطن فموطن يكون فيه سؤال وكلام وموطن لا يكون ذلك فلا تتناقض الآى والأخبار والله المستعان .

قال عكرمة: القيامة مواطن يسأل فى بعـضها ولا يسأل فى بعضها. وقال ابن عباس: لا يسألون سؤال شفا وراحـة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لم عملتم كذا وكـذا والقاطع لهـذا قوله تعـالى: ﴿ **فوربك لنسـألنهم أجمـعين عمـا كانوا يعملون** ﴾ [الحجر: ٩٢] .

قال أهل التأويل عن لا إله إلا الله: وقد قيل: إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذى كان طول العـمر دثارهم وشعـارهم وكل دلالة من دلائل الإيمان خـالفوها وعاندوها، فإنهم يبكتـون عليها ويسألون عنها وعن الرسل وتكذيبـهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم .

وقال تعالى: ﴿**وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ۝ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسـئلن يوم القيامة عما كـانوا يفترون** ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣] والآى فى هذا المعنى كثيرة، ومن تأمل آخر سورة المؤمنين ﴿ **فإذا نفخ فى الصور** ﴾ [المؤمنون: ١٠١، ١١٨] إلى آخرها تبين له الصواب فى ذلك والحمد لله على ذلك .

فإن قيل: فقد ذكر اللالكائى فى سننه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: « لا يحاسب رجل يوم القيامة إلا دخل الجنة قالوا: ولأن الحساب إنما يراد للثواب والجزاء ولا حسنات للكافر فيجازى عليها بحسابه ولأن المحاسب له هو الله تعالى، وقد قال: ﴿ **ولا يكلمهم الله يوم القيامة** ﴾ [البقرة: ١٧٤] .

قلنا: ماروى عن عائشة قد خالفها غيرها فى ذلك الآيات والأحاديث الواردة فى ذلك وهو الصحيح، ومعنى: ﴿ **لا يكلمهم الله** ﴾ أى بما يحبونه، قال الطبرى: وفى التنزيل: ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وقد قيل: إن معنى قوله تعالى: ﴿ **لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون** ﴾ [القصص: ٧٨] ﴿ **ولا يسأل عن ذنبه إنس ولا جآن** ﴾ [الرحمن: ٣٩] سؤال التعرف لتمييز المؤمنين من الكافرين. أى أن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحدا يوم القيامة أن يقال: ما كان دينك وما كنت تصنع فى الدنيا حتى يتبين لهم بإخباره عن نفسه أنه كان مؤمنًا أو كان كافرًا. لكن المؤمنين يكونو ناضرى الوجوه منشرحى الصدور، ويكون المشركون سود الوجوه زرقًا مكروبين، فهم إذا كلفوا سوق المجرمين إلى النار وتميزهم فى الموقف كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم، ومن قال هذا فيحتمل أن يقول: إن الأمر يوم القيامة يكون بخلاف ما هو كائن قبله على ما وردت به الأخبار من سؤال الملكين الميت إذا دفن وانصرف الناس عنه فيسألون عن ربه ودينه ونبيه. أى إذا كان يوم القيامة لم تسأل الملائكة عند الحاجة إلى تمييز فريق عن هذا لاستغنائهم بمناظرهم عما وراءها، ومن قاله يحتج بقوله تعالى: ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ [الحجر: ٩٢] أخبر أنهم يسألهم عن أعمالهم وهذا الآية فى الكافرين، ومن قال: يسألهم عن أصل كفرهم ثم عن تجريدهم إياه كل وقت بإستهزائهم بآيات الله تعالى ورسله، فقد سألهم عما كانوا يعملون. وذلك هو المراد .

* * * *

بابـ
ما جاء فى شهادة الأرض
بما عمل عليها وفى شهادة المال علي صاحبه
وقوله تعالى: ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾

الترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ [الزلزلة: ٤] قال: « أتدرون ما أخبارها »؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أوأمة بما عمل على ظهرها تقول: عمل يوم كذا وكذا كذا. فهذا أخبارها » قال: هذا حديث حسن صحيح غريب[١].

ابن المبارك، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: من سجد فى موضع عند شجر أو حجر شهد له عند الله يوم القيامة قال: وأخبرنى ابن أبى خالد ﷺ قال: سمعت عيسى بن يحيى بن رافع يقول: سمعت عثمان بن عفان ﷺ يقول: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ [ق:١٩، ٢١] قال: سائق يسوقها إلى أمر الله وشاهد يشهد عليها بما عملت .

وخرج مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ وفيه: « وإن هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل أو كما قال رسول الله ﷺ وإنه من يأخذه بغير حقه كالذى يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة »[٢] وقد تقدم أنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر إلا شهد له يوم القيامة ». رواه أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ . ورواه الأئمة مالك وغيره .

قال المؤلف: فتفكر يا أخى وإن كنت شاهدًا عدلاً بأنك مشهود عليك فى كل أحوالك من فعلك ومقالك وأعظم الشهود لديك المطلع عليك الذى لا تخفى عليه خافية عين ولا يغيب عنه زمان ولا أين. قال الله تعالى: ﴿ ولا تعملون من عمل

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٣٣٥٣) .

(٢) مسلم (زكاة/ ١٢٢، ١٢٣) .

إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه ﴾ [يونس: ٦١] فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير . سبحانه لا إله إلا هو .

* * * *

باب
ما جاء فى سؤال الأنبياء
وفى شهادة هذه الأمة للأنبياء على أممهم

قال الله تعالى : ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين** ﴾ [الأعراف: ٦]، وقال: ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين** ﴾ [الحجر: ٩٣]. فيبدأ بالأنبياء عليهم السلام ﴿ **فيقول: ماذا أجبتم** ﴾ قيل: فى تفسيرها كانوا قد علموا ولكن ذهبت عقولهم وعزبت أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظيم الخطب وصعوبة الأمر فقالوا: ﴿**لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب**﴾ [المائدة: ١٠٩] ثم يقربهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام، ويقال: إن الهيبة تأخذ بمجامع قلوبهم فيذهلون عن الجواب. ثم إن الله يثبتهم ويحدث لهم ذكرا فيشهدون بما أجابت به أممهم ويقال: إنما قالوا ذلك تسليمًا كما فعل المسيح فى قوله: ﴿ **تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب** ﴾ [المائدة: ١١٦] والأول أصح لأن الرسل يتفاضلون، والمسيح من أجلهم لأنه كلمة الله وروحه، قاله أبو حامد .

وخرج ابن ماجه[١]، حدثنا أبو كريب وأحمد بن سنان قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «يجىء النبى يوم القيامة ومعه الرجل ويجىء النبى ومعه الرجلان ويجىء النبى ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا. فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجة (٤٢٨٤) .

وأمته فتدعى أمة محمد ﷺ، فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وذكره البخارى أيضا بمعناه عن أبى سعيد الخدرى(١) قال: قال رسول الله ﷺ: « يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ، فذلك قوله: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾. [البقرة: ١٤٣] .

* * * *

باب
ما جاء فى الشهداء عند الحساب

قال العلماء: وتكون المحاسبة بمشهد من النبيين وغيرهم قال الله تعالى: ﴿**وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق**﴾ [الزمر: ٦٩] وقال: ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ [النساء: ٤١] وشهيد كل أمة نبيها. وقيل: إنهم كتبة الأعمال وهو الأظهر فتحضر الأمة ورسولها، فيقال للقوم: ماذا أجبتم المرسلين، ويقال للرسل: بماذا أجبتم؟ فتقول الرسل: لا علم لنا، ثم يدعى كل واحد على الانفراد فالشاهد عليه صحيفة عمله وكاتبها فإنه قد أخبر فى الدنيا أن عليه ملكين يحفظان أعماله وينسخانها .

وذكر أبو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة أن المنادى ينادى من قبل الله: لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب، فيستخرج لهم كتاب عظيم يسد ما بين المشرق والمغرب فيه جميع أعمال الخلائق فما من صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما

---

(١) البخارى (٧٣٤٩) .

عملوا حاضـرًا ولا يظلم ربك أحدًا وذلك أن أعمال الخـلائق تعرض على الله فى كل يوم فيأمر الكرام البررة أن ينسخوها فى ذلك الكتاب العظيم وهو قوله تعالى: ﴿ **إنا كنا نستنسخ مـا كنتم تعملون** ﴾ [الجاثية: ٢٩] ثم ينادى بهم فردًا فردًا فيحاسب كل واحد منهم، فإذا الأقدام تشهد واليدان. وهو قوله تعالى: ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾ [النور: ٢٤] .

* * * *

باب
ما جاء فى عقوبة مانعي الزكاة وفضيحة الغادر والغال فى الموقف وقت الحساب

مسلم عن ابن عمر قـال: قال رسول الله ﷺ: « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبـه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: « ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إذا كان يوم القيـامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فضيلاً واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قـال: « ولا صاحب بقـر ولا غنم لا يؤدى منها حـقهـا إلا إذا كان يوم القيامـة بطح لها بقاع قرقر لا يفـقد منها شيئًـا ليس فيها عقـصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحـه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عـليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقـداره خمسين ألف سنة، حتى يقـضى بين العباد فيرى سـبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »، وذكر الحديث[1] .

وروى مالك موقـوفًا، والنسائى والبخارى مرفـوعًا عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا

(١) مسلم (٩٨٧) .

أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا: ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية »، وذكر مسلم من حديث جابر قال: « ولا صاحب كنز لا يؤدى فيه حقه إلا جاء يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه فاتحًا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذى خبأته فأنا عنه غنى فإذا رأى أن لابد له منه سلك يده فى فيه فيقضمها قضم الفحل » وذكر الحديث(١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول وعظم أمره ثم قال: « لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة يقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك» أخرجه البخارى أيضا(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان »(٣) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة »(٤) وذكر أبو داود الطيالسى وقال: حدثنا قرة بن خالد، عن

(١) مسلم (٩٨٨) .

(٢) البخارى (٢٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١) .

(٣) متفق على صحته أخرجه البخارى (٣١١٨)، ومسلم (١٧٣٥) .

(٤) أخرجه مسلم (١٧٣٨). عن أبى سعيد الخدرى .

عبد الملك بن عمير، عن رفاعة بن شداد، عن عمرو بن الحمق الخزاعى أن النبى ﷺ قال: « إذا آمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء غدر يوم القيامة»[1].

(فصل):

قال علماؤنا رحمهم الله فى قوله تعالى: ﴿ **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾ [آل عمران: ١٦١] أن ذلك على الحقيقة كما بينه ﷺ أى يأت به حاملاً له على ظهره ورقبته معذبًا بحمله وثقله ومرعوبًا بصوته وموبخًا بإظهار خيانته على رءوس الأشهاد، وكذا مانع الزكاة كما فى صحيح الحديث.

قال أبو حامد: فمانع زكاة الإبل يحمل بعيرًا على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم، ومانع زكاة البقر يحمل ثورا على كاهله له خورا وثقل يعدل الجبل العظيم، ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء وثقل يعدل الجبل العظيم والرغاء والخوار والثغاء كالرعد القاصف، ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله أعدالاً قد ملئت من الجنس الذى كان يبخل به برًا كان أو شعيرًا أثقل ما يكون ينادى تحته بالويل والثبور، ومانع زكاة المال يحمل شجاعًا أقرع له زبيبتان وذنبه قد انساب فى منخريه واستدارت بجيده وثقل على كاهله كأنه طوق بكل وحى فى الأرض وكل واحد ينادى مثل هذا فتقول الملائكة: هذا ما بخلتم به فى الدنيا رغبة فيه وشحًا عليه وهو قوله تعالى: ﴿ **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قلت: وهذا الفضيحة التى أوقعها الله بالغال ومانعى الزكاة نظير الفضيحة التى يوقعها بالغادر، وجعل الله هذه المعاقبات حسب ما يعهده البشر ويفهمونه ألا ترى إلى قول الشاعر:

أَسُمَىُّ ويحك هل سمعت بغدرةٍ رُفِعَ اللواءُ لنا بها فى المجمعِ

فكانت العرب ترفع للغادر لواء فى المحافل ومواسم الحج، وكذلك يطاف بالجانى مع جنايته، وذهب بعض العلماء إلى أن ما يجىء به الغال يحمله عبارة

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسى (١٢٨٦) وإسناده صحيح رجاله ثقات.

عن وزر ذلك؛ وشهرة الأمر أى يأتى يوم القيامة قد شهر الله أمره كما يشهر لو حمل بعيرا له رغاء أو فرسا له حمحمة .

قلت: وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والتشبيه، وقد أخبر النبى ﷺ بالحقيقة فهو أولى. وقد روى أبو داود عن (سمرة بن جندب) قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصاب غنيمة أمر بلالً فنادى فى الناس فيجيئون بغنائمهم فيخمسها ويقسمها، فجاء رجل يومًا بعد النداء بزمام من شعر، فقال: يا رسول الله هذا كان فيما أصبناه من الغنيمة. قال: « أسمعت بلالاً ثلاثا »؟ قال: نعم قال: « فما منعك أن تجيء به فاعتذر إليه فقال: «كلا أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك»(١).

وروى الزهرى عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار فعلى هذا من كان إمامًا ورأسًا فى أمر ما معروفًا به فله لواء يعرف به خيرًا كان أو شرًا، وقد يجوز أن يكون للصالحين الأولياء ألوية يعرفون بها تنويهًا بهم وإكرامًا لهم، والله أعلم. وإن كانوا غير معروفين قال النبى ﷺ: «رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره »(٢) وقال: « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى »(٣) أخرجهما مسلم.

(فصل) :

وقوله: « هذه غدرة فلان بن فلان »(٤) دليل على أن الناس يدعون فى الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وفى هذا رد على من قال: إنما يدعون بأسماء أمهاتهم لأن فى ذلك سترًا على آبائهم، وهذا الحديث خلاف قولهم. خرجه البخارى ومسلم وحسبك .

---

(١) هو فى سنن أبى داود (٢٧١٢) عن عبد الله بن عمرو لا عن سمرة بن جندب، وأخرجه الحاكم أيضًا فى المستدرك (جـ ٢ ص ١٣٩) وصححه .

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٦٢٢) .

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٩٦٥) .

(٤) حديث البخارى (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥) .

وروى الأئمة، عن أبى حميد الساعدى، عن النبى ﷺ أنه استعمل رجلاً من بنى أسد يقال له: ابن الأُتبية على الصدقة فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدى لى، فقام النبى ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: « ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول: هذا لكم وهذا أهدى لى أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا لا يأتى أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة إن كان بعيرا فله رغاء، وإن كان بقرة فلها خوار أو شاة تبعر، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطيه، ثم قال: اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت »[١] وروى أبو داود عن بريد عن النبى ﷺ « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول »[٢] .

* * * *

باب
ما جاء في حوض النبى ﷺ فى الموقف وسعته وكثرة أوانيه وذكر أركانه ومن عليها

ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن حوض النبى ﷺ إنما هو بعد الصراط، والصحيح أن للنبى ﷺ حوضين: أحدهما فى الموقف قبل الصراط، والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرًا، والكوثر فى كلام العرب: الخير الكثير، واختلف فى الميزان والحوض أيهما قبل الآخر، فقيل: الميزان قبلُ، وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسى: والصحيح أن الحوض قبل .

قلت: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم، فيقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم .

---

(١) حديث صحيح عن أبى حميد الساعدى أخرجه البخارى فى صحيحه (٧١٧٤) والدارمى فى مسنده (٢٤٩٣)، والبيهقى (حـ ١٠ ص ١٣٨) وأحمد (حـ ٥ ص ٤٢٣)، وابن خزيمة (٢٣٣٩) ورواه أيضًا أبو داود والترمذى والنسائى .

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٢٩٤٣) والحاكم أيضًا فى مستدركه (حـ ١/ ٤٠٦) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

وقد روى البخارى عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « بينا أنا نائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلم فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم فقال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بينى وبينهم رجل فقال لهم: هلم فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم »[1].

قلت: فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه، فمن جازه سلم من النار، وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون أيضا فى الموقف .

مسلم عن أبى ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذى نفس بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا فى الليلة المظلمة المُصْحِيَة، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ، آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل »[2].

وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: « إنى لبعقر حوضى أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاى حتى يرفضٌ عليهم فسئل عن عرضه فقال: من مقامى إلى عمان. وسئل عن شرابه فقال: أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل، يغت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق »[3].

مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: « نزلت على آنفا سورة فقرأ: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم ۝ إنا أعطيناك الكوثر ۝ فصل لربك وانحر ۝إن شانئك هو الأبتر** ﴾ (الكوثر) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا:

---

(١) أخرجه البخارى (٦٥٨٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٠٠) .

(٣) صحيح أخرجه مسلم (٢٣٠١) عن ثوبان ﷺ .

الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: يا رب إنه من أمتى، فيقال: ما تدرى ما أحدث بعدك »[١]. وفى رواية أخرى: ما أحدث .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ « حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء من ورد فشرب منه لم يظمأ بعده أبدًا». أخرجه البخارى[٢].

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال: « إن أمامكم حوضًا كما بين جربًا وأذرح فيه أباريق كنجوم السماء من ورد فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدا »[٣].

قال عبيد الله فسألته فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث. أخرجه البخارى .

(فصل) :

ظن بعض الناس أن هذه التحديدات فى أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك، وإنما تحدث النبى ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة. وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبًا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: ما بين أذرح وجربًا، ولأهل اليمن: من صنعاء إلى عدن. وهكذا وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول: مسيرة شهر، والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات فخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفونها، والله أعلم .

ويغت: معناه يصب، ويشخب: أى يسيل والعقر: مؤخر الحوض حيث تقف

(١) أخرجه مسلم عن أنس برقم (٤٠٠) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٥٧٩) .

(٣) شطره الأول من حديث ابن عمر فى صحيح البخارى برقم (٦٥٧٧)، وشطره الآخر عن غير ابن عمر فى الصحيح أيضًا .

الإبل إذا وردته، وتسكن قافه وتضم فيقال: عقر وعقر كعسر وعسر قاله فى الصحاح. والهمل من النعم: الضوال من الإبل واحدها هامل قاله الهروى. والمعنى أن الناجى منهم قليل كهمل النعم .

* * * * *

باب
فقراء المهاجرين أول الناس ورودًا
الحوض علي النبىﷺ

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: « إن حوضى ما بين عدن إلى أيلة أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل أكاويبه كعدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا، وأول الناس من يرد على الحوض فقراء المهاجرين: الدنس ثيابا الشعث رءوسًا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد قال: فبكى عمر حتى ابتلت لحيته فقال: لكنى نكحت المتنعمات وفتحت لى أبواب السدد، لا جرم أن لا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ، ولا أدهن رأسى حتى تشعث ». خرجه الترمذى[1].

* * * *

باب
ذكر من يطرد عن الحوض

البخارى عن أنس عن النبى ﷺ قال: « ليردن علىَّ ناس من أصحابى الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دونى فأقول: أصحابى، فيقال لى: لا تدرى ما أحدثوا بعدك »[2].

وعن أبى هريرة أنه كان يتحدث أن رسول الله ﷺ قال: « يرد علىَّ

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٢٤٤٤) كما أخرجه ابن ماجة والحاكم من حديث ثوبان أيضًا .
(٢) صحيح البخارى (٦٥٨٢) .

الحوض رهط من أصحابى فيخلون عن الحوض فـأقول: يا رب أصحابى، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى »[١].

مسلـم عن أسماء بنت أبـى بكر ﵄ قالت: قـال رسول الله ﷺ: « إنى على الحوض حـتى أنظر من يرد علىَّ منكم، وسيؤخذ ناس دونـى فأقول: يا رب منى ومن أمتى فيقـال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحـوا بعدك يرجعون على أعقابهم ». وفى حديث أنس « فيختلج العبد منهم فأقول: يا رب من أمتى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك »، وقد تقدم. وكذلك حديث البخارى «إذا زمـرة حتى إذا عـرفتـهم» تقدم أيضـا. وفى الموطأ وغـيره من حـديث أبى هريرة فقالوا: كـيف تعرف من يأتى بعدك من أمتك يا رسول الله؟ الحديـث. وفيه قال: «فإنهم يأتون غرًا محجلين من أثر الوضوء»[٢].

(فصل) :

قال علماؤنا رحمة الله عليـهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيـه ما لا يرضـاه الله ولم يأذن به الله، فهـو من المطرودين عن الحوض المبـعدين عنه، وأشدهم طردًا من خـالف جماعة المسلمـين وفارق سبيلهم وكـذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعـاصى. وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع. ولا يخلد فى النار إلا كافر جاحد مبطل ليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .

وروى الترمـذى عن كعب بن عجـرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أعـيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدى فمن غشى أبوابهم فصدقهم فى كذبهم وأعانهم على ظلمـهم فليس منى ولست منه، ولا يرد على الحوض، ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم فى كـذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه، وسيرد على الحـوض، يا كعب بن عجرة: الصلاة برهان، والصبـر جنة حصينة، والصدقة تطفىء الخطيئة كـما يطفىء الماء النار، يا كعب بن عجزة إنه لا يربو لحم

(١) أخرجه البخارى (٦٥٨٥) .

(٢) مسلم (٢٢٩٣) .

نبت من سحت إلا كانت النار أولى به »[١] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وخرجه أيضا فى كتاب الفتن وصححه .

* * * *

باب
ما جاء فى الكوثر الذي أعطيه ﷺ في الجنة

البخارى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: « بينا أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فإذا طينه أو طينته مسك أذفر » - شك هدبة - خرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وزاد « ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فرأيت عندها نورًا عظيمًا »[٢].

الترمذى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج »[٣]. هذا حديث حسن، والله أعلم .

* * * * *

تم بحمد الله وتوفيقه

الجزء الأول

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٦١٤) .

(٢) البخارى (٢٩٦٤)، والترمذى (٣٣٥٩) .

(٣) صحيح أخرجه الترمذى (٣٣٦١)، وابن ماجة (٤٣٣٤) .

[أبواب الميزان]

باب
ما جاء فى الميزان وأنه حق

قال الله تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال: ﴿ فأما من ثقلت موازينه ۝ فهو فى عيشة راضية ۝ وأما من خفت موازينه ۝ فأمه هاوية﴾ [القارعة: ٦:٩]. قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعد وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغى أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها. قال الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا ﴾ الأية.

وقال: ﴿ فأما من ثقلت موازينه ۝ فهو فى عيشة راضية﴾إلى آخر السورة.

وقال: ﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسرو أنفسهم ﴾ [الأعراف: ٨، المؤمنون: ١٠٣] الآيتين. فى الأعراف والمؤمنين.

وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكافر لأن عامة المعنيين بقوله خفت موازينه فى هذه الآيات هم الكفار وقال فى سورة المؤمنين: ﴿ فكنتم بها تكذبون ﴾ [المؤمنون: ١٠٥] وفى الأعراف: ﴿ بما كانو بآياتنا يظلمون ﴾ وقال: ﴿ فأمه هاوية ﴾ وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار، وإذا جمع بينه وبين قوله: ﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾[الأنبياء: ٤٧] ثبت أن الكفار يسألون عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه.

إذ لم يسألوا عما خالفوا فيه أصل دينهم من ضروب تعاطيهم ولم يحاسبوا به ولم يعتد بها فى الوزن أيضا، فإذا كانت موزونة دل على أنهم يحاسبون بها وقت الحساب.

وفى القرآن ما يدل أنهم مخاطبون بها مسؤولون عنها محاسبون بها مجزيون على الإخلال بها لأن الله تعالى يقول: ﴿ ويل للمشركين ۝ الذين لا يؤتون

الزكاة﴾ [فصلت ٦. ٧] فتوعـدهم على منعهم الزكاة وأخبر عن المجـرمين أنهم يقال لهم: ﴿**ما سلككم فى سقر**﴾ [المدثر. ٤٢] الآية. فبان بهذا أن المشـركين مخاطبون بالإيمان والبـعث وإقام الصلاة وإيـتاء الزكاة، وأنهم مـسؤولون عنها مـحتسـبون مجزيون على الإخلال بها .

وفى البخارى عن أبى هريرة عن النبـى ﷺ قال: «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرأوا إن شئتم: ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾»[١] [الكهف: ١٠٥] .

قال العلماء: معنى هذا الحديث أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن فى موازين يوم القيامة، ومن لا حسنة له فهو فى النار .

* * * *

بابـ
منه وبيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه ومن قضى لأخيه حاجة

الترمذى عن عبد الله بن عـمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الله يستخلص رجلاً من أمـتى على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشـر عليه تسعة وتسعين سجـلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنـكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يارب. فـيقول: أفلك عذر؟ فقال : لا يارب فيقول: بل إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخـرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فيـقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات فى كفة البطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء» [٢] قال: حديث حـسن غريب وأخرجه ابن ماجـه فى سننه وقال: بدل قوله فى أول

---

(١) أخرجه البخارى (٤٧٢٩) .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم (١/ ٦، ٢٥٩) وهو حديث صحيح.

الحديث إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة يصاح برجل من أمتي على رءوس الخلائق وذكر الحديث .

وقال محمد بن يحيى: البطاقة : الرقعة. أهل مصر يقولون للرقعة: بطاقة.

(فصل) :

قال المؤلف: الميزان حق ولا يكون فى حق كل أحد بدليل قوله عليه السلام: فيقال : « يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه »[1] الحديث، وقوله تعالى: ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم** ﴾ [الرحمن: ٤١] الآية، وإنما يكون لمن بقى من أهل المحشر ممن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا من المؤمنين وقد يكون للكافرين على ما ذكرنا .

(فصل) :

فإن قيل : أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه فتقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن والكافر لا يكون له حسنات، فما الذى يقابل بكفره وسيئاته وأنى يتحقق فى أعماله الوزن؟

فالجواب : إن ذلك على وجهين .

أحدهما: أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته فى إحدى كفتيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها فى الكفة الأخرى؟ فلا يجدها فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة، فذلك خفة ميزانه وهذا ظاهر الآية؛ لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون، وإذا كان فارغًا فهو خفيف.

والوجه الآخر: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومؤاساة الناس وعتق المملوك ونحوهما مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع فى ميزانه، غير أن الكفر إذاقابلها بها

---

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل أخرجه البخارى فى صحيحه (٤٧١٢)، وأبو عوانة (١/ ١٧١) وغيرهما عن أبى هريرة .

رجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب الذى فيه الخيرات من ميزانه خفيفًا ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا .

فإن قيل: لو احتسبت خيراته حتى يوزن لجوزى بها جزاء مثلها وليس له منها جزاء؛ لأن رسول الله ﷺ سئل عن عبد الله بن جدعان وقيل له: إنه كان يقرى الضيف ويصل الرحم ويعين فى النوائب، فهل ينفعه ذلك؟ فقال: « لا لأنه لم يقل يومًا : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين »[١] .

والجواب: أن الله تعالى قال: ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا** ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ولم يفصل بين نفس ونفس، فخيرات الكافر توزن ويجزى بها ، إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة فجزاؤه أن يخفف عنه بدليل حديث أبى طالب فإنه قيل له: يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ فقال: « نعم وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار » وما قاله عليه السلام فى ابن جدعان إنما هو فى أنه لا يدخل الجنة ولا يتنعم بشىء من نعيمها والله أعلم .

(فصل) :

أصل ميزان موزان قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها . قال ابن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها ، ومن المتكلمين من يقول كذلك ، والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز. قال الله عز وجل : ﴿ **وإنَّ عليكم لحافظين ۞ كراما كاتبين** ﴾ [الأنفطار: ١٠، ١١] .

وروى عن مجاهد والضحاك والأعمش أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء، وذكر الوزن والميزان ضرب مثل كما يقول: هذا الكلام فى وزن هذا أى يعادله ويساويه وإن لم يكن هناك وزن .

قلت: وهذا القول مجاز وليس بشىء وإن كان شائعًا فى اللغة للسنة الثابتة فى

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٢٠)،وأبو عوانة (١/ ١٠٠)، والحاكم(٢/ ٤٠٥) وصححه ووافقه الذهبى.

الميـزان الحقـيقى ووصـفه بكفـتيـن ولسان، وإن كل كـفة منهـما طبـاق السموات والأرض.

قال علماؤنا: ولو جـاز حمل الميزان على ما ذكروه لجـاز حملُ الصراط على الدين الحق، والجنةُ والنـارُ على ما يـرد على الأرواح دون الأجسـاد من الأحـزان والأفـراح، والشـياطينُ والجنُ عـلى الأخلاق المذمـومـة ، والملائكةُ على القـوى المحمودة ، وهذا كله فاسد فإنه رد لما جاء به الصادق ﷺ .

* * * *

بـاب

إذا كان يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد فإذا بقى فى هذه الأمة منافقون امتحنوا وضرب الصراط

الترمـذى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : «يجـمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد ، فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون » وذكر الحديث بطوله[١].

وخرج مسلم عنه أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ : « هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله. قال: هل تضارون فى رؤية الشـمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال : فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيـامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقول: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربـنا عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفـون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فـيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهـرى جهنم، فأكون أنا وأمتى أول من يجوز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٥٧)، وأحمد (٢/ ٣٦٨) .

سلم سلم، وفى جهنم كـلاليب مثل شوك السعدان. هل رأيتم السـعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله . قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمـالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجـازى حتى ينجى » وذكر الحديث[1].

(فصل) :

قوله : « هل تضارون» : من الضر المشدد.

والمعنى أن أهل الجنة إذا امتن الله عليهم برؤيته سبحانه تجلى لهم ظاهرًا بحيث لا يحجب بعـضهم بعضًا ولا يضره ولا يزاحـمه ولا يجادله كمـا يفعل عند رؤية الأهلة، بل كالحال عند رؤية الشمس والقمر ليلة تمامه .

وقد روى تضـامون من المضامـة وهى الازدحام أيضًا. أى لا تزدحـمون عند رؤيته تعالى كما تزدحمون عند رؤية الأهلة .

وروى تضامـون بتخفـيف الميم من الضيم الذى هو الـذل أى لا يذل بعضكم بعضًا بالمزاحمة والمنافسة والمنازعة .

وقوله : « فإنكم ترونه» كذلك هذا تشبيه للرؤية وحالة الرائى لا المرئى، لأن الله سبحانه لا يحاط به وليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء.

وقوله: «فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون» هذا موضع الامتحان ليـميـز المحق من المبطل وذلك أنه لما بقى المنافـقون والمراؤون مـتلبسـين بالمؤمنين والمخلصين زاعمين أنهم منهم وأنهم عملوا مثل أعمالهم وعرفوا الله مثل معرفتهم. امتحنهم الله بأن أتاهـم بصورة قالت للجميع: أنا ربكم. فـأجاب المؤمنون بإنكار ذلك والتعـوذ منه لما قد سبق لهم من مـعرفتهم بالله عـز وجل فى دار الدنيا وأنه منزه عن صفات هذه الصور إذ سماتها سمات المحدثين .

ولهذا قال فى حديث أبى سعيد الخـدرى فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا.

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان/ ٢٩٩)، بل أخرجه البخارى أيضًا (٨٠٦) .

والدعوى: الدعاء. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾ [يونس: ١٠] أى دعاؤهم والكلاليب: جمع كلوب. والسعدان: نبت كثير الشوك شوكه كالخطاطيف والمحاجن ترعاه الإبل فيطيب لبنها. تقول العرب: مرعى ولا كالسعدان. والموبق: المهلك أوبقه ذنبه: أهلكه.

ومنه الحديث: «اجتنبوا السبع الموبقات»[1]. وقوله تعالى: ﴿ أو يوبقهن بما كسبوا ﴾ [الشورى: ٣٤] والمجازى: الذى جوزى بعمله.

وقوله: ﴿ يكشف عن ساق ﴾ كشف الساق عبارة عن عظم الأمر وشدته.

وقال أبو عبيدة: إذا اشتد الأمر أو الحرب قيل: كشف الأمر عن ساقه. والأصل فيه أن من وقع فى شىء يحتاج إلى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها فى موضع الشدة قال الشاعر:

وكنت إذا جارى دعا لمصيبة أشمر حتى ينصف الساق مئرزى

وقيل: يكشف عن ساق جهنم، وقيل: عن ساق العرش.

فأما ما روى أن الله تعالى يكشف عن ساقه يوم القيامة، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنه كما فى صحيح البخارى[2] فإنه تعالى على التبعيض والأعضاء. وأن ينكشف ويتغطى، ومعناه أى يكشف على العظيم من أمره.

وقال الخطابى: إنما جاء ذكر الكشف عن الساق على معنى الشدة، فيحتمل أن يكون معنى الحديث أن يبرز من أهوال القيامة وشدتها ما يرتفع معه سواتر الامتحان، فيميز عند ذلك أهل اليقين والإخلاص، فيؤذن لهم فى السجود، وينكشف الغطاء عن أهل النفاق فتعود ظهورهم طبقًا واحدًا لا يستطيعون السجود قال: وقد تأوله بعض الناس فقال: لا ينكر أن يكون الله سبحانه قد يكشف لهم عن ساق لبعض المخلوقين من ملائكته أو غيرهم؛ فيجعل ذلك سببًا لبيان ما شاء

---

(١) هو أول حديث فى السبع الموبقات أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وأبو داود والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة.

(٢) أخرجه البخارى (٧٤٣٩).

من حكمه فى أهل الإيمان وأهل النفق. وقال أبو سليمان وقد يحتمل أن يكون المراد التجلى لهم وكشف الحجب عن أبصارهم حتى إذا رأوه سجدو له.

قال المؤلف: هذا القول أحسن الأقوال إن شاء الله، وقد جاء فيه حديث حسن ذكره أبو الليث السمرقندى فى تفسير سورة ﴿ ن والقلم ﴾ فقال: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا ابن منيع قال: حدثنا هدبة قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علىّ بن زيد، عن عمارة القرشى عن أبى بردة بن أبى موسى قال: حدثنى أبى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة مثل لكم قومٍ ما كانوا يعبدون فى الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم: ما تنتظرون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: إن لنا ربًا كنا نعبده فى الدنيا ولم نره، قال: وتعرفونه إذ رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال: فكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنه لا شبيه له، فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجدًا، وتبقى أقوام ظهورهم مثل صياصى البقر فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ فيقول الله تعالى: عبادى ارفعوا رءوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم من اليهود والنصارى فى النار[١].

قال المؤلف: فهذا حديث يبين لك معنى كشف الساق وأنه عبارة عن رؤيته سبحانه وهو معنى ما فى صحيح مسلم، والحديث يفسر بعضه بعضًا فلا إشكال فيه، والحمد لله.

* * * *

(١) إسناده ضعيف لضعف عمارة القرشى، وعلى بن زيد لكن معناه صحيح فى معنى حديث مسلم قبله.

بـاب
كيف الجواز علي الصراط وصفته
وبيان قوله: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم: ٧١]

ذكر مسلم من حديث أبى هريرة: «فيـأتون محمدًا ﷺ فيؤذن لهم وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالاً فيمر أولكم كالبرق » .

قال: قلت بـأبى أنت وأمى وأى شىء كمـر البرق؟ قال: «ألم تر إلـى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبـيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حـتى تعجز أعمال العباد حتى يجىء الرجل ولا يستطيع السير إلا زحفًا».

قال: «وفى حافـتى الصراط كلاليب معـلقة مأمورة بأخذ مـن أمرت بأخذه. فمـخدوش ناج، ومكردس فـى النار، والذى نفس محـمد بيـده: إن قعر جـهنم لسبعون خريفـًا»(١).

وروى من حديث حـذيفة أيضـًا. وذكر مـسلم أيضًا من حـديث أبى سعـيد الخدرى وفيه: «ثم يـضرب الجسر على جهنم وتحل الشفـاعة ويقولون: اللهم سلم سلم» قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجـد فيها شـوكة يقال لها: السـعدان فيمـر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجـاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم» الحديث وسيأتى بتمامه إن شاء الله تعالى.

وفى رواية قال أبو سعيد الخدرى: «بلغـنى أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف» وفى رواية: «أرق من الشعر» رواها مسلم(٢).

وخرج ابن ماجه حـديث أبى سعيد الخدرى قال: سـمعت رسول الله ﷺ يقـول: «يوضع الصراط بين ظهـرانى جهنم على حـسك كحـسك السعـدان. ثم

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥) .

(٢) مسلم أيضًا (١٩٥) .

يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوج به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها»[1].

فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار، المانعة لك من المشى على بساط الأرض، فضلاً عن حدة الصراط. فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانى، والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فتسفل إلى جهة النار رؤوسهم، وتعلوا أرجلهم فيا له من منظر ما أفظعه، ومرتقى ما أصعبه، ومجاز ما أضيقه .

(فصل) :

ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب فى وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصى. ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها. وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفى: دقيق. فضرب المثل له بدقة الشعر. فهذا والله أعلم من هذا الباب.

ومعنى قوله: «وأحد من السيف»: أن الأمر الدقيق الذى يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة فى إجازة الناس على الصراط يكون فى نفاذ حد السيف ومضيه إسراعًا منهم إلى طاعته وامتثاله. ولا يكون له مرد كما أن السيف إذا نفذ بحدة وقوة ضاربة فى شيء لم يكن له بعد ذلك مرد.

وإما أن يقال: إن الصراط نفسه أحدّ من السيف وأدق من الشعر، فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه وأن فيه كلاليب وحسكًا أى أن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يزل ثم يقوم. وفيه أن من الذين يمرون عليه

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٠) .

من يعطى النور بقدر موضع قدميه، وفى ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطىء الأقدام ومعلوم أن رقة الشعر لا يحتمل هذا كله. وقال بعض الحافظ: إن هذه اللفظه ليست بثابتة .

قال المؤلف: ما ذكره القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار، وأن الإيمان يجب بذلك. وأن القادر على إمساك الطير فى الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة فى ذلك، للآثار الواردة فى ذلك وثباتها بنقل الأئمة العدول: ﴿ **ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور** ﴾ [النور: ٤٠].

(فصل) :

معنى الورود المذكور فى القرآن فى قوله عز وجل: ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ [مريم: ٧١] .

روى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا: «الورود، المرور على الصراط» .

وأسند أبو عمر بن عبد البر فى ذلك حديثًا فى التمهيد، عن أبى هريرة أن رسول الله عاد مريضًا من وعك به فقال النبى ﷺ : «أبشر فإن الله تعالى يقول: هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار»[١].

وقيل: المراد بالورود الإشراف على جهنم والاطلاع عليها والقرب منها وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها فى حالة الحساب، ثم ينجى الله الذين اتقوا مما نظروا إليه، ويصار بهم إلى الجنة ونذر الظالمين أى يؤمر بهم إلى النار، قال الله تعالى: ﴿ **ولما ورد ماء مدين** ﴾ [القصص: ٢٣] أى أشرف عليه لا أنه دخله وروت حفصة أن رسول الله ﷺ قال: « لا

---

(١) حديث صحيح بشواهده أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٤)، والترمذى (٢٠٨٨)، وابن ماجه (٣٤٧٠)، والحاكم (١/ ٣٤٥) وصححه ووافقه الذهبى. وانظر كتابنا جامع الأحاديث القدسية برقم (٨٤٩) طبع الريان للتراث .

يدخل النار أحد من أهل بدر، والحديبيـة » قالت: فقلت: يا رسول الله وأين قول الله عز وجل: ﴿ وإن منكـم إلا واردها ﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ خرجه مسلم من حديث أم مبـشر قالت: سمعت رسول الله ﷺ عند حفصة. الحديث[١] .

وقيل: الخطاب للكفار في قوله تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ .

وقال الجمهور: المخاطب العالم كله ولابد من ورود الجميع وعليه نشأ الخلاف في الورود كـما ذكرنـا والصحـيح أن الورود: الدخول لحـديث أبى سعـيد كـما ذكرنا[٢] .

وفي مسند الدارمي أبي محمد، عن عبـد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يرد الناس النار ثم يصـدرون عنها بـأعمـالهم فأولهم كلمح البـرق، ثم كالريح ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل في مشيه»[٣] .

وقال ﷺ: « لا يموت لأحـد من المسلمين ثلاثة من الولد فتـمسه النار إلا تحله القسم »[٤] خرجه الأئمة. قال الزهرى كأنه يريد هذه الآية: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ذكره أبو داود الطيالسي في مسنده، وهذا يبين لك ما ذكرناه لأن المسيس حقـيقته في اللغـة المماسة إلا أنهـا تكون بردًا وسلامًا على المؤمنين وينجـون منها سالمين .

قلت: والذي يجمع شتات الأقوال: أن يقال: إن من وردها، ولـم تؤذه بلهبها وحرها فقد أبعد عنها ونجى منها، نجانا الله منها بفضله وكرمه، وجعلنا ممن وردها سالمًا، وخرج منه غانمًا .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) .

(٢) سبق ذكره آنفًا .

(٣) حديث صحـيح أخرجه الدارمي (٢٨١٠)، والترمذى (٣١٥٩)، وأحـمد (١/ ٤٣٥)، والحاكم (٢/ ٣٧٥) وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه مـسلم (٢٦٣٢) بهذا اللفظ، والبخارى (٦٦٥٦) بنحـوه، والطيالسى (٢٣٠٤) عن أبى هريرة .

وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود، والجهل بالصدر، كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول: ليت أمى لم تلدنى فتقول له امرأته: يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك وهداك إلى الإسلام، قال: أجل ولكن الله قد بين لنا أنا واردوا النار ولم يبين لنا أنا صادرون .

وعن الحسن قال: قال رجل لأخيه: أى أخى هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا . قال: ففيم الضحك إذًا؟ قال: فما رئى ضاحكًا حتى مات .

* * * *

باب
ما جاء فى شعار المؤمنين على الصراط

فى صحيح مسلم: ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم[1] وقد تقدم .

* * * *

باب
ثلاثة مواطن لا يخطئها النبى ﷺ لعظم الأمر فيها وشدته

الترمذى عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة قال: « أنا فاعل إن شاء الله » قال: فأين أطلبك؟ قال: « أول ما تطلبنى على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: فاطلبنى عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبنى عند الحوض، فإنى لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن ». قال: هذا حديث حسن[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥) من حديث أبى هريرة وحذيفة معًا .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢٤٣٣) .

باب
ذكر الصراط الثاني
وهو القنطرة التى بين الجنة والنار

اعلم رحمك الله أن فى الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو من يلتقطه عنق النار فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الذى ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذى يسقط فيها من أوبقة ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه .

البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا[١] .

(فصل) :

قلت : معنى « يخلص المؤمنون من النار » أى: يخلصون من الصراط المضروب على النار .

* * * *

(١) أخرجه البخارى (٦٥٣٥)، وأحمد (٣/ ٦٣) .

باب
من دخل النار من الموحدين
مات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة

مسلم عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناسًا أصابتهم النار بذنوبهم أو قال: بخطاياهم فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن لهم فى الشفاعة فيجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل » فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان يرعى الغنم بالبادية[1].

(فصل):

هذه الموتة للعصاة موته حقيقية لأنه أكدها بالمصدر، وذلك تكريمًا لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخلد فيها ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذقوا العذاب﴾ [النساء: ٥٦].

فإن قيل: فما معنى إدخالهم النار وهم فيها غير عالمين؟ قيل: يجوز أن يدخلهم تأديبًا لهم وإن لم يعذبهم فيها، ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين فى السجون، فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد والله أعلم.

وقوله: « ضبائر ضبائر » معناه جماعات جماعات الواحدة ضبارة بكسر الضاد وهى الجماعة من الناس. « وبثوا » فرقوا. « والحبة »: بكسر الحاء بزر البقول. و«حميل السيل» ما احتمله من غثاء وطين.

* * * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥).

بابـ
فى الشافعين لمن دخل النار

ابن ماجه، عن عبد الله بن أبى الجدعاء أنه سمع النبى ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم» قالوا: يا رسول الله سواك؟ قال: « سواى » قلت: أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال: « أنا سمعته»[1] أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح غريب. ولا نعرف لابن الجدعاء غير هذا الحديث الواحد .

وذكر البزار فى مسنده، عن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة »[2].

(فصل) :

إن قال قائل: كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار، والله تعالى يقول: ﴿ **إنك من تدخل النار فقد أخزيته** ﴾ [آل عمران: ١٩٧] وقال: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿ **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ [النجم: ٢٦] ومن ارتضاه الله لا يخزيه. قال الله تعالى: ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ [التحريم: ٨] الأية؟ قلنا: هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق، وحادوا عن التحقيق .

وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة، فإن الشفاعة تنفع العصاة من أهل الملة، حتى لا يبقى منهم أحد إلا دخل الجنة والجواب عن الآية الأولى ما قاله أنس بن مالك ﷺ أن معنى: ﴿ **من تدخل النار** ﴾ من يخلد. وقال قتادة: يدخل مقلوب يخلد ولا تقول كما قال أهل حروراء فيكون قوله على هذا: ﴿ **فقد أخزيته** ﴾ على بابه من الهلاك أى أهلكته وأبعدته ومقته. وبهذا قال سعيد

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٢٤٣٨)، وابن ماجه (٤٣١٦) .

(٢) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٣٨٢) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

ابن المسيب، فإن الآية جاءت خاصة فى قوم لا يخرجون من النار. دليله قوله فى آخر الآية: ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾ أى الكفار .

وإن قدرنا الآية فى العصاة من الموحدين، فيحتمل أن يكون الخزى بمعنى الحياء. يقال: خزى يخزى خزاية إذا استحى فهو خزيان وامرأة خزيانة. كذا قال أهل المعانى فخزى المؤمنين يومئذ: استحياؤهم فى دخول النار من سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها. والخزى للكافرين هو هلاكهم فيها من غير موت والمؤمنون يموتون، فافترقوا فى الخزى والهوان، ثم يخرجون بشفاعة من أذن الله له في الشفاعة وبرحمة الرحمن وشفاعته على ما يأتى فى الباب بعد هذا، وعند ذلك يكونون مرضيين قد رضى عنهم، ثم لا يأتى الإذن فى أحد حتى لا يبقى عليه من قصاص ذنبه إلا ما تجيزه الشفاعة فيؤذن فيه فيلحق بالفائزين الراضين، والحمد لله رب العالمين .

وأما قوله تعالى: ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه** ﴾ فمعناه: لا يعذبه ولا يعذب الذين آمنوا وإن عذب العصاة وأماتهم فإنه يخرجهم بالشفاعة وبرحمته .

* * * *

باب
منه فى الشفعاء وذكر الجهنميين

وذكر مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ وفيه:

«حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله تعالى فى استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار»[1] .

وخرجه ابن ماجه ولفظه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ: « إذا خلص الله المؤمنين من النار وأمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه فى الحق يكون له فى

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣) ضمن حديث مطول .

الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين للذين دخلوا النار. قال يقولون ربنا إخواننا كانوا. فذكره بمعناه. يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه يقولون: ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به، ثم يقول الله عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا ربنا لم نذر فيها خيرًا »[١].

وكان أبو سعيد الخدرى ﷺ يقول: « إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ [النساء: ٤٠] فيقول الله تعالى: « شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ». فى البخارى: «وبقيت شفاعتى»[٢] بدل قوله: « ولم يبق إلا أرحم الراحمين » فيقبض قبضة من النار فيخرج منه قومًا لم يعملوا خيرًا قط عادوا حممًا فيلقيهم فى نهر على أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل. ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض» قالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية. قال: «فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندى أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا وأى شىء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا »[٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٦٠) .

(٢) البخارى (٧٤٣٩) .

(٣) تتمة حديث مسلم (١٨٣) عن أبى سعيد الخدرى .

(فصل) :

هذا الحديث بين أن الإيمان يزيد وينقص حسب ما بيناه فى آخر سورة آل عمران من كتاب جامع أحكام القرآن فإن قوله: « أخرجوا من فى قلبه مثقال دينار ونصف دينار وذرة » يدل على ذلك وقوله: « من خير » يريد من إيمان وكذلك ما جاء ذكره فى الخبر فى حديث قتادة عن أنس: « وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ما يزن بُرة ما يزن ذرة » أى من الإيمان بدليل الرواية الأخرى التى رواها معبد بن هلال العنزى عن أنس وفيها: « فأقول يا رب أمتى أمتى » فيقال: «انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ». الحديث بطوله أخرجه مسلم فقوله: « من إيمان » أى من أعمال الإيمان التى هى أعمال الجوارح، فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من شرائع الإيمان ومنه قوله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ [البقرة: ١٤٣] أى صلاتكم .

البخارى عن أنس عن النبى ﷺ قال: « يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين »[١] .

الترمذى عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ قال: « ليخرجن قوم من النار بشفاعتى يسمون الجهنميين »[٢] قال: حديث حسن .

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » خرجه الترمذى وصححه أبو محمد عبد الحق[٣] .

وخرجه أبو داود الطيالسى وابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »[٤]. زاد الطيالسى قال: فقال لى جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة؟ قال أبو داود وحدثناه محمد بن ثابت عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر .

---

(١) أخرجه البخارى (٦٥٥٩) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢٦٠٠)، وابن ماجه (٤٣١٥) .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤٣٥) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسى (١٦٦٩) وابن ماجه (٤٣١٠)، والترمذى (٢٤٣٦) وحسنه .

وخرج ابن ماجه، حدثنا إسماعيل بن أسد، حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد السلوى، حدثنا زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبى هند، عن ربعى بن حراش، عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى. أترونها للمتقين؟ لا. ولكنها للخاطئين المذنبين المتلوثين »(١).

وخرج ابن ماجه قال: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر قال: سمعت سليم بن عامر يقول: سمعت عوف بن مالك الأشجعى يقول: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما خيرنى ربى الليلة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: إنه خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة. قلنا: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها. قال: هى لكل مسلم»(٢).

وقد جاء فى صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان الكلابى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تتقدمه سورة البقرة وآل عمران » وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: « كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما »(٣).

* * * *

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٣١١).

(٢) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٣١٧)، والترمذى (٢٤٤١).

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٥).

باب
معرفة المشفوع فيهم بأثر السجود وبياض الوجوه

قد تقدم من حديث أبى سعيد الخدرى أن المؤمنين يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون أدخلتهم النار، فيقول لهم: اذهبوا فمن عرفتم أخرجوه. وذكر الحديث(١) .

وخرج مسلم من حديث أبى هريرة، عن النبى ﷺ وفيه بعد قوله: «ومنهم المجازى حتى ينجى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل » وذكر الحديث(٢).

وخرج عن جابر: قال رسول الله ﷺ : « إن قومًا يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم حتى يدخلوا الجنة »(٣) .

(فصل) :

هذا الحديث أدل دليل على أن أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ لا تسود لهم وجوه، ولا تزرق لهم أعين، ولا يغلون بخلاف الكفار .

---

(١) انظر صحيح مسلم (١٨٣)، وسنن ابن ماجه (٦٠) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢) .

(٣) أخرجه مسلم (إيمان/ ٣١٩) .

(دارات): جمع دارة وهى ما يحيط بالوجه من جوانبه ومعناه أن النار لا تأكل دارة الوجه لكونها محل السجود .

(فصل) :

قوله: « إذا فرغ الله » مشكل وفى التنزيل: ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ [الرحمن: ٣١] ومعناه المبالغة فى التهديد والوعيد من عند الله تعالى لعباده كقول القائل سأفرغ لك وإن لم يكن مشغولاً عنه بشغل وليس بالله تعالى شغل، تعالى عن ذلك .

وقيل: المعنى: سنقصد لمجازاتكم وعقوبتكم كما يقول القائل لمن يريد تهديده: إذًا أتفرغ لك أى أقصد قصدك. وفرغ بمعنى قصد وأحكم. قال جرير بن نمير الجعفى:

ألان وقد فرغت إلى نمير   فهذا حين كنت لها عذابا

يريد؟ وقد قصدت نحوه فمعنى فرغ الله من القضاء بين العباد. أى تم عليهم حسابهم وفصل بينهم؛ لأنه لا يشغله شأن عن شأن سبحانه وتعالى .

* * * *

باب
ما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة

وقال الصنابحى: دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت فقال: مهلاً لم تبكى؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثًا واحدًا، وسوف أحدثكموه اليوم، وقد أحيط بنفسى. سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من شهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار ». خرجه مسلم وغيره من الأئمة[1] .

وخرج مسلم من حديث سلمان الفارسى قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩) .

بين السموات والأرض، فجعل فى الأرض منها رحمة واحدة، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والطير والوحوش بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة ». أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد(١).

وروى ابن ماجه، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ [المدثر: ٥٦] قال: « فقال الله تعالى: أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إله آخر فمن أتقى ألا يجعل معى إلهًا آخر فأنا أهل أن أغفر له » وخرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وقال: حديث حسن غريب(٢).

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبى وإذا بإمرأة من السبى تبتغى ولدًا لها إذ وجدت صبيًا فى السبى فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: « أترون هذه المرأة طارحة ولدها » قلنا: لا والله وهى قادرة على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه البخارى أيضًا(٣).

* * * *

باب
حفت الجنة بالمكارة وحفت النار بالشهوات

مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات ». خرّجه البخارى أيضًا، والترمذى وقال فيه: حديث صحيح غريب(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (توبة/ ٢١)، وابن ماجه (٤٢٩٣) بنحوه عن أبى سعيد.

(٢) حديث حسن بشواهده أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٩)، والترمذى (٣٣٢٨). وانظر كتابنا جامع الأحاديث القدسية (٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٤)، وهو فى صحيح البخارى (٥٩٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٢٢)، ولم أقف عليه فى صحيح البخارى، وأخرجه الترمذى (٢٥٥٩).

وخرّج الترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها قال: فرجع إليه وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. قال: فأمر بها فحفت بالمكاره فقال: فارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فرجع إليها فإذا هى قد حفت بالمكاره، فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد. قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هى يركب بعضها بعضًا فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت ألا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها»[1].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح .

(فصل) :

المكاره: كل ما يشق على النفس ويصعب عليها عمله كالطهارة وغيرها من أعمال الطاعات، والصبر على المصائب، وجميع المكروهات. والشهوات: كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها. وأصل الحفاف: الدائر بالشىء المحيط به الذى لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى، فمثل ﷺ المكاره والشهوات بذلك، فالجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها، والنار لا ينجو منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها .

* * * *

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٦٠) .

بـاب
احتجاج الجنة والنار وصفة أهلهما

البخـارى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « احـتجت الجنة والنار فـقالت هذه: يـدخلنى الجبـارون والمتكبـرون. وقـالت هذه: يدخلنى الضـعفـاء والمساكـين، فقال الله لهذه: أنت عـذابى أعذب بك من أشاء. وقـال لهذه: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها ». خرجه مسلم والترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح[١] .

* * * *

بـاب
منه فى صفة أهل الجنة وأهل النار
وفى شرار الناس من هم ؟

مسـلم عن عيـاض بن عمـار المجاشعـى أن رسول الله ﷺ قال يومًـا فى خطبته: « أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط مـتصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف ضعيف متضعف ذو عيال ». قال: « وأهل النار خمـسة: الضـعيف الذى لا زَبْر له الذين هم فـيكم تبع لا يبتـغون أهلاً ولا مـالاً، والخائن الذى لا يـخفى له طمع وإن دق إلا خـانه، ورجل لا يصـبح ولا يمـسى إلا وهو يخـادعك عن أهلك ومالـك، وذكر البـخل والكذب والشنظيـر الفحاش »[٢].

وعن حارثة بـن وهب الخزاعى قال: قـال رسول الله ﷺ: « ألا أخـبركم بأهل الجنة كل ضعيف مـتضعف لو أقسم على الله لأبر قسمـه، ألا أخبركم بأهل

---

(١) أخرجه مـسلم (٢٨٤٦)، والترمذى (٢٥٦١)، والبخارى فى الأدب المـفرد (٥٥٤) بهذا اللفظ، وأخرجه البخارى فى صحيحه (٧٤٤٩) بنحوه .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) .

النار كل عتل جواظ مستكبر ». وفى رواية: « زنيم متكبر ». خرجه ابن ماجه أيضًا[١].

أبو داود عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى » قال: الجواظ: الغليظ الفظ[٢].

مسلم عن أنس قال: « مر بجنازة فأثنى عليها خيرا فقال رسول الله ﷺ: «وجبت وجبت وجبت»، ومر بجنازة فأثنى عليها شرا فقال رسول الله ﷺ: «وجبت وجبت وجبت». فقال عمر: فداك أبى وأمى مر بجنازة فأثنى عليها فقلت: «وجبت وجبت وجبت»، ومر بجنازة فأثنى عليها شرًا فقلت: « وجبت وجبت وجبت » فقال رسول الله ﷺ: « من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار أنتم شهداء الله فى الأرض » قالها ثلاثًا[٣].

وقالت عائشة رضي الله عنها: الجنة دار الأسخياء، والنار دار البخلاء .

(فصل) :

قوله: ذو سلطان مقسط وما بعده مرفوع على أنها صفات لذو وهى بمعنى صاحب. والمقسط: العادل، والمتصدق: المعطى الصدقات، والموفق: المسدد لفعل الخيرات. ورقيق القلب: لينه عند التذكر والموعظة، ويصلح أن يكون بمعنى الشفيق .

وقوله: « ضعيف متضعف » يعنى ضعيف فى أمور الدنيا قوى فى أمر دينه كما قال عليه السلام: « المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ». الحديث خرجه مسلم[٤].

أما من كان ضعيفًا فى أمور دينه لا يعنى بها فمذموم، وذلك من صفات أهل النار كما قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذى لا زبر له أى لا عقل له ومن لا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥٣)، وابن ماجه (٤١١٦). بل هو فى صحيح البخارى (٤٩١٨) .

(٢) حديث صحيح كما فى صحيح الجامع الصغير (٧٥٤٦) .

(٣) أخرجه مسلم (٩٤٩) .

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) .

عقل له ينفك به عن المفاسد ولا يتزجر به عنها، فحسبك به ضعفا وخسارة فى الدين وقد قيل فى الزبر: إنه المال وليس بشىء لأن النبى ﷺ فسر ذلك بقوله الذين هم فيكم تبع لا يتبعون أهلاً ولا مالاً .

وقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير راوى الحديث: والله لقد أدركتهم فى الجاهلية وإن الرجل ليرعى على الحى ما به إلا وليدتهم يطاولها، ويخفى بمعنى يظهر وهو من الأضداد .

وقوله: وذكر البخل والكذب هكذا الرواية المشهورة بالواو الجامعة والكذب، وقد رواه ابن أبى جعفر عن الطبرانى بأو التى للشك قاله القاضى عياض، ولعله الصواب وبه تصح القسمة، لأنه ذكر أن أصحاب النار خمسة: الضعيف الذى وصف، والخائن الذى وصف والرجل المخادع الذى وصف .

قال: وذكر البخل والكذب، ثم ذكر الشنظير والفحاش فرأى هذا القائل أن الرابع هو أحد الصنفين، وقد يحتمل أن يكون الرابع قد جمعهما على رواية واو العطف كما جمعهما فى الشنظير الفحاش .

وقوله: أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال .

قال القاضى عياض: كذا قيدناه بخفض مسلم عطفًا على ما قبله. وفى رواية أخرى ومسلم عفيف بالرفع وحذف الواو شيخنا. انتهى كلام القاضى عياض رحمه الله .

والعفيف: الكثير العفة وهى الانكفاف عن الفواحش وعن ما لا يليق. والمتعفف: المتكلف العفة. والشنظير: السيىء الخلق والفحاش: الكثير الفحش والجواظ: الجموع المنوع، وقيل: هو الجافى القلب، والعتل: الجافى الشديد الخصومة، والجعظرى: الفظ الغليظ، والزنيم: المعروف بالشر، وقيل: اللئيم .

وقوله: « أنتم شهداء الله فى الأرض » معناه عند الفقهاء إذا أثنى عليه أهل الفضل والصدق والعدالة؛ لأن الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل فى الحديث .

وقد خرج البخارى، عن حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس قال: « مر على النبى ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال: وجبت ثم مر عليه بأخرى فأثنوا عليها شراً أو قال غير ذلك فقال: وجبت فقيل: يا رسول الله قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت فقال: المؤمنون شهداء الله فى الأرض » وخرجه ابن ماجه بهذا الإسناد وقال: شهادة القوم والمؤمنون شهود الله فى الأرض(١).

وفى البخارى أيضًا عن عمر ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة. قلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة: فقلنا: واثنان؟ قال: واثنان، ثم لم نسأله عن الواحد » قال أبو محمد عبد الحق وهذا الحديث مخصوص، والله أعلم، والذى قبله يعطى العموم وإن كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة،(٢) والله أعلم .

وقال عليه السلام: « إذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل إنى أحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم ينادى فى السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه قال: فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض، وذكر فى البغضاء مثل ذلك » وهذا حديث صحيح خرجه البخارى ومسلم(٣) قال أبو محمد عبد الحق: وقد شوهد رجال من المسلمين علماء صالحون كثر الثناء عليهم وصرفت القلوب إليهم فى حياتهم وبعد مماتهم، ومنهم من كثر المشيعون لجنازته وكثر الحاملون لها والمشتغلون بها .

* * * *

(١) أخرجه البخارى (١٣٦٧، ٢٦٤٢)، وابن ماجه (١٤٩١) .

(٢) أخرجه البخارى (١٣٦٨، ٢٦٤٣) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٣٧) بتمامه، والبخارى (٦٠٤٠) مختصراً على ذكر المحبة دون البغضاء .

باب
منه فى صفة أهل الجنة وأهل النار

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[١] وخرجه مسلم أيضًا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير[٢].

(فصل) :

للعلماء فى تأويل هذا الحديث وجهان:

أحدهما: أنها مثلها فى الخوف والهيبة والطير أكثر الحيوانات خوفًا حتى قالوا: أحذر من غراب .

الثانى: أنه مثلها فى الضعف والرقة كما جاء فى الحديث الآخر فى أهل اليمن هم أرق قلوبًا وأضعف أفئدة[٣].

قلت : ونظيره من الكتاب قوله تعالى: ﴿ **إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ [الشعراء: ٨٩] وقوله عليه السلام وقد سئل أى الناس أفضل؟ قال: « الصادق اللسان المخموم القلب » قالوا: أما الصادق اللسان فقد عرفناه أنه ذلك فما المخموم القلب؟ قال: « النقى الذى لا غل فيه ولا حسد »[٤] ذكره أبو عبيدة. والعرب تقول: خممت البيت أى كنسته ومنه سميت الخمامة وهى مثل القمامة والكناسة .

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٠) .

(٣) هو فى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة .

(٤) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦) عن عبد الله بن عمرو .

(فصل) :

قال الحافظ ابن دحية أبو الخطاب: قوله: صنفان من أهل النار لم أرهما الصنف فيما ذكر عن الخليل الطائفة من كل شيء. والسوط فى اللغة: اسم للعذاب وإن لم يكن له ثم ضرب. قاله الفراء .

وقال ابن فارس فى المجمل السوط من العذاب: النصيب، والسوط: خلط الشيء بعضه ببعض وإنما سمى سوطًا لمخالطته وإنما أراد النبى ﷺ عظم السياط وخروجها عن حد ما يجوز به الضرب فى التأديب، وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب إلى الآن وغيره .

وقوله: « نساء كاسيات عاريات » يعنى أنهن كاسيات من الثياب عاريات من الدين لانكشافهن وإبدائهن بعض محاسنهن .

وقيل: كاسيات ثيابًا رقاقًا يظهر ما خلفها وما تحتها فهن كاسيات فى الظاهر عاريات فى الحقيقة .

وقيل: كاسيات فى الدنيا بأنواع الزينة من الحرام وما لا يجوز لبسه عاريات يوم القيامة، ثم قال عليه السلام: « مائلات مميلات » قيل: معناه زائغات عن طاعة الله تعالى وطاعة الأزواج وما يلزمهن من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب ومميلات يعلمهن غيرهن الدخول فى مثل فعلهن .

وقيل: مائلات متبخترات فى مشيهن مميلات يملن رءوسهن وأعطافهن من الخيلاء والتبختر ومميلات لقلوب الرجال إليهن لما يبدين من زينتهن وطيب رائحتهن .

وقيل: يتمشطن الميلاء وهى مشطة البغايا، والمميلات: اللواتى يمشطن غيرهن المشطة الميلاء. قال ﷺ: « رؤوسهن كأسنمة البخت » معناه يعظمن رءوسهن بالخمر والمقانع .

* * * *

بابـ
ما جاء فى أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار

مسلم عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ : « قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار. وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء »[١] .

ومن حـديث ابن عباس فى حديث كسوف الشمس: «ورأيت النار فلم أر منظرًا كاليوم قط ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك ما تكره قالت: ما رأيت منك خيرا قط»[٢] .

وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: « إن أقل ساكنى الجنة النساء »[٣].

(فصل) :

قال علماؤنا: إنما كان النساء أقل ساكنى الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذن بصائرها إلى الأخرى، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها ولميلهن إلى الدنيا والتزين بها ولها، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التى تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى والميل لهن، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن صارفات عنها لغيرهن سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى وأعمالها من المتقين .

* * * *

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٩٠٧) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٨) .

باب
منــــه

البخارى عن أبى هريرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال: « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من يأبى. قيل: ومن يأبى يا رسول الله قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى »(١).

* * * *

باب
لا يدخل الجنة قاطع رحم

قال الله تعالى: ﴿ **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجًا** ﴾ [الأعراف: ٨٦] نزلت فى المكاسين والعشارين فى قول بعض العلماء، وقال تعالى: ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله** ﴾ [محمد: ٢١و ٢٢] الآية .

مسلم عن جبير بن مطعم، عن أبيه عن النبى ﷺ قال: « لا يدخل الجنة قاطع » قال ابن أبى عمر قال سفيان يعنى قاطع رحم. رواه البخارى(٢).

* * * *

باب
ما جاء فى أول من تسعر بهم جهنم

مسلم عن أبى هريرة قال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها: قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال: فلان جرىء، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى

---

(١) أخرجه البخارى (٧٢٨٠) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٦)، وهو فى البخارى (٥٩٨٤) .

النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فـأُتى به فعرفه نعمه فرفعـها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقـال: هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قـال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ». خرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه، وقال فى آخـره ثم ضرب رسول الله ﷺ عـلى ركبتى، فـقال: « يا أبا هريرة: أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة »[١].

* * * *

بـاب
فيمن يدخل الجنة بغير حساب

مسلم عن عـمران بن حـصين أن رسول الله ﷺ قـال: « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا بغير حساب » قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: « هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون »[٢].

الترمذى عن أبى أمامة قال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمـتى سبعـون ألفًا لا حـساب عليهم ولا عـذاب مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربى » قال الترمذى: هذا حديث غريب وقد أخرجه ابن ماجه أيضًا[٣] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذى (٢٣٨٢)، وأحمد (٢/ ٣٢٢)، والحاكم (٢/ ١١١) .

(٢) أخـرجه مـسلم (٢١٨) وله تتمـة فى سؤال عكّاشـة النبى ﷺ الدعـاء له أن يكون من هؤلاء المتوكلين فقال له النبى ﷺ : أنت منهم .

(٣) صحيح أخرجه الترمذى (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦) .

(فصل) :

لا تظن إن من استرقى واكتوى لا يدخل الجنة بغير حساب، فمحمل النهى عن رقى مخصوصة بدليل قول رسول الله ﷺ لآل عمرو بن حزم: « أعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك »[١] وكذلك الكى الذى لا يوجد عنه غنى فمن فعله فى محله وعلى شرطه لم يكن ذلك مكروهًا فى حقه ولا منقصًا له من فضله،[٢] ويجوز أن يكون من السبعين ألفًا .

.* * * *

باب
أمة محمد ﷺ شطر أهل الجنة وأكثر

مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك. قال: فيقول: أخرج بعث النار من ولدك قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائه وتسعة وتسعون قال: فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، قال: فاشتد ذلك عليهم. قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم واحد، ثم قال: والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن إن تكونوا شطر أهل الجنة. إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالرقمة فى ذراع الدابة »[٣] خرجه البخارى .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) وغيره .

(٢) اكتوى أنس بن مالك ورسول الله ﷺ حىٌّ كواه أبو طلحة ومعه أنس ابن النضر، كما هو ثابت فى صحيح البخارى (٥٧١٩، ٥٧٢١) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٢)، وهو فى البخارى (٣٣٤٨)، (٦٥٣٠) .

وخرج ابن ماجه والترمذى عن بريدة بن حصيب قال: قال رسول الله ﷺ: « أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم » قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب[١].

* * * *

باب
فى ذكر أبواب جهنم وما جاء فيها وفى أهوالها وأسمائها أجارنا الله منها برحمته وفضله إنه ولى ذلك والقادر عليه

ذكر الله عز وجل النار فى كتابه ووصفها على لسان نبيه ﷺ، ونعتها فقال عز من قائل: ﴿ **كلا إنها لظى نزاعة للشوى** ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦] الشوى: جمع شواة وهى جلدة الرأس، وقال: ﴿ **وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر** ﴾ [المدثر: ٢٧ - ٢٩]، أى مغيرة: يقال: لاحته الشمس ولوحته إذا غيرته وقال: ﴿ **وما أدراك ماهيه نار حامية** ﴾ [القارعة: ١٠، ١١] وقال: ﴿ **لينبذن فى الحطمة** ﴾ [الهمزة: ٤] أى ليرمين فيها ﴿ **وما أدراك ما الحطمة** ﴾ [الهمزة: ٥] الآية .

* * * *

باب
ما جاء فيمن سأل الله الجنة واستجار به من النار

الترمذى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار بالله من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار »[٢].

---

(١) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٩)، والترمذى (٢٥٤٦) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٧٢) .

باب
ما تقرر من الكتاب والسنة

تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة من النيران، وذلك يكثر ايراده والقطع به مع الموافاة على ذلك يغنى عن ذكر ذلك، ويكفيك الآن من ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من عبد يصوم يومًا فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا »، خرجه النسائى[١].

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « من صام يومًا فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفًا »[٢] وخرجه أبو عيسى الترمذى عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال: « من صام يومًا فى سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين المشرق والمغرب »[٣]، ويروى « ما بين السماء والأرض ». قال: هذا حديث غريب من حديث أبى أمامة .

وفى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل»، لفظ مسلم[٤].

* * * *

باب
ما جاء فى جهنم وأنها أدراك ولمن هى

قال الله تعالى: ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ [النساء: ١٤٥] فالنار دركات سبعة أى طبقات ومنازل، وإنما قال: أدراك ولم يقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل درك، ولما تعالى درج، فيقول للجنة: درج وللنار: درك،

---

(١) أخرجه البخارى (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣)، والنسائى فى كتاب «الصيام» من سننه .
(٢) صحيح أخرجه النسائى (٤/ ١٧٢) .
(٣) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩) .
(٤) أخرجه مسلم (١٠١٦)، والبخارى (١٤١٧) بمعناه عن عدى بن حاتم .

فالمنافقــون فى الدرك الأسفل من النار، وهى الهاوية لغلظ كفرهم وكـثرة غوائلهم وتمكنهم من أذى المؤمنين .

* * * *

بابـ
ما جاء في قول الله تعالى:
﴿ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ [الحجر: ٤٤]

قال الله تعــالى فى محكم كـتابه: ﴿ لهـا سبعـة أبواب ﴾ وقال: ﴿ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾ [الزمر: ٧١] .

* * * *

بابـ
ما جاء فى عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها وفي عظم خلقهم وتفلتها من أيديهم وفي قمع النبىﷺ إياها وردها عن أهل الموقف

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »[١] .

(فصل) :

هذا يبين لك مـا قلناه: إن جهنم اسم علم لجـميع النار، ومعـنى: يؤتى بها يجاء بها من المحل الذى خلقها الله تعالى فيه، فتدار بأرضى المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط كما تقدم. والزمام: ما يزم به الشىء أى يشد ويربط به، وهذه الأزمة التى تساق بهـا جهنم تمنع من خروجها على أرض المحشـر فلا يخرج منهـا إلا الأعناق التى أمـرت بأخـذ من شـاء الله بأخـذه على مـا تقـدم ويأتى، وملائكتها كما وصفهم الله غلاظ شداد .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) .

باب
ما جاء فى صفة جهنم وحرها وشدة عذابها

مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط، هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا. والله يارب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له: هل رأيت بؤسًا قط، هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يارب ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط »[1] .

أخرجه ابن ماجه أيضًا من حديث محمد بن إسحاق، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار فيقول: اغمسوه فى النار غمسة فيها ثم يخرج فيقال له: أى فلان هل أصابك نعيم قط؟ فيقول: لا ما أصابنى نعيم قط. ويؤتى بأشد المؤمنين ضرًا وبلاءً فيقال: اغمسوه فى الجنة فيغمس غمسة ثم يخرج، فيقال له: أى فلان هل أصابك ضر قط أو بلاء؟ فيقول ما أصابنى ضر قط ولا بلاء »[2] .

* * * *

باب
منه وما جاء فى شكوي النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها وفى قدر الحجر الذي يرمى به فيها

روى الأئمة، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « اشتكت النار إلى ربها فقالت: يارب آكل بعضى بعضًا فجعل لها نفسين: نفسًا فى الشتاء ونفسًا فى الصيف بأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها وأشد ما تجدون من الحر من سمومها » أخرجه البخارى ومسلم[3] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) .
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٧) وأحمد (٣/ ٢٠٣) .
(٣) أخرجه البخارى (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) .

وعن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذا سمع وجبة، فقال رسول الله ﷺ: « أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوى فى النار إلى الآن حتى انتهى إلى قعرها » أخرجه مسلم[1] .

الوجبة: الهدة وهى صوت وقع الشيء الثقيل .

الترمذى عن الحسن قال: قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا يعنى منبر البصرة عن النبى ﷺ قال: « إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عامًا وما تفضى إلى قرارها »[2] قال: فكان ابن عمر يقول: أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد. قال أبو عيسى: لا نعرف للحسن سماعًا من عتبة بن غزوان، وإنما قدم عتبة بن غزوان البصرة فى زمن عمرو ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر .

(فصل) :

قوله: « اشتكت النار شكواها إلى ربها بأن أكل بعضها بعضًا »، محمول على الحقيقة لا على المجاز، إذ لا إحالة فى ذلك. وليس من شرط الكلام عند أهل السنة فى القيام بالجسم إلا الحياة وأما البنية واللسان والبلة، فليس من شرطه وليس يحتاج فى الشكوى إلى أكثر من وجود الكلام. وأما الاحتجاج فى قوله عليه السلام: « احتجت النار والجنة » فلابد فيه من العلم والتفطن للحجة وقيل: إن ذلك مجاز عبر عنه بلسان الحال، كما قال عنترة:

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم

والأول أصح إذ لا استحالة فى ذلك، وقد قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿إن الحكم إلا الله يقص الحق﴾ [الأنعام: ٥٧] الآية وقد تقدم من كلامها: « لا إله إلا الله وعزتك وجلالك » وقال: ﴿ كلا إنها لظى نزاعة للشوى ﴾ [المعارج: ١٥] الآية

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٤) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٧٥)، وأحمد (٤/ ١٧٤) .

أى أدبر عن الإيمان، وتولى أى أعرض عن اتباع الحق وجمع يعنى المال، فأوعى أى جعله فى الوعاء أى كنزه ولم ينفقه فى طاعة الله تعالى. قال ابن عباس: تدعو المنافق والكافر بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطائر الحب .

وخرج الترمذى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إنى وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد، وبكل ما دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين »[1] وفى الباب عن أبى سعيد قال أبو عيسى: هذا حديث غريب صحيح .

* * * *

باب
ما جاء فى مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم وأنكالهم

قال الله تعالى: ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾ [الحج: ٢١] وقال ﴿ **إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم** ﴾ [الرعد: ٥] الآية وقال: ﴿ **فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا** ﴾ [الحاقة: ٣٢] وقال: ﴿ **إن لدينا أنكالاً وجحيمًا** ﴾ [المزمل: ١٢] الآية .

الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: « لو أن رضاضة مثل هذه - وأشار إلى مثل الجمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة عام لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها »[2] قال: هذا حديث إسناده صحيح .

وعن جابر: أن رجلاً قدم من جيشان، وجيشان من اليمن، فسأل النبى ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة، يقال له: المزر، فقال رسول الله

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٧٤)، وأحمد (٤/ ٣٣٦) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٨٨) .

ﷺ : « أمسكر هو؟ قال: نعم. قال: إن على الله عهدًا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال. قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار أو عصارة أهل النار »(١) .

* * * *

باب
منه فى بيان قوله تعالى: ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾

وقال مجاهد والضحاك والكلبى: هى الصراط، وقيل: النار نفسها .

وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين: معنى الكلام الاستفهام، تقديره: أفلا اقتحم العقبة، يقول: هلا أنفق ماله فى فك الرقاب، وإطعام السغبان ليجاوز به العقبة، فيكون خيرًا له من إنفاقه فى المعاصى؟ .

وقيل: معنى الكلام التمثيل والتشبيه؛ فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وعمل صالحًا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة، وهى الذنوب التى تضره وتؤذيه وتثقله، فإذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوبة الخالصة، كان كمن اقتحم عقبة يستوى عليها ويجوزها .

قلت: قال: فمن أطاع مولاه وجاهد نفسه وهواه، وخالف شيطانه ودنياه، كانت الجنة نزله ومأواه، ومن تمادى فى غيه وطغيانه، وأرخى فى الدنيا زمام عصيانه، ووافق نفسه وهواه فى مناه ولذاته، وأطاع شيطانه فى جمع شهواته كانت النار أولى به، قال تعالى: ﴿ **فأما من طغى ۝ وآثر الحياة الدنيا ۝ فإن الجحيم هى المأوى ۝ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ۝ فإن الجنة هى المأوى** ﴾ [النازعات: ٣٧ ، ٤١] .

ومعنى فلا اقتحم العقبة: أى لم يقتحم العقبة، وهذا خبر أى أنه لم يفعل، والعرب تقول: لا فعل بمعنى لم يفعل .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٢) .

بابـ
ما جاء فى قوله تعالي:
﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ [البقرة: ٢٤]

الوقود بفتح الواو على وزن الفعول بفتح الفاء: الحطب، وكذلك الطهور اسم للماء والسحور اسم الطعام، وبضم الفاء: اسم للفعل وهو المصدر، والناس عموم ومعناه: الخصوص ممن سبق عليه القضاء أنه يكون حطبًا لها أجارنا الله منها. قال: حطب النار: شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات طال منهن العويل.

وقيل: المراد بالحجارة: الأصنام لقوله تعالى: ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم** ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أى حطب، وهو ما يلقى فى النار مما تذكى به، وعليه فيكون الناس والحجارة وقودًا للنار على التأويل الأول، وعلى التأويل الثانى يكونون معذبين بالنار والحجارة.

* * * *

بابـ
ما جاء فى تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره، وتوزيع العذاب على العاصى المؤمن بحسب أعمال الأعضاء

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع »[١].

الترمذى عنه، عن النبى ﷺ قال: « إن غلظ جلد الكافر إثنان وأربعون ذراعًا، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة ». قال: هذا حديث حسن صحيح[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥١).

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٧٧).

مسلم عن سمرة بن جندب أن نبى الله ﷺ قال: « منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته ». وفى رواية: حقويه مكان حجزته[١] .

(فصل) :

هذا الباب يدلك على أن كفر من كفر فقط، ليس ككفر من طغى وكفر وتمرد وعصى، ولا شك فى أن الكفار فى عذاب جهنم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك بهم وأفسد فى الأرض وكفر، مساويًا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين. ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبى ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه، وذبه عنه وإحسانه إليه؟ وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون فى الكفار بدليل حديث أبى طالب، ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين، إلا أن الله تعالى يميتهم إماتة حسب ما تقدم بيانه .

* * * *

باب
منه

ابن ماجه، عن الحارث بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: « إن من أمتى من يدخل الجنة بشفاعتى أكثر من مضر، وإن من أمتى من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها »[٢] .

* * * *

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٥) .

(٢) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٣٢٣) .

باب
ما جاء فى شدة عذاب أهل المعاصي وإذايتهم أهل النار بذلك

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون »[١]، وذكره قاسم بن أصبغ من حديث عبد الله بن مسعود أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتل نبيًا أو قتله نبى، أو مصور يصور التماثيل »[٢] .

* * * *

باب
منه وفى عذاب من عذَّب الناس فى الدنيا

أبو داود الطيالسى قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن ابن أبى نجيح عن خالد بن حكيم، عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أشد الناس عذابًا يوم القيامة أشدهم عذابًا للناس فى الدنيا »[٣] .

وخرجه البخارى فى التاريخ فقال: حدثنا على، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن خالد بن حكيم بن حزام أن أبا عبيدة تناول رجلاً من أهل الأرمن فكلمه خالد بن الوليد، فقالوا: أغضبت الأمير؟ فقال: لم أرد غضبه، سمعت النبى ﷺ يقول: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة أشدهم عذابًا للناس فى الدنيا»[٤].

وخرجه مسلم بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا فى الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا على

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٠٩) .

(٢) صحيح أخرجه أحمد (١/ ٤٠٧) .

(٣) صحيح أخرجه الطيالسى (١١٥٧) .

(٤) حديث صحيح أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير فى الجزء الثالث ترجمة برقم (٤٨٥) .

الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا »(١) .

* * * *

باب

ما جاء فى شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر وأتاه، وذكر الخطباء، وفيمن خالف قوله فعله وفى أعوان الظلمة كلاب النار

البخارى عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يجاء برجل فيطرح فى النار، فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: أى فلان! ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله »(٢) .

وخرجه مسلم أيضًا بمعناه عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار، فتندلق أقتاب بطنه فى النار فيدور كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان بن فلان، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى! كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه »(٣).

وقوله: تندلق، أى: تخرج، والاندلاق: الخروج بسرعة، يقال: اندلق السيف، خرج من غمده. وروى فتنفلق، بدل فتندلق. والأقتاب: الأمعاء، واحدها: قتب، بكسر القاف. وقال الأصمعى: واحدها: قتيبة، ويقال لها أيضًا: الأقصاب، واحدها: قصبة، قاله أبو عبيد .

* * * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٣) .

(٢) أخرجه البخارى (٧٠٩٨) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٩) .

باب
ما جاء فى طعام أهل النار
وشرابهم ولباسهم

قال الله تعالى: ﴿ والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ﴾ [الحج: ١٩] وقال: ﴿ سرابيلهم من قطران ﴾ [إبراهيم: ٥٠] وقال: ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم، كالمهل يغلى فى البطون ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٥] وقال: ﴿ لا يذقون فيها بردًا ﴾ أى نومًا. ﴿ ولا شرابًا ۝ إلا حميمًا وغساقًا ۝ جزاء وفاقًا ﴾ [النبا: ٢٤ - ٢٦] وقال: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقًا ﴾ [الكهف: ٢٩] وقال عز من قائل: ﴿ تسقى من عين آنية ۝ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾ [الغاشية: ٥، ٦] وقال: ﴿ فليس له اليوم ها هنا حميم ۝ ولا طعام إلا من غسلين ﴾ [الحاقة: ٣٥ و ٣٦] قال الهروى: معناه من صديد أهل النار، وما ينغسل ويسيل من أبدانهم .

قلت: وهو الغساق أيضًا. وذكر ابن المبارك: أخبرنا سفيان، عن منصور عن إبراهيم وأبى رزين فى قوله تعالى: ﴿ هذا فليذقوه حميم وغساق ﴾ [ص: ٥٧] قالا: ما يسيل من صديدهم، وقيل الغساق: القيح الغليظ المنتن .

وذكر ابن وهب، عن عبد الله بن عمر، قال: الغساق: القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق فى المغرب أنتنت أهل المشرق، ولو أنها تهراق فى المشرق أنتنت أهل المغرب وقيل: الغساق الذى لا يستطاع من شدة برده، وهو الزمهرير .

واختلف فى الضريع فقيل: هو النبت ينبت فى الربيع، فإذا كان فى الصيف يبس، واسمه إذا كان عليه ورقه شبرق، وإذا تساقط ورقه فهو الضريع؛ فالإبل تأكله أخضر، فإذا يبس لم تذقه، وقيل: هو حجارة، وقيل الزقوم واد فى جهنم.

والمهل ما كان ذائبًا من الفضة والنحاس، وقيل المهل عكر الزيت الشديد السواد، وقوله تعالى: ﴿ يغلى فى البطون كغلى الحميم ﴾ [الدخان: ٤٥، ٤٦] يعنى الماء الشديد الحر .

* * * *

بـاب
ما جاء فى بكاء أهل النار
ومن أدناهم عذابًا فيها

وفى مسلم عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل فى أخمص قدمية جمرتان يغلى منها دماغه»[1].

قال المؤلف رحمه الله وهو يستمد من معنى ما تقدم، وفى التنزيل: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون﴾ [التوبة: ٨٢] .

* * * *

بـاب
ما جاء أن لكل مسلم
فداءً من النار من الكفار

حديث مسلم عن أبى بردة، عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول: هذا فكاكك من النار»[2] .

وفى رواية أخرى: « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهوديًا أو نصرانيا » قال فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا إله إلا الله هو ثلاث مرات: أن أباه حدثه عن رسول الله، قال: فحلف له[3].

(فصل) :

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك، وإنما هى فى ناس مذنبين تفضل الله تعالى عليهم برحمته ومغفرته، فأعطى كل إنسان منهم فكاكًا من النار من الكفار، واستدلوا بحديث

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣) وهو فى البخارى أيضًا (٦٥٦١، ٦٥٦٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦٧) .

(٣) هو فى مسلم بعد الذى قبله .

أبى بردة عن أبيـه عن النبى ﷺ قال: « يجىء يوم القـيامة ناس من المسـلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى »[١] .

قالوا: وما معنى فيغفـرها لهم؟ أى: يسقط المؤاخذه عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا .

ومعنى قـوله: ويضعهـا على اليهود والنـصارى أنه يضاعف عليـهم العذاب بذنوبهم، حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك، لأنه تعالى لا يأخـذ أحدًا بذنب أحـد، كما قـال تعالى: ﴿ **ولا تـزر وازرة وزر أخرى** ﴾ [الأنعـام: ١٦٤، الإسراء: ١٥ فاطر: ١٨، الـزمر: ٧] وله سبحـانه أن يضاعف لمن يشاء العذاب، ويخفف عمن يشاء بحكم إرادته ومشيئته، إذ لا يُسأل عن فعله .

قالوا وقوله فى الرواية الأخرى: لا يموت رجل مسلم إلا أدخل مكانه يهوديًا أو نصرانيًـا؛ فمعنى ذلك أن المسلم المذنب لمـا كان يستحق مكـانًا من النار بسبب ذنوبه، وعـفا الله عنه وبقى مكانه خـاليًا منه، أضاف الله تعـالى ذلك المكان إلى يهودى أو نصـرانى ليعـذب فيه زيادة على تعـذيب مكانه الذى يستـحقـه بحسب كفـره، ويشهد لهـذا قوله عليه السـلام فى حديث أنس للمؤمـن الذى يثبت عند السؤال فى القبر فـيقال له: « انظر إلى مقعدك من النار، قـد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة »[٢] .

قلت : قد جاءت أحـاديث دالة على أن لكل مسلم مذنبًا كان أو غـير مذنب منزلين: منزلاً من الجنة، ومنزلاً من النار، وذلك هو معنى قوله تعالى: ﴿ **أولئك هم الـوارثون** ﴾ [المؤمنون: ١٠] أى يرث المؤمنون منازل الكفـار، ويجعل الكفـار فى منازلهم فى النار .

وقد يحـتمل أن يسـمى الحصـول على الجنة وراثة من حـيث حصـولها دون غيرهم. وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿ **وقالوا الحمـد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء** ﴾ [الزمر: ٧٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (توبة/ ٥١) .

(٢) هو جزء من حديث صحيح أخرجه البخارى (١٣٣٨، ١٣٧٤) .

باب
فى قوله تعالى: ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ [ق: ٣٠]

مسلم عن أنس، عن النبى ﷺ قال: « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، وعزتك وكرمك. ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقًا. فيسكنهم فضل الجنة »[(١)] .

وفى رواية أخرى من حديث أبى هريرة: « فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله عليها رجله فتقول: قط قط. فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقًا » .

(فصل) :

للعلماء فى قول النار: « هل من مزيد؟ » تأويلان. أحدهما: وعدها ليملأنها فقال: أوفيتك؟ فقالت: وهل من مسلك؟ أى: قد امتلأت .

والثانى: زدنى، تقول ذلك غيظًا على أهلها وحنقًا عليهم، كما قال: ﴿ **تكاد تميز من الغيظ** ﴾ [الملك: ٨] أى تنشق ويبين بعضها من بعض .

وقوله: « حتى يضع فيها قدمه » - وفى رواية أخرى. « حتى يضع عليها »، وفى أخرى « رجله » ولم يذكر فيها ولا عليها - فمعناه عبارة عمن تأخر دخوله فى النار من أهلها، وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار يلقون فيها فوجًا فوجًا، كما قال الله تعالى: ﴿ **كلما أُلقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير** ﴾ [الملك: ٨] .

والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل، فتقول جاءنا رجل من جراد ورجل من الناس، أى جماعة منهم والجمع: أرجل .

ويشهد لهذا التأويل قوله فى نفس الحديث: ولا يزال فى الجنة فضل حتى

---

(١) أخرجه مسلم (جنة/ ٣٨) .

ينشىء الله خلقًا فيسكنهم فضل الجنة، وفى الحديث تأويلات أتينا عليها فى الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرناه. وفى التنزيل ﴿ **أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾ [يونس: ٢] قال ابن عباس: المعنى منزل صدق، وقال الطبرى: معنى ﴿ **قدم صدق عند ربهم** ﴾ عمل صالح. وقيل: هو السابقة الحسنة؛ فدل على أن القدم ليس حقيقة فى الجارحة. والله الموفق[١].

قال ابن فورك وقال بعضهم: القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدمًا، ويضيفه إليه من طريق الفعل يضعه فى النار فتمتلىء النار منه، والله أعلم.

* * * *

باب
ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل النار دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبوًا فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة. فيأتيها، فيخيل إليها أنها ملأى، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو أن لك عشرة أمثال الدنيا، قال فيقول: أتسخر بى؟ أو أتضحك بى وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، قال: فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة »[٢].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (حـ ٨/ ٤٨٥٠): « واختلف فى المراد بالقدم: فطريق السلف فى هذا وغيره مشهورة، وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله ».

(٢) أخرجه مسلم (١٨٦).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: « آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشى مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: أى رب أدننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله تعالى: يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها فقال: يارب! ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى، فيقول: أى رب أدننى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها؛ فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند باب الجنة أحسن من الأوليين، فيقول مثله. فيدنيه منها؛ فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أى رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصرينى منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ فيقول: أى رب أتستهزىء بى، وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألونى مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين، فيقول: إنى لا أستهزىء منك ولكنى على ما أشاء قادر »[1] .

أجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها: كإبليس، وفرعون، وهامان، وقارون، وكل من كفر وتكبر وطغى؛ فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا. وقد وعدهم الله عذابًا أليمًا، فقال عز وجل: ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذقوا العذاب** ﴾ [النساء: ٥٦] وأجمع أهل السنة أيضًا على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد إلا كافر جاحد، فاعلم .

* * * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧) .

باب
ما جاء فى ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

وخرجه ابن ماجة بمعناه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل فى الجنة ومنزل فى النار؛ فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى: ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾ [المؤمنون: ١٠] إسناده صحيح[١].

قلت: وهذا بين فى أن لكل إنسان منزلاً فى الجنة ومنزلاً فى النار كما تقدم. وقد قال ها هنا: ما منكم؛ فخاطب أصحابه الكرام المنزهين عن الذنوب العظام الموجبة للنيران رضي الله عنهم .

* * * *

باب
ما جاء فى خلود أهل الدارين
وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه

البخارى، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم »[٢].

مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال يا أهل الجنة: هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، فيقولون: نعم.. هذا الموت، ثم يقال: يا أهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، فيقولون: نعم! هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، قال ثم يقال: يا أهل

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٣٤١) .

(٢) أخرجه البخارى (٦٥٤٨) .

الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت فيها، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا »[١].

وأخرجه أبو عيسى الترمذى، عن أبى سعيد الخدرى يرفعه قال: «إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون، فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة، ولو أن أحدًا مات حزنا لمات أهل النار»،[٢] قال: هذا حديث حسن صحيح .

وذكر ابن ماجه فى حديث فيه طول عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط، فيقال يا أهل الجنة: فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه، ثم يقال يا أهل النار: فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم! هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كليهما: خلود فيما تجدون لا موت فيه أبدا[٣] .

خرجه الترمذى بمعناه مطولاً عن أبى هريرة أيضًا، وفيه: «فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار أتى بالموت ملببًا فيوقف على السور الذى بين الجنة وبين النار، ثم يقال: يا أهل الجنة: فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار: فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال: لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: عرفناه، هو الموت الذى وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحًا على السور، ثم يقال يا أهل الجنة: خلود لا موت؛ ويا أهل النار خلود لا موت»، قال: هذا حديث حسن صحيح[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٩) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٥٨) .

(٣) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٣٢٧) .

(٤) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٥٧)، وأحمد (٢/ ٣٦٩) .

(فصل) :

قلت : هذه الأحاديث مع صحتها نص فى خلود أهل النار فيها، لا إلى غاية ولا إلى أمد، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال فى كتابه الكريم وأوضح فيه عن عذاب الكافرين: ﴿ **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها** ﴾ إلى قوله ﴿ **من نصير** ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧] وقال: ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها** ﴾ [النساء: ٥٦] وقال: ﴿**فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ۝ولهم مقامع من حديد ۝كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ [الحج: ١٩ ، ٢٢] تقدمت هذه المعانى كلها .

فمن قال: إنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها، وأنها تفنى وتزول، فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول .

﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ [النساء: ١١٥] إنما تُخْلى جهنم وهى الطبقة العليا التى فيها العصاة من أهل التوحيد .

(فصل) :

قد تقدم أن الموت معنى، والكلام فى ذلك وفى الأعمال وأنها لا تنقلب جوهراً، بل يخلق الله أشخاصًا من ثواب الأعمال وكذلك الموت يخلق الله كبشًا يسميه الموت، ويلقى فى قلوب الفريقين أن هذا هو الموت، ويكون ذبحه دليلاً على الخلود فى الدارين .

قال الترمذى: والمذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة ﷺ مثل سفيان الثورى، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم. أنهم رووا هذه الأشياء وقالوا: ونروى هذه الأحاديث، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء بها ولا تفسر ولا تتوهم؟ ولا يقال: كيف، وهذا أمر أهل العلم الذى اختاروه وذهبوا إليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

أبواب الجنة وما جاء فيها وفى صفتها ونعيمها

وصف الله تعالى الجنات فى كتابه وصفًا يقوم مقام العيان فى غير ماسورة من القرآن، وأكثر ذلك فى سورة الواقعة والرحمن، وهل أتاك حديث الغاشية، وسورة الإنسان، وبيَّن ذلك أيضًا نبينا محمد ﷺ بأوضح بيان، فنذكر من ذلك ما بلغنا فى الأخبار الصحاح والحسان. عن السلف الصالح أهل الفضل والإحسان ﷺ وحشرنا معهم آمين .

* * * *

باب

منه وهل تفضُل جَنةٌ جَنةً ؟

قال الله تعالى: ﴿ ولمن خافَ مَقامَ ربِّه جَنتان ﴾ [الرحمن: ٤٦] ثم وصفهما، ثم قال بعد ذلك: ﴿ ومن دُونهما جَنَّتَان ﴾ [الرحمن: ٦٢] وعن ابن عباس فى تأويل قوله تعالى: ﴿ ولمن خاف مَقَامَ ربِّه جنتان ﴾ [الرحمن: ٤٦] أى بعد أداء الفرائض جنتان، قيل: على حدة، فلكل خائف جنتان. وقيل: جنتان لجميع الخائفين، والأول أظهر. قال الترمذى[1] محمد بن على: جنة لخوفه من ربه، وجنه لتركه لشهوته، والمقام الموضع، أى: خاف مقامه بين يدى ربه للحساب فترك المعصية، وقيل: خاف قيام ربه عليه، أى: إشرافه وإطلاعه عليه، بيانه: ﴿ أفمن هُو قَائمٌ على كل نفس بما كسبت ﴾. [الرعد: ٣٣] .

وقال مجاهد والنخعى: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه.

وقوله: ﴿ ومن دُونهما جنتان ﴾ قال ابن عباس: أى وله من دون الجنتين الأولَيين جنتان أخريان، قال ابن عباس: ومن دونهما، أى فى الدرجة .

---

(١) هو الترمذى الحكيم صاحب كتاب نوادر الأصول. وهو غير أبى عيسى الإمام الترمذى محمد بن عيسى بن سورة صاحب كتاب السنن المعروف باسمه والمعدود من الكتب الستة .

قال المؤلف رحمه الله: فهذا قـول، والقول الثانى أن الجنتين فى قوله تعالى: ﴿ ومن دونهما جَنَّتان ﴾ أعلى وأفضل من الأوليين، ذهب إلى هذا الضحاك .

قال الترمذى: وقوله ﴿ فيهـما عَينان نَضَّـاخَتان ﴾ أى بألوان الفواكـه والنعيم والجـوارى المزينات، والدواب المسـرجات، والثـيـاب الملونات وهذا يدل على أن النضخ أكثر من الجرى .

قال المؤلف رحمـه الله: على هذا تدل أقوال المفسريـن: روى عن ابن عباس نضاختـان: أى فوارتان بالماء، والنضخ بالخاء أكثر من الـنضح بالحاء، وعنه أيضًا: أن المعنى نضاختان بالخير والبركة .

وقوله: ﴿ فـيـهنَّ خَـيراتٌ حِسَـان ﴾ يعنى النسـاء، والواحدة خـيرة، قـال الترمذى: الخـيرة ما اختـارهن الله فأبدع خلقهن باختـياره، واختـيـار الله لا يشبه اختيار الآدميين، ثم قال: ﴿ حِسَان ﴾ فوصفهن بالحسن، فإذا وصف خالق الشىء شيئًا بالحسن فمن ذا الذى يقدر أن يصف حسنهن ؟

ثم قال: ﴿ مُتَّكِئينَ علَى رَفْرَف خُضر ﴾ اختلف فى الرفرف، ما هو؟ فقيل: كسر الخبـاء وجوانبُ الدرع وما تدلّى منها، الواحدة رفرفـة. وقيل: الرفرف شىء إذا استـوى عليه صـاحبه رفـرف به وأهوى به كالمرجـاح يمينًا وشـمالاً، ورفـعًا وخفضًا. يتلذذ به مع أنيستـه واشتقاقه على هذا من رف يرف إذا ارتفع، ومنه رفة الطائر لتحـريكه جناحيه فى الهواء، ورفـرف الطائر أيضًا إذا حرك جناحـيه حول الشىء يريد أن يقع عليه .

* * * *

باب
صفة الجنة ونعيمها وما أعد الله لأهلها فيها

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: «أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرًا بله ما أطلعتكم عليه، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ فلا تَعلَمُ نَفسٌ ما أُخفِى لهم من قرَّة أعْين ﴾ [السجدة: ١٧] بله: بمعنى: غير. وقيل: اسم من أسماء الأفعال بمعنى دع(١).

قال المؤلف رحمه الله: خرَّج أبو داود الطيالسى فى مسنده قال: حدثنا إبراهيم ابن معاوية، عن سعيد الطائى، قال: حدثنى أبو المدله مولى أم المؤمنين أنه سمع أبا هريرة يقول: قلنا يا رسول الله لماذا إذًا كنا عندك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة؛ فإذا فارقناك وشممنا النساء والأولاد أعجبتنا الدنيا؟ فقال رسول الله ﷺ: « لو أنكم تكونون إذا فارقتمونى كما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة بأكفها ولزارتكم فى بيوتكم، ولو كنتم لا تذنبون لجاء الله بقوم يذنبون كى يستغفروا فيغفر لهم ». قلنا: يا رسول الله أخبرنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: « لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها الدر والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها يبقى لا ييأس، ويخلد لا يموت، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه »(٢).

مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ لابن صياد: « ما تربة الجنة » قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم، قال « صدقت »(٣).

وعنه أن ابن صياد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال: « درمكة بيضاء مسك خالص »(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٤)، وهو فى البخارى (٣٢٤٤)، وفى سنن الترمذى (٣١٩٧).

(٢) هذا حديث حسن أخرجه الطيالسى (٢٥٨٣، ٢٥٨٤)، وأحمد (٢/ ٣٠٤، ٣٠٥)، وابن حبان (٢٦٢١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٢٨).

(٤) أخرجه مسلم بعد الذى قبله.

باب
ما جاء فى أنهار الجنة
وما جاء فى الدنيا منها

قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الجنة التى وُعدَ المتقونَ فيها أنهارٌ من ماء غير آسن، وأنهارٌ من لبن لَم يتغيَّرْ طعمهُ وأنهارٌ من خَمر لَذَّة للشَّاربينَ وأنهارٌ منَ عسلٍ مُصفًّى ﴾ [محمد: ١٥] وروى أنها تجرى فى غير أخدود. منضبطة بالقدرة .

الترمذى عن حكيم بن معاوية، عن أبيه عن النبى ﷺ قال: « إن فى الجنة بحر الماء، وبحر اللبن، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تنشق الأنهار بعد ذلك ». قال : أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح، وحكيم بن معاوية هو والد بهز بن حكيم[١].

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة » وقال كعب: نهر دجلة نهر الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر[٢] .

وذكر البخارى عن طريق شريك عن أنس فى حديث الإسراء؛ فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذان يا جبريل؟ قال: النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى فى السماء؛ فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك[٣] .

* * * *

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٧١) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٩) .

(٣) أخرجه البخارى (٧٥١٧) .

بـاب
من أين تفجر أنهار الجنة ؟

البخارى عن أبى هريرة قـال: قال رسول الله ﷺ : « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها، قالوا: يا رسول الله: أفلا نبشر الناس، قال إن فى الجنة مائة درجـة أعدها الله للمجاهدين فى سـبيل الله، ما بين الدرجتـين كما بين السمـاء والأرض؛ فإذا سألتم الله فـاسألوه الفردوس فـإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقـه عرش الرحـمن، ومنه تفجـر أنهار الجنة ». خرّجـه ابن ماجـه أيضًا وغيره[1].

وقال أبو حاتم البستى: معنى قوله: فإنه أوسط الجنة يريد فى الارتفاع، وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها .

وقد قيـل: إن الفردوس اسم يشمل جمـيع الجنة، كما أن جهنم اسم لجـميع النيران كلها لأن الله تعـالى مدح فى أول سورة المؤمنين أقوامًا وصـفهم، ثم قال: ﴿هُم الوارثون ۝ الذين يرثونَ الفـرْدوْس هُم فيهـا خالدون﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] ثم أعاد ذكرهـم فى سـورة المعارج فقال: ﴿ أولئك فى جنـات مُكْرمُـون ﴾ فعلمنا أن الفردوس جنات لا جنة واحدة، قاله وهب بن منبه .

* * * * *

(١) أخرجه البخارى (٢٧٩٠، ٧٤٢٣)، وابن ماجه بنحو بعضه (٤٣٣١) عن معاذ .

بابـ
ما جاء أن الخمر شراب أهل الجنة
ومن شربه فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة
وفى لباس أهل الجنة وآنيتهم

النسائى عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة، ومن شرب فى آنية من الذهب والفضة لم يشرب بها فى الآخرة »، ثم قال رسول الله ﷺ: « لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة »[1].

قلتُ: إن قال قائل: قد سوى النبى ﷺ بين الأشياء الثلاثة وأنه يحرمها فى الآخرة فهل يحرمها إذا دخل الجنة؟ قلنا: نعم! إذا لم يتب منها، لقوله عليه الصلاة والسلام: « من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة » خرّجه مالك، عن نافع عن ابن عمر، عن النبى ﷺ. وكذلك لابس الحرير، ومن أكل فى آنية الذهب والفضة، أو شرب فيها لاستعجاله ما أخر الله له فى الآخرة، وارتكاب ما حرم الله عليه فى الدنيا .

* * * *

بابـ
ما جاء فى أشجار الجنة
وفى ثمارها وما يشبه ثمر الجنة فى الدنيا

الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ». اقرأوا إن شئتم: ﴿ فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِىَ لهم من قُرَّة أعْين ﴾. [السجدة: ١٧] وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائه عام لا يقطعها، واقرأوا إن شئتم

(١) أخرجه النسائى مقطعًا فى كتب وأبواب متفرقة من سننه وهى أحاديث صحيحة. انظر سنن النسائى الجزء الثامن صفحة (٢٠٠، ٣١٨، ١٩٩) .

﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٣٠] وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرأوا إن شئتم: ﴿ فمن زُحْزِحَ عن النار وأُدْخِلَ الجنةَ فقد فازَ وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغُرور ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح(١).

وخرج البخارى من حديث قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال: قال رسول الله ﷺ: الحديث حديث الإسراء وفيه: « ورفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها آذان الفيلة، وفى أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان »(٢).

وذكر مسلم من حديث ابن عباس فى صلاة الكسوف، قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت فى مقامك شيئًا، ثم رأيناك تكعكت؟ فقال: « إنى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا »(٣)، تكعكعت؛ معناه تأخرت، يقال منه: كع يكع كعوعًا تأخر، والكع: الضعيف العاجز.

* * * *

باب
فى كسوة الجنة وكسوة أهلها

قال الله تعالى: ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثيابًا خُضْرًا من سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَق ﴾ [الكهف: ٣١] وقال: ﴿ ولباسُهم فيها حَرِير ﴾. [الحج: ٢٣].

وعن البراء بن عازب قال: أهدى لرسول الله ﷺ سرقة من حرير فجعلوا يتداولونها بينهم، فقال رسول الله ﷺ « أتعجبون منها »؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: « والذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها »(٤).

* * * *

(١) أخرجه الترمذى (٣٢٩٢)، وأحمد (٢/ ٤٣٨).

(٢) أخرجه البخارى (٣٨٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (٩٠٧).

(٤) صحيح أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما.

باب
ليس فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب

الترمذى، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » قال حديث حسن غريب(١).

* * * *

باب
الزرع فى الجنة

البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ: كان يومًا يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال له: أو لست فيما شئت، قال: بلى! ولكنى أحب أن أزرع فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال؛ فيقول الله: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شىء، فقال الأعرابى: يا رسول الله: لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا. فإنهم أصحاب زرع. فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ(٢).

* * * * *

باب
ما جاء فى أبواب الجنة، وكم هى؟ ولمن هى؟ وفى تسميتها وسعتها.

قال الله تعالى: ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾ [الزمر: ٧١] قال جماعة من أهل العلم: هذه واو الثمانية فللجنة ثمانية أبواب. واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام: « وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٢٥).

(٢) أخرجه البخارى (٢٣٤٨، ٧٥١٩).

لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ». رواه عمر بن الخطاب؛ خرجه مسلم[١].

وجاء فى تعـيين هذه الأبواب لبـعض العلماء كـما جاء فى حـديث الموطأ، وصحـيح البخـارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسـول الله ﷺ قال: « من أنفق زوجين فى سـبيل الله نودى فى الجنة: يا عبـد الله هذا خير. فـمن كان من أهل الصلاة دعى من بـاب الصلاة، ومن كان من أهل الجـهاد دعى من باب الجـهاد، ومن كان أهل الصدقة دعى من باب الصـدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان؛ فقال أبو بكر: يا رسـول الله ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب؟ قال: نعم! وأرجو أن تكون منهم » .

قال القاضى عـياض: ذكر مسلم فى هذا الحـديث من أبواب الجنة أربعة وزاد غيره بقية الثمانية فذكر منها: باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والباب الأيمن الذى يدخل منه من لا حساب عليه[٢].

* * * *

باب
منه

روى البخارى ومسلم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون فيدخلون منه؛ فإذا دخل آخرهم أغلقَ فلم يدخل منه أحد »[٣].

قلت: وهكذا والله أعلم سائر الأبواب المختصة بالأعمال .

وجـاء فى حديث أبى هريرة: إنَّ من النـاس من يدعى من جمـيع الأبواب، فقيل: ذلك الدعـاء دعاء تنويه وإكرام وإعظام ثواب العاملين تلك الأعـمال إذا قد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤) .

(٢) أخرجه البخارى (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧)، والموطأ (جهاد/ ٤٩) .

(٣) أخرجه البخارى (١٨٩٦)، (١١٥٢) .

جمعها ونيله ذلك، ثم يدخل من الباب الذى غلب عليه العمل .

وفى صحيح مسلم، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائمًا، قال: أبو بكر: أنا، فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضًا، قال أبو بكر: أنا، قال رسول الله ﷺ : ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة »[1].

* * * *

باب
ما جاء فى درج الجنة وما يحصلها للمؤمن

الترمذى رحمه الله، عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الجنة مائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس، وأوسطها الفردوس، وإن العرش على الفردوس، منها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس »، قال الترمذى: عطاء هذا لم يدرك معاذ بن جبل[2] .

قلت: قد خرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه كما تقدم، فهو صحيح متصل .

ابن ماجه، عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد؛ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه »[3] .

---

(١) مسلم (١٠٢٨) .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٥٣٠) وهو حديث صحيح يشهد له حديث البخارى (٢٧٩٠) .

(٣) صحيح أخرجه ابن ماجه (٣٧٨٠)، والترمذى (٢٩١٤)، وأبو داود (١٤٦٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢) .

وخرجه أبو داود، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[1] .

(فصل) :

قال علماؤنا رحمه الله عليهم: حملة القرآن وقراؤه هم العاملون بأحكامه وبحلاله وحرامه والعاملون بما فيه. وقال مالك: قد يقرأ القرآن من لا خير فيه .

وحديث أبى هريرة فيمن تعلم العلم وقرأ القرآن عجبًا ورياء، فيه كفاية لمن تدبر .

وفى البخارى: « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها »[2]، وذكر الحديث. وقد أشبعنا القول فيه فى قارىء القرآن وأحكامه فى كتاب: (التذكار فى فضل الأذكار) وفى مقدمة: جامع أحكام القرآن ما فيه كفاية والحمد لله .

* * * *

باب
ما جاء فى غرف الجنة ولمن هى؟

قال الله تعالى: ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف مبنية ﴾ [الزمر: ٢٠] الآية. وقال: ﴿ إلا من آمن وعمل صالحًا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ وقال: ﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ﴾ [الفرقان: ٧٥] .

وروى مسلم عن سهل بن أسعد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغاير من الأفق من

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٤) .

(٢) أخرجه البخارى (٥٤٢٧) .

المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[١].

(فصل) :

اعلم أن هذه الغرف مختلفة فى العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها فى الأعمال، فبعضها أعلى من بعض وأرفع، وقوله الغائر من المشرق أو المغرب: يروى بالياء اسم فاعل، من غار. وقد روى مسلم فى غير الغارب بتقديم الراء، والمعنى واحد. وروى الغابر بالياء بواحدة، ومعناه الذاهب أو الباقى، فإن غبر من الأضداد، يقال غبر إذا ذهب، وغبر إذا بقى، ويعنى به أن الكوكب حاله طلوعه وغروبه بعيد عن الأبصار فيظهر صغيراً لبعده، وقد بينه بقوله من المشرق أو المغرب. وقد روى العازب بالعين المهملة والزاى، أى البعيد ومعانيها كلها متقاربة المعنى .

* * * *

باب
ما جاء فى قصور الجنة ودورها وبيوتها ويما ينال ذلك المؤمن

الترمذى عن بريدة بن الحصيب قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: «يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك أمامى فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل عربى فقلت أنا عربى لمن هذا القصر قالوا لرجل من قريش. قلت أنا قرشى لمن هذا القصر. قالوا لرجل من أمة محمد.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣١). وهو من رواية أبى سعيد الخدرى. أما الذى رواه سهل بن سعد فقد ذكره مسلم قبل رواية أبى سعيد مختصراً قال: « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة فى الجنة كما تراءون الكوكب فى السماء » انظره برقم (٢٨٣٠) فى صحيح مسلم .

قلت: أنا من أمة محمد. قلت: أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر بن الخطاب » فقال بلال يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، أصابنى حدث إلا توضأت عنده ورأيت أن الله تعالى علىَّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: «بهما » قال: حديث حسن صحيح[1].

وخرج الطبرانى أبو القاسم سليمان بن أحمد مختصرًا من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ « دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت لمن هذا؟ فقالوا لعمر بن الخطاب »[2].

وخرج أبو داود الطيالسى قال: حدثنا حماد بن زيد عن أبى سنان قال: دفنت ابنى سنانًا وأبو طلحة الخولانى على شفير القبر فقال: حدثنى الضحاك بن عبد الرحمن عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا قبض الله عز وجل ابن العبد قال للملائكة ماذا قال عبدى؟ قالوا: حمدك واسترجع. قال: ابنوا له بيتًا فى الجنة وسموه بيت الحمد »[3].

* * * *

باب
ما جاء فى خيام الجنة
وأسواقها وتعارف أهل الجنة في الدنيا وعبادتهم فيها

مسلم عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال: « فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن » فى رواية. قال: « الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلاً، فى كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين »[4] .

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٣٦٨٩) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٣٦٨٨) من حديث أنس، وقال: حسن صحيح، وأخرجه البخارى (٧٠٢٤) بنحوه من حديث جابر .

(٣) صحيح أخرجه الطيالسى (٥٠٨)، والترمذى (١٠٢١)، وأحمد (٤/ ٤١٥)، وابن حبان (٧٢٦) عن أبى موسى الأشعرى .

(٤) مسلم (٢٨٣٨) .

وخرج مسلم أيضًا عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ : قال « إن فى الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم المسك فيزدادون حسنًا وجمالاً ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً ، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً »[١] .

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام »[٢] خرجه من حديث الأعمش سليمان عن عطية العوفى عن أبى سعيد وقال فيه حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم » قال: هذا حديث حسن صحيح[٣] .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا »[٤].

(فصل) :

قلت: وقد احتج بأحاديث هذا الباب من فضل الفقير على الغنى، وقد اختلف الناس فى هذا المعنى وطال فيه الكلام بينهم حتى صنفوا فيه كتبًا وأبوابًا، واحتج كل فريق لمذهبه في ذلك والأمر قريب .

وقد سئل أبو على الدقاق: أى الوصفين أفضل: الغنى أو الفقر، فقال: الغنى؛ لأنه وصف الحق والفقر وصف الخلق، ووصف الحق أفضل من وصف الخلق، قال الله تعالى: ﴿يا أيّها الناسُ أنتُم الفقراء إلى الله والله هو الغنىُّ الحميدُ﴾ [فاطر: ١٥] .

---

(١) مسلم (٢٨٣٣) .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٣٥١) وهو حديث صحيح بشواهده .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤٧٢) .

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٧٩) .

وبالجملة: فالفقير بالحقيقة العبد وإن كان له مال وإنما يكون غنيًا إذا عول على مولاه ولم ينظر إلى أحد سواه، فإن تعلق باله بشيء من الدنيا ورأى نفسه أنه فقير إليه فهو عبده. قال رسول الله ﷺ: « تعس عبد الدينار » الحديث خرجه البخارى[1] .

وإنما شرف العبد افتقاره إلى مولاه وعزه وخضوعه له .

ولقد أحسن من قال:

وإذا تذللت الرقاب تواضعًا ... منا إليك فعــزها فى ذلها

فالغنىّ المعلق بالمال الحريص عليه الراغب فيه هو الفقير حقيقة، وخادمه الذى يقول ما أبالى به ولا لى رغبة فيه، وإنما هى ضرورة العيش فإذا وجدتها فغيرها زيادة تشغل عن الإرادة فهو الغنى حقيقة. قال رسول الله ﷺ: « ليس الغنى عن كثرة العَرَض إنما الغنى غنى النفس » خرجه مسلم،[2] .

قلت: هنا درجة ثالثة رفيعة وهى الكفاف التى سألها رسول الله ﷺ فقال: « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا »[3] وفى رواية « كفافًا » خرجه مسلم. ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام لا يسأل إلا أفضل الأحوال وأسنى المقامات والأعمال، وقد اتفق الجميع على أن ما أحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم .

الكفاف: حالة متوسطة بين الغنى والفقر، فهى حالة سليمة من آفات الغنى المطغى وآفات الفقر فكانت أفضل منهما .

* * * *

(١) أخرجه البخارى (٦٤٣٥) .
(٢) أخرجه مسلم (١٠٥١) .
(٣) أخرجه مسلم (١٠٥٥) .

بـاب
منــه

الترمذى، عن ابن عمـر قال: خطبنا عمر بالجابية فـقال: « يا أيها الناس إنى قمت فـيكم كمقـام رسول الله ﷺ فينا فـقال: «أوصيكم بأصـحابى ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد، ولا يستـشهد، ولا يخلـون رجل بامرأة لا تحل له إلا كان ثالثـهما الشـيطان، عليكم بالجماعـة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحـد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن»(١) .

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب .

* * * *

بـاب
منه ما جاء فى صفة أهل الجنة ومراتبهم وسنهم وطولهم وشبابهم وعرقهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم

مسلم عن أبى هـريرة قال: قال رسـول الله ﷺ : « إن أول زمرة يدخلون الجنة، وفى رواية: من أمتى على صـورة القمر ليلة البـدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة وفى رواية: ثم هم بعد ذلك منازل. لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتـفلون ولا يتمخطون، أمشاطـهم الذهب. وفى رواية: الفضة ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين. وفى رواية: لكل واحد منهم زوجتـان يرى مخ ساقيـها من وراء اللحم من الحسن لا اخـتلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيًا »(٢).

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٢١٦٥) .
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٤) .

قال أبو علي: الألوة: هو العود. وفي رواية: أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم. وفي رواية: على صورة أبيهم ستون ذراعًا في السماء .

وقوله: « وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ». قد يقال هنا أي حاجة في الجنة للامتشاط ولا تتلبد شعورهم ولا تتسخ، وأي حاجة للبخور وريحهم أطيب من المسك، ويجاب عن ذلك بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن رفع ألم اعتراهم فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تعليهم عن نتن، وإنما هي لذات متوالية ونعم متتابعة ألا ترى قوله تعالى: ﴿ **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩] وحكمة ذلك أن الله تعالى نعمهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا وزادهم على ذلك مالا يعلمه إلا الله عز وجل .

قلت : وقد جاء مثل هذا في أهل النار حيث قال: ﴿ **إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون** ﴾ [غافر: ٧١] وقال: ﴿ **إن لدينا أنكالا وجحيما** ﴾ [المزمل: ١٢] فعذبهم في النار بنوع ما كانوا يعذبون به في الدنيا، قال الشعبي: أترون أن الله جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا لا والله، ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استثقلت بهم .

* * * *

باب
إذا ابتكر الرجل امرأة في الدنيا كانت زوجته فى الاخرة

قال حذيفة لامرأته إن سرك أن تكونى زوجتى فى الجنة إن جمعنا الله فيها لا تتزوجى من بعدى، فإن المرأة لآخر أزواجها فى الدنيا .

وخطب معاوية بن أبى سفيان أم الدرداء فأبت وقالت: سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: « المرأة لآخر أزواجها فى الجنة »(١). وقال لى: إن أردت أن تكونى زوجتى فى الجنة فلا تتزوجى من بعدى(٢) .

* * * *

باب
ما جاء أن فى الجنة أكلاً وشرباً ونكاحاً حقيقة

مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبى ﷺ يقول: « إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ». قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد »، وفى رواية « والتكبير كما يلهمون النفس »(٣).

الترمذى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى الجماع قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال يعطى قوة مائة ». وفى الباب عن زيد بن أرقم قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح(٤).

وروى الدارقطنى عن جابر بن عبد الله قيل يا رسول الله: أينام أهل الجنة؟

---

(١) أخرجه البيهقى فى سننه (٧/ ٦٩ - ٧٠) وفى إسناده عنعنة أبى إسحاق السبيعى واختلاطه لكنه شاهد لما بعده من حديث أبى الدرداء .

(٢) صحيح بمجموع طرقه صححه الألبانى انظر صحيحته (١٢٨١) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) .

(٤) صحيح أخرجه الترمذى (٢٥٣٦) .

قال: «لا. النوم أخو الموت. والجنة لا موت فيها». والله أعلم(١).

* * * *

باب
المؤمن إذا اشتهي الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى»، قال: حديث حسن غريب وأخرجه ابن ماجه وقال: «فى ساعة واحدة فى الجنة»(٢).

قال الترمذى: وقد اختلف أهل العلم فى هذا. فقال بعضهم فى الجنة جماع ولا يكون ولد. وهكذا يروى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعى. وقال محمد قال إسحاق بن إبراهيم فى حديث النبى ﷺ: «إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ولكن لا يشتهى» قال محمد: وقد روى عن أبى رزين العقيلى عن النبى ﷺ قال: إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد».

* * * *

باب
ما جاء أن كل ما فى الجنة دائم لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد

مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ينادى مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وذلك قوله عز وجل: ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعلمون﴾ [الأعراف: ٤٣]»(٣).

---

(١) صححه الألبانى بمجموع طرقه انظر الصحيحة (١٠٨٦).

(٢) أخرجه الترمذى (٢٥٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

باب
ما جاء فى طير الجنة وخيلها وإبلها

الترمذى، عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر، قال: «ذاك نهر أعطانيه الله يعنى فى الجنة، أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل. فيه طير أعناقها كأعناق الجزر»، فقال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أكلها أنعم منها»، قال: هذا حديث حسن[1].

وخرج مسلم عن أبى مسعود الأنصارى، قال: جاء رجل بناقه مخطومة فقال: هذه فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة»[2].

* * * *

باب
ما جاء أن الشاة والمعزى من دواب الجنة

ابن ماجة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الشاة من دواب الجنة» وفى كتاب البزار، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «أحسنوا إلى المعزى وأميطوا عنها الأذى فإنها من دواب الجنة»[3]، وفى التنزيل: ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾[الصافات: ١٠٧]، وإنما سمى عظيما لأنه رعى فى الجنة أربعين عاما، روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه.

* * * *

(١) أخرجه الترمذى (٢٥٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٢).

(٣) صحيح أخرجه ابن ماجه (٢٣٠٦).

باب
ما جاء أن للجنة ربضا وريحا

النسائى عن فضالة بن عبيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أنا زعيم- والزعيم الحميل- لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت له فى ربض الجنة، وبيت فى وسط الجنة وبيت فى أعلى غرف الجنة، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت »(١) .

وروى مالك عن مسلم بن أبى مريم عن أبى صالح، عن أبى هريرة أنه قال: « نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وأن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة »، هذا موقوف. قال أبو عمر بن عبد البر: وقد رواه عبد الله بن نافع الصائغ عن مالك بهذا الإسناد عن النبى ﷺ(٢).

وخرج أبو داود والترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « ألا من قتل نفسا معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يروح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا » لفظ الترمذى(٣).

قال: وفى الباب عن أبى بكرة، قال أبو عيسى: حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح .

وخرج البخارى عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال: « من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما »(٤).

* * * *

(١) صحيح أخرجه النسائى (٦/ ٢١) .
(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (اللباس/ ٧)، وأخرجه مسلم بنحوه (٢١٢٨) .
(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٣٤)، والترمذى (١٤٠٣) .
(٤) أخرجه البخارى (٦٩١٤) .

باب
ما جاء فى أن الجنة قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله

الترمذى عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بى فقال: يا محمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر »(١).

قال: وفى الباب عن أبى أيوب. وهذا حديث حسن غريب .

ابن ماجه، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرسا فقال: « يا أبا هريرة ما الذى تغرس؟ قال: غرسا قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة »(٢) .

الترمذى، عن جابر بن عبد الله عن النبى قال: من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة »(٣).

* * * *

باب
ما لأدنى أهل الجنة وما لأعلاهم

مسلم عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسوله الله ﷺ قال: « سأل موسى عليه السلام ربه. فقال: يا رب ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يأتى بعدما يدخل أهل الجنة الجنة، فيقول: أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٤٦٢) .

(٢) صحيح أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٧) .

(٣) صحيح أخرجه الترمذى (٣٤٦٤، ٣٤٦٥) .

فيقول: رضيت رب فيقول: لك ذلك ومثله معه، ومثله، ومثله، فقال فى الخامسة، رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت، قال: يا رب فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت. غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه من كتاب الله: ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** ﴾ [السجدة: ١٧][(١)].

البخارى عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر الناس خروجا من النار، رجل يخرج حبوا، فيقول له ربه: ادخل الجنة. فيقول: رب الجنة ملأى، فيقول له ذلك ثلاث مرات كل ذلك يعيد عليه الجنة ملأى، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرات »[(٢)] .

* * * *

باب
رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة

البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم، فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أفلا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا ربنا أى شىء أفضل من ذلك، فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا »، أخرجه مسلم، بمعناه فى حديث فيه طول[(٣)] .

* * * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩) .

(٢) البخارى (٦٥٧١) .

(٣) البخارى (٦٥٤٩، ٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩) .

بـاب
رؤية أهل الجنة لله تعالى
أحب إليهم مما هم فيه وأقر لأعينهم

مسلم عن صهيب، عن النبى ﷺ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى لهم: أتريدون شيئا أزيدكم، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار، قال: فيكشف لهم الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، وفى رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ [يونس: ٢٦][١].

وخرج النسائى عن صهيب قال: قيل لرسول الله هذه الآية ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ينادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، فقالوا: ألم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتجرنا من النار. قال: فيكشف الحجاب فينظروا إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إلى وجه الله ولا أقر لأعينهم »[٢].

وخرجه أبو داود الطيالسى أيضا. قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله تعالى موعدا فيقولون: ما هو أليس قد بيض وجوهنا وثقل موازيننا وأدخلنا الجنة؟ فيقال لهم ثلاثا، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوا »[٣].

* * * *

(١) أخرجه مسلم (١٨١) .

(٢) أخرجه النسائى فى السنن الكبرى كما ذكره المزى فى تحفة الأشراف .

(٣) أخرجه الطيالسى (١٣١٥) بإسناد صحيح .

بابـ
منه فى الرؤية

مسلم عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل، إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن »(١).

وعن جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: « إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا. ثم قرأ: ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾ [ق: ٣٩] أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح(٢).

(فصل) :

قوله: إلا رداء الكبرياء على وجهه. الرداء هنا مستعار كنى به عن كبريائه وعظمته يبينه الحديث الآخر: « الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى » يريد بذلك صفتى، فقوله: رداء الكبرياء يريد صفة الكبرياء فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه بعد رؤية القيامة حتى يأذن لهم بدخول جنة عدن فإذا دخلوها أراد أن يروه فيروه وهم فى جنة عدن قال البيهقى وغيره: معناه وليست العظمة والكبرياء من جنس الثياب المحسوسة، وإنما هى توسعات، ووجه المناسبة أن الرداء والإزار لما كانا ملازمين للإنسان مخصوصين به، ولا يشاركه فيهما غيره عبر عن عظمته وكبريائه بهما لأنهما مما لا يجوز مشاركة الله تعالى فيهما ألا ترى آخر الحديث فمن نازعنى واحدا منهما قصمته ثم قذفته فى النار .

* * * *

(١) أخرجه مسلم (١٨٠) .

(٢) أخرجه البخارى (٥٥٤، ٥٧٣)، ومسلم (٦٣٣)، وأبو داود (٤٧٩)، والترمذى (٢٥٥١) .

باب
نبذ من أقوال العلماء فى تفسير كلمات وآيات من القرآن وردت فى ذكر الجنة وأهلها

قوله تعالى: ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ﴾ [الحج: ٢٣] قال المفسرون: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفى يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وقال هنا: ﴿ من ذهب ولؤلؤا ﴾ وقال فى آية أخرى: ﴿ وحلوا أساور من فضة ﴾ [الإنسان: ٢١] .

وفى الصحيح: تبلغ حلية المؤمن حيث تبلغ الوضوء[1]، وقرىء (لؤلؤا) بالنصب على معنى ويحلون لؤلوا وأساور: جمع أسورة، وأسورة واحدها سوار فيها ثلاث لغات ضم السين وكسرها وأسوار، قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس فى الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم ملوك .

قوله تعالى: ﴿ ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق ﴾ [الكهف: ٣١] وقال: ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ﴾ [الإنسان: ٢١] الإستبرق: الديباج الصفيق الكثيف، والسندس: الرقيق الخفيف .

قال الله تعالى: ﴿ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ﴾ [الطور: ٢٢] وهى الثمار كلها رطبها ويابسها. قاله ابن عباس، وقال مجاهد فى قوله تعالى: ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ يعنى: ظلال الشجر ﴿ وذللت قطوفها تذليلا ﴾ [الإنسان: ١٤] أى ذللت ثمارها يتناولون منها كيف شاءوا. إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت إليه، وإن اضطجع تدلت إليه حتى يتناولها .

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا شريك عن أبى إسحاق عن البراء: ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ﴾ قال: أهل الجنة يأكلون الثمار من الشجر كيف شاءوا جلوسا ومضطجعين وكيف شاءوا. واحد القطوف قطف بكسر القاف .

---

(١) مسلم (٢٥٠) .

قوله تعالى: ﴿ **يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب** ﴾ [الزخرف: ٧١] .

وأكواب، أي: ويطاف عليهم بأكواب كما قال تعالى: ﴿ **ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب** ﴾ [الإنسان: ١٥] قال قتادة: الكوب: المدور القصير العنق القصير العروة، والإبريق المستطيل الطويل العنق الطويل العروة .

وقال ابن عزيز: أكواب: أباريق لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب، وقال الجوهري في الصحاح: الكوب كوز لا عروة له: ﴿ **كانت قواريرا ۝ قواريرا من فضة** ﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦] أي اجتمع فيها صفاء القوارير في بياض الفضة وذلك أن لكل قوم من تراب أرضهم قوارير، قال: وإن تراب الجنة فضة فهي قوارير من فضة: ﴿ **قدروها تقديرا** ﴾ [الإنسان: ١٦] أي في أنفسهم فأتتهم على نحو ما قدروا واشتهوا من صغار وكبار وأوساط هذا تفسير قتادة .

وقال ابن عباس ومجاهد: أتوا بها على قدر ربتهم بغير زيادة ولا نقصان، والمعنى قدرتها الملائكة التي تطوف عليهم ويسقون فيها كأسا أي من كأس كما قال في الآية الأخرى: ﴿ **إن الأبرار يشربون من كأس** ﴾ [الإنسان: ٥] يعني الخمر، قال: ﴿ **ويُطاف عليهم بكأس من معين** ﴾ [الصافات: ٤٥] أي من خمر، والمعين: الماء الجاري الظاهر. ﴿**لا فيها غول**﴾، أي لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها صداع ﴿**ولا هم عنها ينزفون** ﴾ [الصافات: ٤٧] أي لا تذهب عقولهم بشربها، يقال: الخمر غوْل للحليم، والحرب غولٌ للنفوس .

قوله تعالى: ﴿ **وعندهم قاصرات الطرف** ﴾ [الصافات: ٤٨] أي نساء قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم .

وعين: عظام العيون الواحدة منهن عيناء: ﴿ **كأنهن بيض مكنون** ﴾ [الصافات: ٤٩] أي مصون .

وقال الحسن وابن زيد: شبههن ببيض تكنه النعامة بالريش من الريح والغبار فلونه أبيض في صفرة، وهو أحسن ألوان النساء. وقيل المراد بالبيض: اللؤلؤ كقوله: ﴿ **وحور عين ۝ كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ [الواقعة: ٢٢] أي في أصدافه.

وقال: ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ [الرحمن: ٧٠] يعنى النساء. الواحدة خيرة وأصله خيرات فخفف كهين ولين .

النصيف: القناع. وقوله: حسان أى حسان الخلق. وإذا قال تعالى: ﴿حسان﴾ فمن يقدر أن يصف حسنهن. حور أى بيض مقصورات أى محبوسات فى الخيام مع خيمة .

وعن أبى الأحوص: ﴿ حور مقصورات فى الخيام ﴾ قال: الدر المجوف .

وعن يحيى بن أبى كثير فى قوله تعالى: ﴿ فهم فى روضة يحبرون ﴾ قال: الروضة اللذات والسماع، قوله تعالى: ﴿ وعبقرى حسان ﴾ [الرحمن: ٧٦] العبقرى الفرش له. قال ابن عباس: الواحدة عبقرة وهى النمارق أيضا فى قوله تعالى: ﴿ونمارق مصفوفة﴾ [الغاشية: ١٥] والزرابى البسط، مبثوثة معناه: مبسوطة وقيل منسوجة بالدر والياقوت، وقوله تعالى: ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين.﴾ [الواقعة: ٢٧] يعنى أهل الجنة من غير السابقين وأهل الجنة كلهم أصحاب يمين ﴿ فى سدر مخضود ﴾ [الواقعة: ٢٨] وهو الذى نزع شوكه وقد تقدم ﴿ وطلح منضود ﴾ [الواقعة: ٢٩] أى بعضه على بعض. وقال المفسرون: الطلح شجر الموز هاهنا وهو عند العرب شجر حسن اللون لخضرته، وإنما خص بالذكر لأن قريشا كانوا يتعجبون من خضرته وكثرة ظلاله من طلح وسدر، فخوطبوا ووعدوا لما يحبون مثله، قال مجاهد وغيره، قوله تعالى: ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ قال مجاهد: مطهرة من البول والغائط والحيض والنخام والبصاق والمنى والولد، ذكره ابن المبارك. أنبأنا ابن جريج، عن مجاهد فذكره .

﴿ وهم فيها خالدون ﴾ [البقرة: ٢٥] أى باقون لا خروج لها منها .

وقال مجاهد أيضا فى قوله تعالى: ﴿ على سرر متقابلين ﴾ [الصافات: ٤٤ - الحجر: ٤٧] قال: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تواصلا وتحابيا، وقيل: الأسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحد قفا أحد .

* * * *

باب
ما جاء فى أطفال المسلمين والمشركين

وذكر أبو عمر فى كتاب التمهيد والاستذكار، وأبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول والمفسرون عن على بن أبى طالب ﷺ فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين** ﴾ [المدثر: ٣٨] قال: هم أطفال المسلمين، زاد الترمذى: لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم. وقال أبو عمر: الجمهور من العلماء على أن أطفال المسلمين فى الجنة .

ذكر البخارى حديث أبى رجاء العطاردى، عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ الحديث الطويل حديث الرؤيا، وفيه قوله عليه الصلاة والسلام: « وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فإبراهيم عليه السلام، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة » فقيل: يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ : « وأولاد المشركين »[1].

وخرج البخارى أيضا فى رواية أخرى عن أبى رجاء العطاردى: والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله أولاد الناس[2]. وهذا يقتضى عمومه جميع الناس .

قلت : ذهب إلى هذا جماعة من العلماء وهو أصح شىء فى الباب، قالوا: أولاد المشركين إذا ماتوا صغارا فى الجنة .

روى أبو عبد الله الترمذى الحكيم قال: حدثنا أبو طالب الهروى قال: حدثنا يوسف بن عطية عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم فإنما يولدون على الفطرة على الإسلام كلهم، ولكن الشياطين أتتهم فاجتالهم عن دينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم

---

(١) أخرجه البخارى (٧٠٤٧) .

(٢) البخارى (١٣٨٦) .

وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا »[١] .

وخرج من حديث عياض بن حمار المجاشعى عن رسول الله ﷺ أنه قال فى خطبته: « إن الله أمرنى أن أعلمكم وقال إنى خلقت عبادى كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بى وحرمت عليهم ما أحللت لهم »[٢].

قال أبو عبد الله الترمذى: هذا بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا، وتأكدت حجة الله عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة من خلق السموات والأرض والشمس والقمر والبر والبحر، واختلاف الليل والنهار، فلما غلبت أهواؤهم عليهم أتتهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية والنصرانية بأهوائهم يمينا وشمالا .

قلت : وهذا أيضا يقوى ما أخذناه من أطفال المشركين فى الجنة، وحديث عياض بن حمار خرجه مسلم فى صحيحه وحسبك حسبك. وللعلماء فى الفطرة أقوال قد ذكرناها فى كتاب جامع أحكام القرآن من سورة الروم، والحمد لله .

* * * *

باب
منه وفى ثواب من قدم ولدا

مسلم عن أبى حسان قال: قلت لأبى هريرة رضي الله عنه أنه مات لى ابنان فما أنت محدثى عن رسول الله ﷺ تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: « نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فأخذ بثوبه أو قال بيده كما آخذ أنا بصنيعة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال فلا ينتهى حتى يدخله الله وأبويه الجنة[٣].

---

(١) معناه فى ولادة كل مولود على الفطرة فى الصحيحين وغيرهما. انظر صحيح البخارى (٧١٦)، وصحيح مسلم (٢٦٥٨) .

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم (جنة/ ٦٣) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٣٥) .

وخرج أبو داود الطيالسى قال: حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه أن النبى ﷺ كان يختلف إليه رجل من الأنصار معه ابن له، فقال له رسول الله ﷺ ذات يوم « أتحبه يا فلان »؟ فقال: نعم. فأحبك الله كما أحبه ففقده النبى ﷺ فسأله عنه فقال: يا رسول الله مات ابنه فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أو لا ترضى أن لا تأتى بابًا من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى يفتحه لك» فقالوا: يا رسول الله: أله وحده أم لنا كلنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل لكلكم» ذكره أبو عمر فى التمهيد أيضًا. وقال هذا حديث ثابت صحيح[1].

(فصل):

هذا الحديث يدل على أن صغار أولاد المؤمنين فى الجنة، وهو قول أكثر أهل العلم كما بينا فى الباب قبل هذا، وهو مقتضى ظاهر قول الله عز وجل: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ [الطور: ٢١] كما تقدم.

وقد أنكر بعض العلماء الخلاف فيهم، وهذا فيما عدا أولاد الأنبياء عليهم السلام، فإنه قد تقرر الإجماع على أنهم فى الجنة. حكاه أبو عبد الله المازرى. ودعاميص: جمع دعموص وهو دويبة تغوص فى الماء والجمع دعاميص ودعامص.

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: « من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجابًا من النار وأدخل الجنة »[2].

قال المؤلف رحمه الله: قوله عليه الصلاة والسلام: « لم يبلغوا الحنث » معناه عند أهل العلم: لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث.

وفى هذا دليل على أن أطفال المسلمين فى الجنة لأن الرحمة إذا نزلت بآبائهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم. قال أبو عمر بن عبد البر: وهذا إجماع من العلماء فى أن أطفال المسلمين فى الجنة ولم يخالف فى ذلك إلا فرقة

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسى (١٠٧٥)، وإسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخارى (١٢٤٨، ١٣٨١).

شذت من المجرة، فجعلتهم فى المشيئة وهو قول مهجور مردود بإجماع الحجة الذين لا يجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط .

* * * *

باب
ما جاء فى نزل أهل الجنة وتحفهم إذا دخلوها

روى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده ما يكفؤ أحدكم خبزته فى السفر، نزلاً لأهل الجنة، قال: فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله ﷺ قال فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذه. قال ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى. قال: بالام ونون. قالوا وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفًا »[١].

وخرج مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قاعدا عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعنى؟ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله؟ فقال اليهودى: إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ : « إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى ». فقال اليهودى: جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ : « أينفعك شىء إن حدثتك؟ » قال: أسمع بأذنى، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه. فقال: « سل ». فقال اليهودى: أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم فى الظلمة دون الجسر ». قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: « فقراء المهاجرين ». قال اليهودى: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: « زيادة كبد النون ». قال: فما

---

(١) أخرجه البخارى (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢) .

غذاؤهم؟ قال: « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال: فما شرابهم على إثرها؟ قال: « من عين فيها تسمى سلسبيلاً » فقال: صدقت. وذكر الحديث[١].

* * * *

(فصل) :

قلت: هذا الحديث انفرد به مسلم وهو أبين من الحديث الآخر الذى قبله لأنه من قول النبى ﷺ جوابًا لليهودى، والحديث الذى قبله آخره من قول اليهودى وهو يدخل فى المسند لإقرار النبى ﷺ . والجبار اسم من أسماء الله تعالى قد أتينا على ذكره فى الكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى، ويكفؤها يقلبها ويميلها من قولك كفأت الإناء إذا كببته، وقد تقدم أن أرض المحشر كقرصة النقى ليس فيها علم لاحد. والنزل ما يعد للضيف من الطعام والشراب. ويقال نزل أو نزل بتخفيف الزاى وتثقيلها، وقرىء بذلك قوله: ﴿ **نزلا من عند الله** ﴾ [آل عمران: ١٩٨] قال أهل اللغة: النزل ما يهيأ للتزيل. والنزيل الضيف.

والتحفة ما يتحف به الإنسان من الفواكه، والطرف محاسنة وملاطفة، وزيادة كبد النون قطعة منه كالأصبع، وبالام قد جاء مفسرًا فى متن الحديث أنه الثور، ولعل اللفظة عبرانية والنون الحوت وهو عربى .

* * * *

باب
الكف عمن قال: لا إله إلا الله

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »[٢] .

---

(١) مسلم (٣١٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٢١) .

باب
ما جاء أن المؤمن حرام دمه وماله وعرضه وفى تعظيم حرمته عند الله تعالى

ابن ماجه، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع: «ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا، وإن أحرم الشهور شهركم هذا، وإن أحرم البلد بلدكم هذا، ألا وإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا، فى شهركم هذا. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد». خرجه مسلم من حديث أبى بكرة وجابر بمعناه(١).

مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »(٢).

النسائى عن بريد قال: « قال رسول الله ﷺ : « قتل المؤمن عند الله أعظم من زوال الدنيا »(٣).

الترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « من أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة ». قال: حديث حسن صحيح غريب(٤).

* * * *

باب
ما جاء فى قتل المؤمن والإعانة على ذلك

قال الله تعالى: ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] وقال تعالى: ﴿ الذين لا يدعون مع الله إلهـا آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٣١) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) .

(٣) أخرجه النسائى فى كتاب تحريم الدم - باب تعظيم الدم .

(٤) أخرجه الترمذى (٢١٦٢) .

ذلك يلق أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا ﴾ [الفرقان: ٦٨].

أبو داود عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركًا أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمدًا »(١).

وعنه عن رسول الله ﷺ قال: « لا يزال المؤمن معنقًا صالحًا ما لم يصب دمًا حرامًا فإذا أصاب دمًا حرامًا بلح»(٢) قال الهروى: بلح أى أعيا وانقطع به. يقال: بلح الفرس إذا انقطع جريه وبلحت الركية إذا انقطع ماؤها .

* * * *

باب
إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والتحذير منها وفضل العباد عندها

قال الله تعالى: ﴿ واتقوا فتنةً لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ [الأنفال: ٢٥] وقال تبارك وتعالى: ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ففى هذا تنبيه بالغ على التحذير من الفتن .

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم. يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا »(٣).

وعن زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ قالت: « خرج رسول الله ﷺ يوما فزعًا محمرًا وجهه يقول: «لا إله إلا الله. ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعين الإبهام والتى تليها قالت فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٧٠)، وابن حبان (٥١)، والحاكم (٤/ ٣٥١) وصححه ووافقه الذهبى .

(٢) التخريج السابق .

(٣) أخرجه مسلم (١١٨) .

(٤) أخرجه البخارى (٧٠٥٩، ٧١٣٥) .

وعن أسامة رضي الله عنه أن النبى ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال: «هل ترون ما أرى؟ إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر». أخرجهما البخارى(١).

مسلم عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت: استيقظ النبى ﷺ ليلة فزعا مرعوبا يقول: «سبحان الله ماذا فتح الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؛ من يوقظ صواحب الحجر يريد أزواجه لكى يصلين، رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة»(٢).

مسلم عن سالم بن عبد الله أنه قال: «يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة. سمعت أبى عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الفتنة تجىء من ها هنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض وإنما قتل موسى الذى قتل من آل فرعون خطأ. فقال الله تعالى له: ﴿ **وقتلت نفسًا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا** ﴾. [طه: ٤٠](٣).

وعن معقل بن يسار عن النبى ﷺ قال: «العبادة فى الهرج كهجرة إلىّ»(٤).

* * * *

(فصل) :

قوله: «ويل للعرب من شر قد اقترب» قد تقدم معنى الويل، والمراد به هنا الحزن. قال ابن عرفة: فأخبر عليه الصلاة والسلام بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من الويل والحرب، وقد وجد ذلك بما استؤثر عليهم به من الملك

---

(١) أخرجه البخارى (٧٠٦٠).

(٢) لم أقف عليه فى صحيح مسلم وإنما هو فى البخارى (٧٠٦٩) والترمذى (٢١٩٦).

(٣) أخرجه مسلم (فتن/ ٥٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

والدولة والأموال والإمارة، فصار ذلك فى غيرهم من الترك والعجم وتشتتوا فى البرارى بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه الصلاة والسلام، وما جاءهم به من الدين والإسلام، فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضًا، وسلب بعضهم أموال بعض سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم كما قال تعالى: ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم** ﴾ [محمد: ٣٨] . ولهذا لما قالت زينب فى سياق الحديث: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « نعم إذا كثر الخبث » .

(فصل) :

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: قولها أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « نعم إذا كثر الخبث ». دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين إذا كثر الصالحون .

فأما إذا كثر المفسدون وقلّ الصالحون هلك المفسدون والصالحون معهم إذا لم يأمروا بالمعروف ويكرهوا ما صنع المفسدون، وهو معنى قوله: ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ [الأنفال: ٢٥] بل يعم من تعاطاها ومن رضيها هذا بفساده وهذا برضاه وإقراره على مانبينه .

فإن قيل فقد قال الله تعالى: ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾ [المدثر: ٣٨] ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب .

وقرىء: ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنها تصيب الظالم خاصة وهى قراءة زيد بن ثابت وعلى وأبى وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين .

والجواب: أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر، فمن الفرض على من رآه أن يغيره إما بيده، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه ليس على أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك .

روى الأئمة عن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ليس عليه غيره وذلك أضعف الإيمان»(١).

وروى أبو داود عن العرس بن عميرة الكندى، عن النبى ﷺ قال: « إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فكرهها وقال مرة: فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها »(٢) وهذا نص فى الفرض. وحسن رجل عند الشعبى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال الشعبى: قد شركت فى دمه .

وفى صحيح الترمذى(٣): « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده ». فالفتنة إذا عمت هلك الكل، وذلك عند ظهور المعاصى وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها، وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم كما فى قصة السبت حين هجروا العاصيين، وقالوا: لا نساكنكم، وبهذا قال السلف رضي الله عنهم .

* * * *

باب
ما جاء أن عثمان رضي الله عنه
لما قتل سل سيف الفتنة

وفى الترمذى عن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: « يا عثمان لعل الله يقمصك قميصًا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم » قال: هذا حديث حسن غريب(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩)، والترمذى (٢١٧٣)، والنسائى (٨/ ١١١و ١١٢)، أحمد (٣/ ٢٠، ٤٩، ٥٢، ٥٤) .

(٢) حديث حسن أخرجه أبو داود (٤٣٤٥) .

(٣) صحيح أخرجه الترمذى (٢١٦٨) عن أبى بكر الصديق، وأخرجه ابن ماجه (٤٠٠٥) .

(٤) صحيح أخرجه الترمذى (٣٧٠٥) .

وفيه عن ابن عمر قال: ذكر النبى ﷺ فتنـة فقال: « يقتل فيها هذا مظلومًا لعثمان » وقـال حديث حسن غريب. ويروى أنه دخل عليه عـبد الله بن عمر بن الخطاب قال: انظر ما يقول هؤلاء يقولون اخلع نفسك أو نقتلك. قال له: أمخلد أنت فى الدنيا؟ قال: لا. قال: فهل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا. قال: هل يملكون لك جنة أو نارًا. قال: فلا تخلع قميص الله عليك فيكون سنة، كلما كره قوم خليفة خلعوه وقتلوه[١].

* * * * *

باب
لا يأتى زمان إلا والذي بعده شر منه وفى ظهور الفتن

البخارى عن الزبير بن عدى قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقـال: « اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعـده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعـته من نبيكم ﷺ، وخرجه الترمـذى وقال: « حديث حسن صحيح[٢].

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « يتقـارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الـهرج » قالوا يا رسول الله: أية هو؟ قـال: « القتل القتل » أخرجه البخارى، ومسلم[٣].

* * * *

(فصل) :

قوله: « يتقارب الزمان » قيل معناه قصـر الأعمار وقلة البركة فيها، وقيل هو دنو زمان الساعة، وقيل هو قصر مدة الأيام على ما روى « إن الزمان يتقارب حتى

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٣٧٠٨) .

(٢) أخرجه البخارى (٧٠٦٨) .

(٣) أخرجه البخارى (٦٠٣٧)، ومسلم (علم/ ١١)، وأبو داود (٤٢٥٥) واللفظ له .

تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السعفة » أخرجه الترمذى[١] وقال: هذا حديث حسن غريب، وقيل فى تأويله غير هذا .

وقال حماد بن سلمة: سألت أبا سنان عن قوله يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر وقال: ذلك من استلذاذ العيش. قال الخطابى: يريد والله أعلم زمان خروج المهدى ووقوع الأمنة فى الأرض فيما يبسطه من العدل فيها على ما يأتى ويستلذ به العيش عند ذلك، وتستقصر مدته ولا يزال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت، وامتدت، ويستطيلون أيام المكروه وإن قصرت وقلت، والعرب تقول فى مثل هذا: مرَّ بنا يوم كعرقوب القطا[٢] قصرًا. يلقَّى الشح بمعنى يتلقى ويتعلم ويتواصى عليه ويدعى إليه ومنه قوله تعالى: ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾ [البقرة: ٣٧] أى تقبلها وتعلمها، ويجوز يلقى بتخفيف اللام والقاف على معنى يترك لإفاضة المال وكثرته، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته فلا يجد من يقبلها، ولا يجوز أن يكون بمعنى يوجد لأن الشح مازال موجودًا قبل تقارب الزمان .

* * * *

باب
ما جاء فى الفرار من الفتن وكسر السلاح وحكم المكره عليها

مالك عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله: « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن »[٣] .

مسلم عن أبى بكرة قال: قال رسول الله «إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتن

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٢٣٣٢) .
(٢) القطا طائر معروف .
(٣) أخرجه البخارى (٧٠٨٨) .

ألا ثم تكون فتن القاعد فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى إليها، ألا فإذا نزلت ووقعت، فمن كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بأرضه قال: فقال له رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض. قال: يعمد إلى سيفة فيدق عليه بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاة، اللهم هل بلغت. اللهم هل بلغت. اللهم هل بلغت. قال فقال رجل يا رسول الله. أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بى إلى أحد الصفين أو إحدى فئتين فيضربنى رجل بسيفه أو يجىء سهم فيقتلنى؛ قال: يبوء بإثمة وإثمك ويكون من أصحاب النار»[١].

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى خير من الساعى. من يشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به »[٢] .

* * * *

باب
منه والأمر بلزوم البيوت عند الفتن

ابن ماجة عن أبى بردة قال: دخلت على محمد بن مسلمة، فقال إن رسول الله ، قال: « إنها ستكون فتنة وخلاف وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فائت بسيفك أحدا فاضرب به حتى ينقطع ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية »[٣] فقد وقعت وفعلت ما قال النبى ﷺ .

أبو داود عن أبى موسى قال: قال رسول الله « إن بين أيديكم فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسى كافرًا. القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعى قالوا: فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم »[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٦) .

(٣) صحيح أخرجه ابن ماجه (٣٩٦٢) .

(٤) صحيح أخرجه أبو داود (٤٢٦٢) .

(فصل) :

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: كان محمد بن مسلمة ﷺ ممن اجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال، وأن النبى ﷺ أمره إذا كان ذلك أن يتخذ سيفًا من خشب ففعل وأقام بالربذة، وممن اعتزل الفتنة أبو بكرة، وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد، وأبو ذر، وحذيفة، وعمران بن حصين، وأبو موسى، وأهبان بن صيفى، وسعد بن أبى وقاص وغيرهم، ومن التابعين شريح والنخعى وغيرهم ﷺ .

قلت: هذا وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم، فكان المصيب منهم له أجران والمخطىء له أجر، ولم يكن قتال على الدنيا، فكيف اليوم الذى تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلبًا للملك والاستكثار من الدنيا، فواجب على الإنسان أن يكف اليد واللسان عند ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن. نسأل الله السلامة والفوز بدار الكرامة بحق نبيه وآله وأتباعه وصحبه. وقوله: « كونوا أحلاس بيوتكم » حض على ملازمة البيوت والقعود فيها حتى سلم من الناس ويسلموا منه .

ودخل سلمة بن الأكوع على الحجاج، وكان قد خرج إلى الربذة حين قتل عثمان، وتزوج امرأة هناك وولدت له أولادًا، فلم يزل بها حتى كان قبل أن يموت بليال، فدخل المدينة فقال له الحجاج: ارتددت على عقبيك؟ قال: لا ولكن رسول الله ﷺ أذن لنا فى البدو. خرجه مسلم[1].

* * * *

(١) أخرجه مسلم (١٨٦٢) .

بـاب
منه وكيف التثبت فى الفتنة، الاعتزال عنها وفى ذهاب الصالحين

ابن ماجه عـن عديسة بنت أهبان قـالت: لما جاء على بن أبى طالب ها هنا بالبصـرة دخل على أبى، فقال يا أبا مـسلم: ألا تعيننى على هولاء القـوم؟ قال: بلى فدعى جاريتـه فقال: يا جارية! أخرجى سـيفى. قال فأخرجتـه فسل منه قدر شبر، فإذا هو خشب، فقال: إن خليلى وابن عمك ﷺ عهد إلى إذا كانت فتنة بين المسلمين فاتخذ سيفًا من خشب، فإذا شئت خرجت معك. قال: لا حاجة لى فيك ولا فى سيفك[1].

وعن زيد بن شرحبـيل عن أبى موسى الأشعرى قـال: قال رسول الله ﷺ «إن بين يدى الساعة فتنـًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسى كافرًا ويصبح كافرًا ويمسى مـؤمنًا، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فـيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من السـاعى، فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحـجارة، فإن دخل على أحد منكم فليكن كخيـر ابنى آدم » أخرجه أبو داود أيضًا[2].

وخـرج من حديث سـعد بن أبـى وقاص قلت يا رسـول الله: إن دخل على بيتى وبسط يده إلى ليقـتلنى قال: فقال رسول الله « كن كـخير ابنى آدم وتلا هذه الآية: ﴿ لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ﴾ . [المائدة: ٢٨][3] .

ابن ماجـة، عن عبد الله بن عـمرو أن رسول الله ﷺ قـال: « كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتى فيـغربل الناس فيه غربلة يبقى حثـالة من الناس قد مرجت عهـودهم وخفت أمـانتهم، واخـتلفوا فكانوا هكذا وهـكذا وشبك بين أصـابعه، قالوا: كـيف بنا يا رسول الله إذا كـان ذلك الزمان؟ قـال: تأخذون بما تعـرفون،

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٣٩٦٠) .

(٢) صحيح أخرجه ابن ماجه (٣٩٦١)، وأبو داود (٤٢٥٩) .

(٣) أبو داود (٤٢٥٧) .

وتدعون بما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم وتذرون أمر عامتكم » أخرجه أبو داود أيضًا(١).

(فصل) :

قوله: ويوشك. معناه يقرب، وقوله: فيغربل الناس فيها غربلة. عبارة عن موت الأخيار وبقاء الأشرار كما يبقى الغربال من حثالة ما يغربله، والحثالة: ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذى قشر إذا بقى، وحثالة الدهن تفله، وكأنه الردىء من كل شىء، ويقال: حثالة وحفالة بالثاء والفاء معًا .

وخرج البخارى عن مرداس الأسلمى قال: قال رسول الله ﷺ «يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لا يباليهم الله باله»(٢) وفى رواية « لا يعبأ الله بهم » يقال ما أباليه باله وبال وبلى مقصور ومكسور الأول مصدر وقيل اسم أى ما أكثرت به والبال الاكتراث والاهتمام بالشىء، والصالحون هم الذين أطاعوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه .

ومرِجت معناه اختلطت واختلفت والمرْج الاختلاط والاختلاف .

* * * *

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٧) وأبو داود (٤٣٤٢) .
(٢) أخرجه البخارى (٦٤٣٤) .

بابـ
الأمر بتعلم كتاب الله واتباع ما فيه ولزوم جماعة المسلمين عند غلبة الفتن وظهورها وصفة دعاة آخر الزمان والأمر بالسمع والطاعة للخليفة وإن ضرب الظهور وأخذ المال

وخرج البخارى ومسلم وأبو داود، عن أبى إدريس الخولانى أنه سمع حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت: يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: « نعم » فقلت: هل بعد ذلك من خير؟ قال: « نعم وفيه دخن » قلت: وما دخنه؟ قال: « قوم يستنون بغير سنتى ويهتدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر » فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » فقلت يا رسول الله: صفهم لنا. قال « نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » فقلت يا رسول الله: فما تأمرنى إن أدركت ذلك؟ قال: « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال « فاعتزل الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك »[1].

وفى رواية قال: « تكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى ولا يستنون بسنتى وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جسمان إنس » قال فكيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: « تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » لفظ مسلم.

* * * *

(١) أخرجه البخارى (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧)، وأبو داود (٤٢٤٦) بنحو معناه عندهما .

باب

منه إذا التقي المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار

مسلم عن الأحنف بن قيس قال: خرجت وأنا أريد هذا الرجل فلقينى أبو بكرة فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: فقلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله ﷺ يعنى عليًا فقال لى: يا أحنف ارجع فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قال فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: « إنه قد أراد قتل صاحبه »[١] أخرجه البخارى وفى بعض طرقه « إنه كان حريصًا على قتل صاحبه »[٢].

(فصل) :

قال علماؤنا: ليس هذا الحديث فى أصحاب النبى ﷺ قوله تعالى: ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله** ﴾ [الحجرات: ٩] فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغى لتعطلت فريضة من فرائض الله، وهذا يدل على أن قوله: القاتل والمقتول فى النار ليس فى أصحاب محمد ﷺ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبرى: لو كان الواجب فى كل اختلاف يكون بين الفريق من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكر السيوف لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين وسبى نسائهم وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدى والهرب منها .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٨) .

(٢) أخرجه البخارى (٧٠٨٣) .

ومما يدل على صحة هذا ما خرجه مسلم فى صحيحه،[1] عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتل فيما قتل ولا المقتول فيما قتل » فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال « الهرج القاتل والمقتول فى النار » فبين هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهالة من طلب الدنيا أو اتباع هوى كان القاتل والمقتول فى النار، فأما قتال يكون على تأويل دينى فلا، وأما أصحاب محمد ﷺ ورضى عنهم، فيجب على المسلمين توقيرهم والإمساك عن ذكر زللهم ونشر محاسنهم لثناء الله عز وجل عليهم فى كتابه، فقال وقوله الحق: ﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ [الفتح: ١٨] وقال: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة. وقال: ﴿ **لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل** ﴾ [الحديد: ١٠] وكل من ذهب منهم إلى تأويل فهو معذور، وإن كان بعضهم أفضل من بعض وأكثر سوابق، وقيل: إن من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف عن عمومها فاجتنبوا جميع ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال، وربما ندم بعضهم على ترك ذاك كعبد الله بن عمر، فإنه ندم على تخلفه عن نصرة على بن أبى طالب ﷺ، فقال عند موته: ما آسى على شىء ما آسى على تركى قتال الفئة الباغية يعنى فئة معاوية، وهذا هو الصحيح. إن الفئة الباغية إذا علم منها البغى قوتلت. قال عبد الرحمن بن أبزى: شهدنا صفين مع على فى ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان. قتل منهم ثلاث وستون منهم عمار بن ياسر.

وقال أبو عبد الرحمن السلمى: شهدنا مع على صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ فى ناحية من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم. قال: وسمعته يقول يومئذ لهاشم بن عتبة: يا هاشم. تقدم الجنة تحت الأبارقة اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا شعفات الجبال لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال:

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٨).

نحن ضربناكم على تنزيلـه فاليوم نضربكم على تأويله

ضربًا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليلـــه

أو يرجع الحق إلى سبيله

قال: فلم أر أصحاب محمد ﷺ قتلوا فى موطن ما قتلوا يومئذ، وسئل بعض المتقدمين عن الدماء التى وقعت بين الصحابة فقال: ﴿ **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١] .

وقد أشبعنا القول فى هذه المسألة فى كتاب الجامع لأحكام القرآن فى سورة الحجرات .

* * * *

باب
جعل الله بأس هذه الأمة بينها

قال الله تعالى ﴿ **أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض** ﴾ [الأنعام: ٦٥] .

مسلم عن ثوبان[١] قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض قال ابن ماجه فى سننه يعنى الذهب والفضة، وإنى سألت ربى لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإن لا يرد، وإنى قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامه، وأن لا يسلط عليهم من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبى بعضهم بعضًا ». زاد أبو داود: « وأنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى المشركين وحتى يعبد قبائل من أمتى الأوثان، وأنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون يزعم كلهم أنه نبى

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩)، والترمذى (٢١٧٦) .

وأنا خـاتم النبين لا نبـى بعدى، ولا تزال طائفـة من أمـتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله »[١].

ابن ماجه عن مـعاذ بن جبل قال: صلى رسول الله ﷺ يومًـا صلاة فأطال فيها، فلما انصرف قلنا أو قـالوا يا رسول الله: أطلت اليوم والصلاة. قال: « إنى صليت صلاة رغبة ورهبة سألت الله لأمتى ثلاثًا فأعطانى اثنتين ورد على واحدة. سألتـه ألا يسلط عليهم عـدوا من غيرهم فـأعطانيها، وسـألته ألا يهلكهم غـرقًا فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فردها على »[٢].

وأخرجه مسلم، عن سعد أبى وقاص أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، وفى رواية: فى طائفـة من أصحابه حتى إذا مر بمسجـد بنى معاوية دخل فركع ركعتين، فصلينا معـه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا. فقال: « سألت ربى ثلاثًا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة. سألت ربى ألا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها، وسـألته ألا يهلك أمـتى بالغـرق فـأعطانيهـا، وسـألته ألا يجـعل بأسـهم بينهم فمنعنيها»[٣].

* * * *

بـاب
ما يكون من الفتن وإخبار النبي ﷺ بها

مسلم عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك فيه شيئًا يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به. حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وإنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه[٤].

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢) .
(٢) صحيح أخرجه ابن ماجه (٣٩٥١) .
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٠) .
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٩١) .

مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: حدثنا رسول الله ﷺ مجلسًا أنبأنا فيه عن الفتنة فقال وهو يعد الفتن: منها ثلاثة لا يكدن يذرن شيئًا، ومنهن فتن كالرياح الصيف منها صغار ومنها كبار، قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى [(١)].

أبو داود عن عبد الله بن عمر قال: كنا قعودًا عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر فيها، حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال قائل: يا رسول الله. ومن فتنة الأحلاس؟ قال: «هى هرب وخرب ثم فتنة السوء دخنها من تحت قدمى رجل من أهل بيتى يزعم أنه منى وليس منى وإنما أوليائى المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كودك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسى كافرًا ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرا، حتى يصير الناس فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»[(٢)].

* * * *

(فصل) :

قوله: حتى ذكر فتنة الأحلاس قال الخطابى: إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها، يقال للرجل إذا كان يلزم لا يبرح منه: هو حلس بيته. ويحتمل أن تسمى هذه الفتنة بالأحلاس لسوادها وظلمتها. والحرب ذهاب الأهل والمال. يقال حرب الرجل فهو حريب إذا سلب أهله وماله، ومن هذا المعنى أخذ لفظ الحرب لأن فيها ذهاب النفوس والأموال والله أعلم. والدخن: الدخان يريد أنها تثور كالدخان من تحت قدميه. وقوله: كودك على ضلع مثل ومعناه الأمر الذى لا يثبت ولا يستقيم يريد أن هذا الرجل غير خليق بالملك. والدهيماء: تصغر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩١) أيضًا .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٤٢) وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٦٦ - ٤٦٧) وصححه ووافقه الذهبى .

الدهماء على معنى المذمة لها والتعظيم لأمرها كما قال: « دويهية تصفر منها الأنامل » أى هذه الفتنة سوداء مظلمة، ودلت أحاديث هذا الباب على أن الصحابه ﷺ كان عندهم من علم الكوائن إلى يوم القيامة العلم الكثير، لكن لم يشيعوها إذ ليست من أحاديث الأحكام وما كان فيه شيءمن ذلك حدثوا به وتقصروا عنه.

وقد روى البخارى عن أبى هريرة قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين أما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم[1] قال أبو عبد الله: البلعوم مجرى الطعام، والفسطاط الخيمة الكبيرة وتسمى مدينة مصر الفسطاط، والمراد به فى هذا الحديث الفرقة المجتمعة المنحازة عن الفرقة الأخرى تشبيهًا بانفراد الخيمة عن الأخرى. وتشبيهًا بانفراد المدينة عن الأخرى حملاً على تسمية مصر بالفسطاط والله أعلم .

* * * *

باب
ذكر الفتنة التى تموج موج البحر وقوله ﷺ: « هلاك أمتى على يد أغيلمة من سفهاء قريش »

ابن ماجه عن شقيق عن حذيفة قال: كنا جلوسًا عند عمر بن الخطاب فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ فى الفتنة؟ قال حذيفة: فقلت أنا، فقال إنك لجرىء قال: كيف سمعته يقول؟ قلت سمعته يقول: « فتنة الرجل فى أهله وماله وجاره يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » فقال عمر: ليس هذا أريد إنما أريد التى تموج موج البحر. قال مالك ولها يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقًا، قال يفتح الباب أو يكسر؟ قال: بل يكسر. قال ذلك أجدر أن لا يغلق، فقلت لحذيفة أكان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دون غد الليلة إنى حدثته حديثًا ليس بالأغاليط، قال فهبنا أن نسأله من

(١) أخرجه البخارى (١٢٠) .

الباب فقلنا لمسروق: سله فسأله، فقال: هو عمر». أخرجه البخارى ومسلم أيضًا[(١)].

البخارى عن عمرو بن يحيى بن سعيد قال: أخبرنى جدى قال: كنت جالسًا مع أبى هريرة فى مسجد النبى ﷺ بالمدينة ومعنا مروان، فقال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: « هلكة أمتى على يد أغيلمة من قريش » قال مروان لعنة الله عليهم من أغيلمة. قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت، فكنت أخرج مع جدى إلى بنى مروان حتى تملكوا بالشام، فإذا رآهم أحداثًا وغلمانًا قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم. قلنا: أنت أعلم[(٢)].

الغلام الطار الشارب والجمع الغلمة والغلمان، ونص مسلم فى صحيحه فى كتاب الفتن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « يهلك أمتى هذا الحى من قريش » قال: فما تأمرنا؟ قال: « لو أن الناس اعتزلوهم »[(٣)].

* * * * *

(فصل) :

قال علماؤنا رحمه الله عليهم: هذا الحديث يدل على أن أبا هريرة كان عنده من علم الفتن العلم الكثير، والتعيين على من يحدث عنه الشر الغزير. ألا تراه يقول لو شئت قلت لكم هم بنون فلان وبنو فلان، لكنه سكت عن تعيينهم مخافة ما يطرأ من ذلك من المفاسد، وكأنهم والله أعلم يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، ومن تنزل منزلتهم من أحداث ملوك بنى أمية، فقد صدر عنهم من قتل أهل بيت رسول الله ﷺ وسبيهم، وقتل خيار المهاجرين والأنصار بالمدينة وبمكة وغيرها، وغير خاف ما صدر عن الحجاج، وسليمان بن عبد الملك، وولده من

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٥)، ومسلم (١٤٤) من طريق شقيق عن حذيفة، وأخرجه البخارى (٧٠٩٦) من طريق ربعى عن حذيفة .

(٢) أخرجه البخارى (٧٠٥٨) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٩١٧) .

سفك الدماء، وإتلاف الأموال، وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغير ذلك، وبالجملة فبنو أمية قابلوا وصية النبي ﷺ في أهل بيته وأمته بالمخالفة والعقوق، فسفكوا دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا فضلهم وشرفهم واستباحوا لعنهم وشتمهم، فخالفوا رسول الله ﷺ في وصيته وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته، فواخجلتهم إذا وقفوا بين يديه، وافضيحتهم يوم يعرضون عليه، والله أعلم .

* * * *

باب
في بيان مقتل الحسين رضي الله عنه
ولا رضى عن قاتله

قال النبي ﷺ في الحسين وفي الحسن: «إنهما سيدا شباب أهل الجنة»[1] وقال: « هما ريحانتاي من الدنيا »[2] وكان النبي ﷺ إذا رآهما هش لهما وربما أخذهما .

وكان يقول فيهما: « اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما »[3] وقتل الحسين رحمه الله ولا رحم قاتله يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين بكربلاء بقرب موقع يقال له (الطف) بقرب من الكوفة .

قال أهل التواريخ: لما مات معاوية وأفضت الخلافة إلى يزيد، وذلك سنة ستين، ووردت البيعة على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ بالبيعة إلى أهلها أرسل إلى الحسين بن علي، وإلى عبد الله بن الزبير ليلاً فأتى بهما فقال: بايعا . فقالا: مثلنا لا يبايع سرًا، ولكن نبايع على رؤوس الناس إذا أصبحنا، فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة، وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب، فأقام

(١) حديث صحيح مروى في مسند أحمد وفي صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم انظر صحيح الجامع الصغير (٣١٧٥) وما بعده .

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد والبخاري عن ابن عمر كما في صحيح الجامع الصغير (٦٩٢٢) .

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٧٤٧) عن أسامة بن زيد .

الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالاً وذا القعدة، وخرج يوم التروية يريد الكوفة، فبعث عبد الله بن زياد خيلاً لمقتل الحسين، وأمر عليهم عمرو بن سعد بن أبى وقاص، فأدركه بكربلاء، وقيل: إن عبيد الله بن زياد كتب إلى الحر بن يزيد الرياحى أن جعجع بالحسين. قال أهل اللغة أراد احبسه وضيق عليه، والجعجع: الجعجاع الموضع الضيق من الأرض، ثم أمده بعمرو بن سعد فى أربعة آلاف، ثم مازال عبيد الله يزيد العساكر ويستفز الجماهير إلى أن بلغوا اثنين وعشرين ألفًا، وأميرهم عمرو بن سعد، ووعده أن يملكه مدينه الرى فباع الفاسق الرشد بالغى، وفى ذلك يقول:

أأترك ملك الرى والرى منيتى وأرجع مأثومًا بقتل حسين

فضيق عليه اللعين أشد تضييق وسد بين يده وضح الطريق إلى أن قتله يوم الجمعة. وقيل، يوم السبت العاشر من المحرم .

وقال خليفة بن خياط: الذى ولى قتل الحسين شمر بن ذى الجوشن وأمير الجيش عمرو بن سعد، وكان شمر أبرص وأجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحى من حمير حز رأسة وأتى به عبيد الله بن زياد وقال:

أوقر ركابى فضة وذهبا أنى قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم- إذا ينسبون- نسبًا

هذه رواية أبى عمر بن عبد البر فى الاستيعاب وقال غيره: تولى حمل الرأس بشر بن مالك الكندى ودخل به على ابن زياد وهو يقول:

أوقر ركابى فضة وذهبا أنى قتلت الملك المحجبا

وخيرهم إذا يذكرون النسبا قتلت خير الناس أما وأبًا

فغضب ابن زياد من قوله وقال: إذا علمت أنه كذلك فلم قتلته؟ والله لا نلت منى خيراً أبدًا ولألحقنك به ثم قدمه فضرب عنقه .

وفى هذه الرواية اختلاف، وقد قيل إن يزيد بن معاوية هو الذى قتل القاتل.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، حدثنا حماد بن سلمة، عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ويتتبعه فيها. قال قلت يا رسول الله ما هذا؟ قال « دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم »[1]. قال عمار: فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم وهذا سند صحيح لا مطعن فيه، وساق القوم حرم رسول الله ﷺ كما تساق الأسرى حتى إذا بلغوا بهم الكوفة .

وذكر أبو عمر بن عبد البر عن الحسن البصرى قال: أصيب مع الحسين بن على ستة عشر رجلا من أهل بيته ما على وجه الأرض لهم يومئذ شبيه. وقيل: إنه قتل مع الحسين من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثون وعشرون رجلاً .

وفى صحيح البخارى فى المناقب عن أنس بن مالك: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين، فجعل فى طست فجعل ينكت وقال فى حسنه شيئًا فقال أنس: «كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوبًا بالوسمه[2]، يقال: نكت فى الأرض إذا أثر فيها، ونكت بالحصباء إذا ضرب بها، وكان الفاسق يؤثر فى رأسه المكرم بالقضيب، وأمد عبيد الله بن زياد من قور الرأس حتى ينصب فى الرمح، فتحاماه أكثر الناس فقام رجل يقال له « طارق بن المبارك » بل هو ابن المشئوم الملعون المذموم فقوره ونصبه بباب دار عبيد الله، ونادى فى الناس وجمعهم فى المسجد الجامع وخطب خطبة لا يحل ذكرها، ثم دعا بزياد بن حر بن قيس الجعفى فسلم إليه رأس الحسين ورؤوس إخوته وبنيه وأصحابه، ودعى بعلى بن الحسين فحمله وحمل عماته وأخواته إلى يزيد على محامل بغير وطاء، والناس يخرجون إلى لقائهم فى كل بلد ومنزل، حتى قدموا دمشق ودخلوا من باب توما وأقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبى، ثم وضع الرأس المكرم بين يدى

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٦٥ - طبع أحمد شاكر وصححه) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ١٩٣ - ١٩٤): رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) أخرجه البخارى (٣٧٤٨) .

يزيد فأمر أن يجعل فى طست من ذهب وجعل ينظر إليه ويقول هذه الأبيات:

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن كفا ومعصما

نعلق هامًا من رجـــال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلـمَ

ثم تكلم بكلام قبيح وأمر بالرأس أن تصـلب بالشام، ولما صلبت أخفى خالد ابن عفـران شخصــه من أصحابه، وهو من أفـاضل التابعـين فطلبوه شهـرًا حتى وجدوه فسألوه عن عزلته فقال: ألا ترون ما نزل بنا:

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد متزملاً بدمائه تزميــــــلاً

وكأنما بك يا ابن بنت محمــــد قتلوا جهارًا عامدين رسـولا

قتلوك عطشانا ولم يترقبــــوا فى قتلك التنزيل والتأويــلا

ويكبرون بأن قتلت وإنمـــــا قتلوا بك التكبير والتهليـلا

واختلف الناس فى موضع الرأس المكرم؟ وأين حمل من البلاد؟ فذكر الحافظ أبو العلاء الهمدانى أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة، فأقدم إليه عـدة من موالى بنى هاشم وضم إليهم عـدة من موالى أبى سفـيان، ثم بعث بثقل الحـسين ومن بقى من أهله معـهم وجهزهم بكل شىء ولم يدع لهم حـاجة بالمدينة إلا أمر لهم بها، وبعث برأس الحسين عليه الـسلام إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وهو إذا ذاك عامله فى المدينة فقـال عمرو وددت أنه لم يبعث به إلى. ثم أمر عمرو بن سعيد بن العاص بـرأس الحسين عليه السلام فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فـاطمة عليها الصلاة والسلام. وهذا أصح مـا قيل فى ذلك، ولذلك قال الزبيـر بن بكار: إن الرأس حـمل إلى المدينة، والزبيـر أعلم أهل النسب وأفـضل العلماء لهذا السبب قال: حدثنى بذلك محمد بن حسن المخزومى النسابة .

والإمامية تقـول إن الرأس أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعـين يومًا من المقتل وهو يوم مـعروف عندهم يسـمون الزيارة فـيه زيارة الأربعـين، وما ذكـر أنه فى عسقلان فى مشهد هنـاك أو بالقاهرة شيىء باطل لا يصح ولا يثبت، وقد قتل الله قاتله صبرا ولقى حزنًا طويلاً وذعرًا وجعل رأسه الذى اجتمع فيه العيب والذم فى الموضع الذى جعل فـيه رأس الحسين، وذلك بعـد قتل الحسين بستـة أعوام وبعث

المختار به إلى المدينة، فوضع بين يدى بنى الحسين الكرام، وكذلك عمرو بن سعد وأصحابه اللئام ضربت أعناقهم بالسيف وسقوا كأس الحمام وبقى الوقوف بين يدى الملك العلام فى يوم: ﴿ **يُعْرف المجرمـون بسيماهم فيـؤخذ بالنواصى والأقدام** ﴾ [الرحمن: ٤١] .

وفى التـرمـذى: حدثنـا واصل بن عبـد الأعلى، حـدثنا أبو مـعـاوية، عن الأعمش، عن عـمارة بن عمـيرة قال: لما أتى برأس عـبيد الله بن زياد وأصـحابه نصبت فى المسجـد فى الرحبة، فانتـهيت إليهم وهم يقولون: قـد جاءت فإذا هى حية قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت فى منخرى عبيد الله، فمكثت هنية ثم خرجت فذهبت حتـى تغيبت، ثم قالوا: جاءت قد جاءت فـفعلت ذلك مرتين أو ثلاثًا[١] .

قال العلماء: وذلك مكافأة لفعله برأس الحسين وهى من آيات العذاب الظاهرة عليه .

* * *

بـاب
جعل الله فى أول هذه الأمة عافيتها وفى آخرها بلاءها

مسلم عن عـبد الله بن عمـر قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سـفر فنزلنا منزلا، فمنا من يصلح خـباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو فى جَـشَره إذ نادى منادى يا رسول الله ﷺ الصلاة جامعة، فـاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: « إنه لم يكن نبى قبلى إلا كـان حقا عليه أن يدل أمـته على خير مـا يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جـعل عافيـتها فى أولهـا وسيصـيب آخرها بلاء وأمـور تنكرونها وتجىء فتنة فيـدفق بعضها بعـضا، وتجىء الفتنة فيقـول المؤمن: هذه مهلكتى. ثم تنكشف، وتجىء الفـتنة فيقـول: هذه منه، فمن أراد أن يزحـزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته فـتنته وهو يؤمن بالله واليوم الآخـر، وليأت إلى الناس الذى يحب أن

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٧٨٠). وقال حديث حسن صحيح .

يؤتى إليه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر »[١] قال ابن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة: فدنوت منه فقلت له: ناشدتك الله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ، فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناىَ ووعاه قلبى فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله عز وجل يقول: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾ [النساء: ٢٩] فسكت ساعة ثم قال: أطعه فى طاعة الله واعصه فى معصية الله .

* * * *

(فصل) :

قوله: « ينتضل » الانتضال الرمى بالسهام « والجشر » المال من المواشى التى ترعى أمام البيوت والديار، يقال: مال جشر يرعى فى مكانه لأنه يرجع إلى أهله. يقال: جشرنا دوابنا أى أخرجناها إلى المرعى وأصله البعد، ومنه يقال للأعزب: جشر وجشير لبعده عن النساء، وفى الحديث: « من ترك قراءة القرآن شهرين فقد جشره » أى بعد عنه. وقوله: « يدفق بعضها بعضا » أى يتلو بعضها بعضا وينصب بعضها على بعض. والتدفق التصبب، وهذا المعنى مبين فى نفس الحديث لقوله: وتجيء الفتنة ثم تنكشف وتجيء الفتنة وتزحزح أى تبعد، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وما هو بمزحزحه من العذاب** ﴾ [البقرة: ٩٦] أى بمبعده، وصفقة اليد أصلها ضرب الكف على الكف زيادة فى الاستيثاق مع النطق باللسان والالتزام بالقلب، وفى التنزيل: ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم** ﴾ [الفتح: ١٠] الآية. وقوله: فاضربوا عنق الآخر قيل: المراد عزله وخلعه وذلك قتله وموته، وقيل: قطع رأسه وإذهاب نفسه يدل عليه قوله فى الحديث الآخر: فاضربوه بالسيف كائنا ما كان، وهو ظاهر الحديث هذا إذا كان الأول عدلا، والله أعلم.

* * * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) .

بابـ
أسباب الفتن والمحن والبلاء

البزار عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: « لم تظهر الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم، فأخذ بعض ما كان في أيديهم، وإذا لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » أخرجه ابن ماجه أيضا في سننه[١].

وذكره أبو عمر بن عبد البر، وأبو بكر الخطيب من حديث سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم بن يزيد قال: حدثنا مالك عن عمه أبي سهيل، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر أن رجلا قال للنبي ﷺ: أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقا» قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: « أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا أولئك الأكياس » ثم قال يا معشر المهاجرين: « لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم » وذكر الحديث[٢].

ابن ماجه، عن قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: « إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » أخرجه أبو داود في سننه، والترمذي في جامعه[٣].

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣١٨) مطولاً وقال: روى ابن ماجه بعضه، رواه البزار ورجاله ثقات. قلت: هو في سنن ابن ماجه (٤٠١٩) وحسنه الألباني في صحيحته (١٠٦) .

(٢) حديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩)، والحاكم (٤/ ٥٤٠) .

(٣) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٥)، وأحمد (١/ ١، ١٦، ٢٩، ٥٣)، والترمذي (٢١٦٨، ٣٠٥٧)، وأبو داود (٤٣٣٨) .

مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا فتحت عليكم فارس والروم أى قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نكون كما أمر الله، فقال رسول الله ﷺ: أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ثم تنطلقون فى مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض»(١).

وأخرج أيضا عن عمرو بن عوف، وهو حليف بنى عامر بن لؤى، وكان شهد بدرا مع رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتى بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ قد صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين قالوا أجل يا رسول الله قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم كما بسطت على من كان من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»(٢).

وفى رواية: فتلهكم كما ألهتهم بدل فتهلككم.

وأخرج ابن ماجة عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أدع بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء» أخرجه البخارى ومسلم أيضا(٣).

وأخرج أيضا عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قام خطيبا وكان فيما قال: «إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعلمون ألا فاتقوا الله واتقوا النساء» خرجه مسلم أيضا وقال: بدل قوله فاتقوا الله فاتقوا النار

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٨)، وهو فى البخارى (٢١٠٩)، وفى مسلم (٢٧٤٠).

واتقوا النساء وزاد « فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء »[١].

الترمذى، عن كعب بن عياض قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال ». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب[٢].

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: « من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن » قال: وفى الباب عن أبى هريرة: وهذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثورى[٣].

* * * *

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٠) من طريق على بن زيد بن جدعان عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى، وعلى بن زيد يضعف لكن مسلمًا أخرجه فى صحيحه (٢٧٤٢) بنحوه من غير طريقه .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢٣٣٦) .

(٣) صحيح أخرجه الترمذى (٢٢٥٦) .

أبواب الملاحم

باب
أمارات الملاحم

أبو داود عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال »[(١)].

البخارى عن عوف بن مالك قال: أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال: «أعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقفاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفا»[(٢)].

وخرجه أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير بمعناه وزاد بعد قوله إثنا عشر ألفا «ففسطاط المسلمين يومئذ فى أرض يقال لها الغوطة فى مدينة يقال لها دمشق»[(٣)]، ذكره بإسناده أبو الخطاب بن دحية فى كتاب (مرج البحرين فى فوائد المشرقين والمغربين) .

وقال: عوف بن مالك الأشجعى: شهد موت النبى ﷺ وحضر فتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتحه صلحا لخمس خلون من ذى القعدة سنة عشر من الهجرة، ثم حضر قسمة كنوز كسرى على يد أمير المؤمنين عمر، ثم شاهد قتال الجمل وصفين، وشاهد عوف رضي الله عنه أيضا الموتان الذى كان بالشام قبل ذلك، وهو المسمى بطاعون عمواس مات يومئذ ستة وعشرون ألفا. وقال المدينى

---

(١) صحيح أخرجه أبود داود (٤٢٩٥) .

(٢) أخرجه البخارى (٣١٧٦) .

(٣) صحيح أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير فى مسند عوف بن مالك (١٨/ ٧٢)، وأخرجه أبو داود (٤٢٩٨) عن أبى الدرداء .

خمسة وعشرين ألفا. وعمواس: بفتح العين والميم لأنه « عم وأسى » أى جعل بعض الناس أسوة بعض، وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس مات فيه أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، والأمير الفقيه أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل. قال الإمام أحمد بن حنبل فى تاريخه: كان طاعون عمواس سنة ثمانية عشر. رواه عن أحمد أبو زرعة الرازى قال: كان الطاعون سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وفى سنة سبع عشرة رجع عمر من سرغ، وموتان بضم الميم هى لغة وغيرهم يفتحونها وهو اسم الطاعون والموت .

(فصل) :

قوله: كقفاص الغنم هو داء يأخذها لا يلبثها قاله أبو عبيدة؛ لأن القفاص الموت العاجل ويقال بالسين، وقيل هو داء يأخذ فى الصدر كأنه يكسر العنق، وقد انقضت هذه الخمس، وعاش عوف بن مالك إلى زمن عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وقد أربى بصفين على المائة، وقال الواقدى: مات عوف ابن مالك بالشام سنة ثلاث وتسعين، فإن صح ما قال فقد مات فى أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان إن لم يكن تصحيفا منه، والله أعلم .

* * * *

باب
ما ذكر فى ملاحم الروم وتواترها وتداعى الأمم على أهل الاسلام

ابن ماجة، عن عوف بن مالك الأشجعى قال: قال رسول الله ﷺ « يكون بينكم وبين بنى الأصفر هدنة فيغدرون بكم فيسيرون إليكم فى ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفا »[١].

وعن ذى مِخْمَر، وكان رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: سمعت النبى ﷺ يقول « ستصالحكم الروم صلحا آمنا، ثم تغزون أنتم وهم عدوا

---

(١) هو نهاية حديث أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٢) .

فتنصرون وتغنمون وتقتسمون وتسلمون، ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذى تلول فيرفع رجل من أهل الصليب صليبه، فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدفعه، فعند ذلك تغدر الروم ويجمعون الملحمة، فيأتون تحت ثمانين راية كل راية اثنا عشر ألفا » .

وأخرجه أبو داود وزاد « ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة »[1].

وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده وإسناده صحيح ثابت. وذو مِخْمَرٍ بالميم لا غير، وهو ابن أخى النجاشى قاله الأوزاعى، وقد عده أبو عمر فى موالى رسول الله ﷺ . قاله ابن دحية .

مسلم عن يُسَيْر بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجير ألا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة. قال: فقعد وكان متكئا فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام، فقال: عدو يجمعون لأهل الاسلام وتجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعنى؟ قال: نعم ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب فتفنى الشرطة، وإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية الإسلام فيجعل الله الدائرة عليهم فيقتتلون مقتلة إما قال لم ير مثلها. وإما قال لا يرى مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجثمانهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا فيتعادّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقى منهم إلا الرجل الواحد، فبأى غنيمة يفرح وبأى ميراث يقسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك، فجاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال خرج فى ذراريهم فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٢) بهذه الزيادة .

فيبعثون عشر فوارس طليعة قال: قال رسول الله ﷺ « إنى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض أو من خير فوارس يومئذ »[(١)].

أبو داود عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل من القوم: من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة وليقذفن فى قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت »[(٢)].

* * * *

باب
ما جاء فى قتال الترك وصفتهم

البخارى عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر »[(٣)].

وخرج مسلم عن أبى هريرة أيضا قال: قال رسول الله ﷺ « تقاتلوا بين يدى الساعة قوما نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة، حمر الوجوه صغار الأعين ذلف الأنوف » وفى رواية « يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر » أخرجه البخارى، وأبو داود والنسائى، وابن ماجة، والترمذى وغيرهم[(٤)].

وخرجه ابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين عراض الوجوه، كأن أعينهم حدق الجراد، وكأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعور، ويتخذون الدرق يربطون

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٩) .
(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) .
(٣) أخرجه البخارى (٣٥٩٠) .
(٤) أخرجه مسلم (٢٩١٢) .

خيولهم بالنخيل »(١).

* * * *

(فصل) :

قوله: المجان المطرقة. المجان جمع مجن وهو الترس، وقال أهل اللغة: وفى الصحاح والمجان المطرقة التى يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة المخصوفة، يقال: أطرقت الجلد والعصب أى ألبسته وترس مطرق، وقولهم: نعالهم الشعر أى يصنعون من الشعر حبالا ويصنعون منها نعالا كما يصنعون منه ثيابا ويشهد بهذا قوله يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر .

قال ابن دحية: إنما كانت نعالهم من ضفائر الشعر أو من جلود مشعرة لما فى بلادهم من الثلج العظيم الذى لا يكون فى بلد كبلادهم، ويكون من جلد الذئب وغيره .

وقوله: ذلف الأنف أى غلاظها، يقال: أنف أذلف إذا كان فيه غلظ وانبطاح والذلف فى اللغة تأخر الأرنبة، وقيل تطامن فيها، وقيل فطس الأنوف كما فى حديث البخارى عن أبى هريرة، فالحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضا .

* * * *

باب
ما جاء فى فضل الشام وأنه معقل من الملاحم

البزار، عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ « بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسى، فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصرى، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتنة بالشام »(٢) خرجه أبو بكر أحمد بن سلمان النجار، وقال عمود الإسلام، قال أبو محمد عبد الحق: هذا حديث

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٠٩٧، ٤٠٩٩) .

(٢) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٩) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وذكر فى (١٠/ ٥٧) غير شاهد للحديث .

صـحيح، ولـعل هذه الفتن هـى التى تكون عند خـروج الدجـال، والله ورسـوله أعلم .

أبو داود عن أبى الدرداء أن رسـول الله ﷺ قال: « فسطاط المسلـمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام »(١).

* * * *

بابـ
ما جاء أن الملاحم إذا وقعت بعث اللـه جيشًـا يؤيد به الـدين

ابن ماجـه، عن أبى هريرة قال: قال رسـول الله ﷺ « إذا وقعت الملاحم بعث الله جيـشًا من الموالى هم أكرم العـرب فرسانًا وأجوده سـلاحًا يؤيد الله بهم الدين »(٢).

* * * *

بابـ
ما جاء فى المدينة ومكة وخرابهما

مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ « تبلغ المساكن إهابَ أو يهاب » قال زهير: قلت لسهيل فكم ذاك من المدينة؟ قال كذا وكذا ميلاً(٣).

أبو داود عن ابن عـمر قال: قـال رسول الله ﷺ : « يوشك المسـلمون أن يحاصـروا إلى المدينة حتى يكون أبعـد مسالحـهم سلاح » قـال الزهرى: وسلاح قريب من خيبر(٤).

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٤٢٩٨) .
(٢) حديث حسن أخرجه ابن ماجه (٤٠٩٠) .
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠٣) .
(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٩٩)، والحاكم (٤/ ٥١١) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

قلت: المسالح: المطالع ويقال للقوم يستعد بهم فى المراصد ويرتبون لذلك، وسموا بذلك لحملهم السلاح، وقال الجوهرى: والمسلحة كالثغر والمرقب .

مسلم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافى يريد عوافى السباع والطير، ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشًا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجهيهما »[١].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ للمدينة: « ليتركنها أهلها على خير ما كانت مذللة للعوافى يعنى السباع والطير » .

وعن حذيفة قال: أخبرنى رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة فما منه شيء إلا قد سألته إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة[٢].

قال مسلم، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: « يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة »[٣]. البخارى عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: « كأنى به أسود أفحج يقلعها حجرا حجرا » الفحج: تباعد ما بين الفخذين[٤].

(فصل) :

ثبت فى الصحيح الدعاء للمدينة والحث على سكناها. فقال رسول الله ﷺ: « يأتى على الناس زمن يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذى نفسى بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه ألا أن المدينة كالكير تخرج الخبث. لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » رواه أبو هريرة وخرجه مسلم[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٨٩) بل هو فى البخارى أيضًا (١٨٧٤) .
(٢) أخرجه مسلم (فتن/ ٢٤) .
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠٩) عن أبى هريرة .
(٤) أخرجه البخارى (١٥٩١، ١٥٩٦) .
(٥) أخرجه مسلم (١٣٨١) .

خرج عن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول الله ﷺ « من أراد أهل المدينة بسوء أذابة الله كما يذوب الملح فى الماء »[١].

ونحوه عن أبى هريرة رضي الله عنه، ومثل هذا كثير هو خلاف ما تقدم، وإذا كان هذا فظاهره التعارض وليس كذلك، فإن الحض على سكناها ربما كان عند فتح الأمصار ووجود الخيرات بها، كما جاء فى حديث سفيان بن أبى زهير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن فيأتى قوم يعيشون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعملون، ثم بفتح الشام فيأتى قوم يعيشون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعملون»[٢] رواه الأئمة واللفظ لمسلم، فحض ﷺ على سكناها حين أخبر بانتقال الناس عنها عند فتح الأمصار، لأنها مستقر الوحى وفيها مجاورته، ففى حياته صحبته ورؤية وجهه الكريم وبعد وفاته مجاورة جسده الشريف ومشاهدة آثاره العظيمة، ولهذا قال: «لا يصبر أحدا على لأوائها وشدتها إلا كنت شفيعًا أو شهيدًا له يوم القيامة»[٣] وقال: « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن مات بها»[٤] ثم إذا تغيرت الأحوال واعتورتها الفتن والأهوال كان الخروج منها غير قادح والانتقال منها حسنًا غير قادح .

* * * *

(١) مسلم (١٣٨٧) .
(٢) أخرجه مسلم (حج/ ٤٩٧) .
(٣) أخرجه مسلم (حج/ ٤٨٢) عن ابن عمر .
(٤) حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان عن ابن عمر كما فى صحيح الجامع الصغير (٥٨٩١) ومعناه فى صحيح مسلم (حج/ ٤٨٤) .

باب
فى الخليفة الكائن فى آخر الزمان
المسمى بالمهدى وعلامة خروجه

مسلم عن أبى نضـرة قال: كنا جلوسًا عند جـابر بن عبد الله فـقال: يوشك أهل العـراق أن لا يجبى إليـهم قفيـز ولا درهم. قلنا: من أين؟ قال: من قـبل العـجم يمنعون ذلـك. ثم قال: يوشك أهل الشـام أن لا يجىء إليـهم دينار ولا مُدْىٌ. قلنـا من أين لك ذلك؟ قال من قبـل الروم، ثم سكت هنية ثم قـال: قال رسول الله ﷺ: «يكون فى آخر الزمان خليفة يحثى المال حثيًا ولا يعده عدًا»[١] قيل لأبى نضرة وأبى العلاء تريان أنه عمر بن العزيز قالا: لا .

* * * *

باب
ما جاء فى فتح القسطنطينية
ومن أين تفتح وفتحها علامة خروج الدجال
ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه

مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقـوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعمـاق أو بدابق فيـخرج إليـهم جيش من المدينة من خـيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصـافوا قالت الروم خلو بيننا وبين الذين سبوا منها نقـاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلى بينكم وبين الذين هم إخواننا فيـقاتلونهم فيهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبـدًا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهـداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتتنون أبدًا فيفتحون القسطنطينية، فبـينما هم يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذا صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم فى أهلكم فيخرجون وذلك باطل، فإذا جـاءوا الشام خـرج فبينمـا هم يعدون للقـتال ويسوون الصـفوف إذا أقيمت الصـلاة، فينزل عيسى ابن مـريم فأمهم فإذا رآه عـدو الله ذاب كما يذوب

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٣) .

الملح فى الماء فلو تركـه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتـله الله بيده فيـريهم دمه فى حربته »[١].

وخرج مسلم عن أبى هـريرة عن النبى قال: « سمعتم بمدينـة جانب منها فى البر وجانب منهـا فى البحر قالوا: نعم يا رسول الله. قال: لا تقـوم الساعة حتى يغزوها ألف من بنى إسحاق فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بهم. قالوا لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها. قال ثور لا أعلمه قال إلا الذى فى البحر ثم يقولون الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم تقول الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذا جـاءهم الصـريخ فـقـال إن الدجال قـد خـرج فـيتـركـون كل شيء ويرجعون»[٢].

* * * *

بـاب
قول النبى ﷺ :
« بعثت أنا والساعة كهاتين »

مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى »[٣].

وروى من طرق أخرجهـا البخارى، ومسلم، والترمـذى، وابن ماجه ﷺ، ومعناها كلهـا على اختلاف ألفاظـها تقريب من الساعـة التى هى القيامة وسـرعة مجيئها وهذا كما قال الله تعالى: ﴿ **فقد جاء أشرطها** ﴾ [محمد: ١٨] وقوله ﴿ **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر** ﴾ [النحل: ٧٧] وقوله تعالى: ﴿ **اقترب للناس حسابهم** ﴾ [الأنبياء: ١] وقوله تعالى: ﴿ **اقتربت الساعـة وانشق القمر** ﴾ [القمر: ١] وقال: ﴿ **أتى أمر الله تستعجلوه** ﴾ [النحل: ١].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥١) والبخارى أيضًا (٤٩٣٦)، والترمذى (٢٢١٤)، وابن ماجه (٤٠٤٠).

باب
أمور تكون بين يدى الساعة

البخاری عن أبی هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم ويكثر الزلازل ويتقارب الزمان ويظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه، وحتى يتطاول الناس فى البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتنى مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين: ﴿ **لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا** ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها »(١).

(فصل) :

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: هذه ثلاث عشرة علامة جمعها أبو هريرة فى حديث واحد، ولم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من العلامات والأشراط فى عموم إنذار النبى ﷺ بفساد الزمان وتغيير الدين وذهاب الأمانة ما يغنى عن ذكر التفاصيل الباطلة والأحاديث الكاذبة فى أشراط الساعة. من ذلك حديث ما رواه قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ : أن فى سنة مائتين يكون كذا وكذا، وفى العشر والمائتين يكون كذا وكذا، وفى العشرين كذا، وفى الثلاثين كذا، وفى الأربعين كذا، وفى الخمسين كذا، وفى الستين والمائتين تعتكف الشمس ساعة فيموت نصف الجنة والإنس، فهل كان هكذا وقد مضت هذه المدة، وهذا شىء يعم وسائر الأمور التى ذكرت قد تكون فى بلدة وتخلو منه أخرى، فهذا

---

(١) أخرجه البخارى (٧١٢١) .

عكوف الشمس لا يخلو منه أحد فى شرق ولا غرب، فإن كان المائتين من الهجرة فقد مضت، وإن كان من موت النبى ﷺ فقد مضت وأيضًا دلالة أخرى على أنه مفتعل أن التاريخ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، وإنما وضعوه على عهد عمر ﷺ، فكيف يجوز هذا على عهد رسول الله ﷺ أن يقال فى سنة مائتين أو سنة عشرين ومائتين ولم يكن وضع الشىء من التاريخ؟ .

* * * * *

بـاب
منـــه

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيَاتُ دوس حول ذى الخَلَصَه »[(١)] وكانت صنمًا تعبدها دوس فى الجاهلية .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تذهب الليالى حتى يملك رجل يقال له الجهجاه »[(٢)].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»[(٣)]. وخرج البخارى ومسلم عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى»[(٤)].

قال رسول الله ﷺ « ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالشام » قال: حديث حسن غريب صحيح من حديث ابن عمر[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٦) .
(٢) أخرجه مسلم (٢٩١١) .
(٣) أخرجه مسلم (٢٩١٠) .
(٤) أخرجه البخارى (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢) .
(٥) صحيح أخرجه الترمذى (٢٢١٧) .

مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، وحتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا »(١) .

* * * *

(فصل) :

قال أبو الخطاب بن دحية: وذو الخلصة بضم الخاء واللام فى قول أهل اللغة والسير وبفتحها قيدناه فى الصحيحين، وكذا قال ابن هشام، وقيده الإمام أبو الوليد الكنانى الوقشى بفتح الخاء وسكون اللام، وكذا قال ابن زيد، واختلف فيه فقيل: هو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب، وقيل: هو صنم كان عمرو بن لحى نصبه بأسفل مكة حتى نصبت الأصنام فى مواضع شتى، وكانوا يلبسونه القلائد ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون عنده، وقيل: ذى الخلصة هى الكعبة اليمانية، فكان معناهم فى تسميتها بذلك أن عبادته خالصة، والمعنى المراد بالحديث أنهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم فى عبادة الأوثان، فترسل نساء دوس طائفات حوله فترتج أردافهن عند ذلك فى آخر الزمان، وذلك بعد موت جميع من فى قلبه مثال حبة من إيمان وهو كما جاء عن عائشة ﵂ عن النبى ﷺ أنه قال: « لا تذهب الليالى والأيام حتى تعبد اللات والعزى » الحديث وسيأتى بكماله .

وقوله: يسوق الناس بعصاه. كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفافهم عليه، ولم يرد نفس العصا، وإنما ضرب بها مثلاً لطاعتهم له واستيلائه عليهم إلا أن فى ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعسفه بهم، وقد قيل: إنه يسوقهم بعصاه كما تساق الإبل والماشية، وذلك لشدة عنفه وعدواه ولعل هذا الرجل القحطانى هو الرجل الذى يقال له الجهجاه، وأصل الجهجهة الصياح بالسبع. يقال: جهجهت بالسبع أى زجرته بالصياح ويقال: جهجه عنى. أى انته. وهذه الصفة توافق ذكر العصا، والله أعلم .

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٧) .

وثبت عن رسول الله ﷺ من رواية عائذ بن عمرو وكان ممن بايع تحت الشجرة قال: سمعت رسول الله ﷺ: « إن شر الرعاة الحطمة »[١] والرعاة فى اللغة جمع راع وضرب رسول الله بهذا مثلاً لوالى السوء، لأن الحطمة هو الذى يعنف بالإبل فى السوق والإيراد والإصدار، فيحطمها أى يكسرها ولا يكاد يسلم من فساده شىء، وسواق حطم كذلك يعنف فى سوقه .

* * * *

باب
منه

البخارى عن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن من إشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد ». أخرجه مسلم من حديث أنس[٢] .

مسلم عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة من الذهب لا يجد أحدًا يأخذها منه، قال: ويروى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء »[٣] .

* * * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣٠) من حديث عائذ بن عمرو .

(٢) لم أقف عليه فى صحيح البخارى عن معاوية وإنما هو فيه برقم (٨١) من حديث أنس وهو فى صحيح مسلم (٢٦٧١) عن أنس أيضًا .

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٢) .

باب
كيف يقبض العلم

البخارى ومسلم رحمهما الله عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعًا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون يفتون برأيهم فيضلون ويضلون»(١) .

وفى رواية: حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا: انتزاعًا مصدر من غير اللفظ، كما قال الله عز وجل: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتًا ﴾ [نوح: ١٧] .

باب
ما جاء فى أن الأرض تخرج ما فى جوفها من الكنوز والأموال

روى الأئمة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا »(٢) وفى رواية: « عن جبل من ذهب » لفظ البخارى ومسلم، وقال مسلم فى رواية: «فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسع وتسعون ويقول كل واحد منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو » وقال ابن ماجة: « فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة ».

وخرج مسلم والترمذى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تقىء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت، ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى، ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى، ثم يدعونه لا يأخذون منه شيئًا»(٣) لم يذكر الترمذى السارق وقطع يده، وقال: حديث حسن غريب .

---

(١) أخرجه البخارى (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) .

(٢) أخرجه البخارى (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤) .

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٣)، والترمذى (٢٢٠٨) .

(فصل) :

قال الحليمى رحمه الله فى كتاب منهاج الدين له: وقال عليه الصلاة والسلام: « يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا » فيشبه أن يكون هذا فى آخر الزمان الذى أخبر النبى ﷺ أن المال يفيض فيه فلا يقبله أحد، وذلك زمن عيسى عليه السلام، فلعل بسبب هذا الفيض العظيم ذلك الجبل مع ما يغنمه المسلمون من أموال المشركين، ويحتمل أن يكون نهيه عن الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظهور أشراطه، فإن الركون إلى الدنيا والاستكثار مع ذلك جهل واغترار، ويحتمل أن يكون إذا حرصوا على النيل منه تدافعوا وتقاتلوا، ويحتمل أن يكون لا يجرى به مجرى المعدن، فإذا أخذه أحدهم ثم لم يجد من يخرج حق الله إليه لم يوفق بالبركة من الله تعالى فيه، فكان الانقباض عنه أولى .

قال المؤلف رحمه الله: التأويل الأوسط هو الذى يدل عليه الحديث، والله أعلم .

* * * *

باب
فى ولاة آخر الزمان وصفتهم
وفيمن ينطق فى أمر العامة

البخارى عن أبى هريرة قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ فى مجلس يحدث القوم إذ جاء أعرابى فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ فى حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع ما قال حتى إذا قضى حديثه قال: « أين السائل عن الساعة »؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله ﷺ . قال: « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » قال: وكيف إضاعتها؟ قال: « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[١].

---

(١) أخرجه البخارى (٦٤٩٦) .

معنى قوله ﷺ :

« إذا وسد الأمر إلى غير أهله » أى أسند وجعل إليهم وقلدوه بمعنى الإمارة، كما فى زماننا اليوم، لأن الله تعالى ائتمن الأئمة والولاة على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم لقوله ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» فينبغى لهم تولية أهل الدين والأمانة للنظر فى أمور الأمة، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التى فرض الله عليهم .

وخرج مسلم من حديث جبريل الطويل وفيه قال: أخبرنى عن الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » قال فأخبرنى عن أمارتها قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان »[١] .

وفى رواية: « إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها »[٢].

الترمذى عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع »[٣] قال: حديث حسن غريب إنما نعرفة من حديث عمرو بن أبى عمرو .

(فصل) :

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: ما أخبر به النبى ﷺ فى هذا الباب وغيره مما تقدم ويأتى قد ظهر أكثره وشاع فى الناس معظمه، فوسد الأمر إلى غير أهله وصار رؤوس الناس أسافلهم عبيدهم وجهالهم فيملكون البلاد والحكم فى العباد، فيجمعون الأموال ويطيلون البنيان كما هو مشاهد فى هذه الأزمان، فلا يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية، فهم صم بكم عمى. قال قتادة: صم عن استماع الحق. بكم عن التكلم به. عمى عن الإبصار له، وهذه صفة أهل البادية والجهالة.

(١) أخرجه مسلم (١٠) .

(٢) أخرجه مسلم (٩) .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٢٠٩) .

والبهم: جمع بهيمة وأصلها صغار الضأن والمعز، وقد فسره فى الرواية الأخرى فى قوله: « رعاة الشاه ». وقوله وأن تلد الأمة ربها، وفى رواية ربتها تأنيث رب أى سيدها، وقال وكيع: هو أن تلد العجم العرب، ذكره ابن ماجة فى السنن .

قال علماؤنا: وذلك بأن يستولى المسلمون على بلاد الكفر فيكثر التسرى فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه ومنزلته بأبيه، وقيل: هو أن يبيع السادات أمهات الأولاد ويكثر ذلك، فيتداول الملاك المستولدة، فربما يشتريها ولدها ولا يشعر فيكون ربها .

وقيل: المراد أن يكثر العقوق فى الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة والسب .

قلت: وقول آخر سمعت شيخنا الأستاذ المحدث النحوى المقرىء أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد القيسى القرطبى المعروف بابن حجة يقوله غير مرة، وهو الأخبار عن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين كما فى هذه الأزمان التى قد استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخراسان وغيرها من البلدان، فتسبى المرأة وهى حبلى أو ولدها صغير فيفرق بينهما فيكبر الولد فربما يجتمعان ويتزوجها كما قد وقع من ذلك كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ويدل على هذا قوله: إذا ولدت المرأة بعلها، وهذا هو المطابق للأشراط مع قوله عليه الصلاة والسلام: « لا تقوم الساعة حتى تكون الروم أكثر أهل الأرض »[١] والله أعلم .

* * * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٨) بنحو هذا اللفظ .

بابـ
ليشربن ناس من أمتى الخمر

ابن ماجـة عن أبى مالك الأشعـرى قال: قال رسول الله ﷺ: « ليـشربن ناس من أمـتى الخمـر يسمونـها بغيـر اسمـها، يضـرب على رؤوسهم بالـدفوف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير »[1].

وخرجه أبو داود عن مـالك بن أبى مريم قال: دخلنا على عـبد الرحمن بن غنم فتذاكـرنا الطلاء قال: حدثنى أبو مالك الأشعـرى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها »[2].

البخارى عن أبى مـالك الأشعرى أو عن أبى عامـر سمع النبى ﷺ قال: «ليكونن ناس من أمتى يستحلون الحـر والحرير والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب عالم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجـة فيقولون: ارجع إلينا غداً فيبينهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[3].

* * * *

بابـ
فى رفع الأمانة والإيمان من القلوب

روى الأئمة البـخارى ومسلم وابن ماجـة وغيرهم واللفظ لمسلم عن حـذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قـد رأيت أحدهما وأنا انتظر الأخر، حدثنا «أن الأمانة نزلت فى جـذر قلوب الرجال »، قال ابن ماجة: قـال الطنافسى يعنى وسط قلوب الرجـال، ثم نزل القرآن فـعلمـوا من القرآن وعلمـوا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمـانة قال: « ينام الرجل النومـة فتقـبض الأمانة من قلبـه فيظل

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٠) .

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٣٦٨٨) .

(٣) أخرجه البخارى (٥٥٩٠) .

أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلاً أمينًا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثال حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى على زمان ما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلمًا ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيًا أو يهوديا ليردنه على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا »[1] .

(فصل) :

الجذر: بالذل المعجمة ويقال بفتح الجيم وكسرها وهو الأصل من كل شيء من النسب والحساب والشجر وغيره. والوكت: بإسكان الكاف وهو الأثر اليسير يقال: أوكتت البسرة: إذا ظهرت فيها نكتة من الإرطاب وهو مصدر وكته يكته وكتًا وهو أيضًا مثل نكتة في العين وغيرها. والمجل: هو النفخ الذي يرتفع من جلد باطن اليد عند العمل بفأس أو محذاف أو نحوه يحتوي على ماء ثم يصلب ويبقى عقدًا، قال ابن دحية قيدناه في الحديث بسكون الجيم وأجاز أهل اللغة والنحو فتح الجيم مصدر مجلت يده تمجل مجلاً بفتح الجيم في المصدر إذا غلظت من العمل. وقوله: فنفط أي ارتفع جلدها وانتفخ، فتراه منتبرًا أي منتفطًا ومعناه مرتفعًا جلده من لحمه وهو افتعال من النبر وهو الرفع، وكل شيء رفع شيئا فقد نبره ومنه اشتق المنبر وأراد بذلك خلو القلوب من الأمانة كما يخلو المجل المنتبر عن شيء يحويه كجمر دحرجته يعني أطلقته فينطلق ظهر اليدين من ذلك .

وقول حذيفة: لقد أتى على زمان الحديث: يعني كانت الأمانة موجودة، ثم قلت في ذلك الزمان. وقوله ليردنه على ساعيه يعني من كان رئيسًا مقدمًا فيهم واليًا عليهم أن ينصفني منه وإن لم يكن له إسلام وكل من ولي على قوم ساع

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠) .(٥٤٢) أخرجه البخاري (٧٠٢٦)، ومسلم (١٤٣)، والترمذي (٢١٧٩)، وابن ماجه (٤٠٥٣) .

لهم. وقوله فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا. قـال أبو عبيدة: هو من البيع والشراء لقلة الأمانة .

* * * *

بـاب
فى ذهاب العلم ورفعه وما جاء أن الخشوع والفرائض أول علم يرفع من الناس

ابن ماجه قـال: حدثنا أبو بكر بن أبى شيـبة قال: حدثنا وكيـع قال: حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبى الجعد، عن زياد بن لبيـد قال: ذكر النبى ﷺ شيئًا قال: « ذاك عند أوان ذهاب العلم » قلت يا رسول الله: كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القـرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنـا أبناءهم إلى يوم القيامـة؟ قال: « ثكلتك أمك يا زياد: إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هـذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل لا يعملون بشىء منهما »[1].

وخرجه الترمذى عن جبير بن نفير، عن أبى الدرداء: قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببـصره إلى السماء ثم قـال: « هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا على شىء منـه » فقال زياد بن لبيد الأنصـارى: كيف يختلس منا ونحن قد قرأنا القرآن فوالله لنقرؤه ولنقرئه نساءنا وأبناءنا، فقال: « ثكلتك أمك يا زياد: إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم »[2].

قال جبـير: فلقيت عبـادة بن الصامت فقلت: ألا تسمع مـا يقول أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذى قال أبو الدرداء، قال صدق أبو الدرداء، إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس. الخـشوع يوشك أن يدخل الرجل مسـجد جماعـة فلا يرى فيه رجلاً خاشعًا. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث، ولا أعلم أحدًا تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان .

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٨) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٢٦٥٣) .

وروى بعضهم هذا الحديث ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك .

* * * *

بابـ
فى دروس الإسلام وذهاب القرآن

ابن ماجة قال: أخبرنا على بن محمد قال: أنبأنا أبو معاوية، عن أبى مالك الأشجعى، عن ربيعى بن خراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ : «يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسرى بكتاب الله تعالى فى ليلة فلا يبقى منه فى الأرض آية وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها، قال له صلة: ما تغنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه حذيفة فقال: يا صلة تنجيهم من النار ثلاثا»[١].

قلت: هذا إنما يكون بعد موت عيسى عليه السلام لا عند خروج يأجوج ومأجوج على ما تقدم من رواية مقاتل .

* * * *

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) .

بـاب
العشر آيات التي تكون قبل الساعة وبيان قوله تعالى:
﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر: ١]

وخرج مسلم عن حذيفة قال: اطلع رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال: « لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، ويأجوج، ومأجوج وخروج عيسى ابن مريم، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا ». خرجه ابن ماجة والترمذى وقال: حديث حسن. وفى رواية: «الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطردهم إلى محشرهم »(١).

وفى البخارى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « أول أشراط الساعة نار تخرج تحشر الناس من المشرق إلى المغرب »(٢) .

مسلم عن عبد الله بن عمر قال: حفظت من رسول الله ﷺ يقول: « إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فأخرى على أثرها قريبا منها »(٣).

* * * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠١) عن حذيفة بن أسِيد .

(٢) علقه البخارى فى أول كتاب الفتن - باب خروج النار من صحيحه .

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤١) .

بابـ
ذكر الدجال وصفته ونعته

مسلم عن أبى الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفى رواية: «من آخر سورة الكهف»[١].

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: « الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار » وعنه قال: قال رسول الله ﷺ « لأنا أعلم بما مع الدجال منه. معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج، فـإما أدركن أحـد فليـأت النهر الذى يـراه نارا وليغـمض وليطأطىء رأسـه فيشـرب فإنه ماء بارد، وأن الـدجال ممسوخ العـين عليهـا ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافره يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب »[٢].

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحـية: كذا عند جماعة. رواه مـسلم فإما أدركن قال ابن دحية: وهو وهم فإن لفظه هو لفظ الماضى ولم أسـمع دخول نون التوكيد على لفظ الماضى إلا ها هنا، لأن هذه النون لا تدخل على الفعل وصوابه ما قيده العلماء فى صحيح مسلم منهم التميمى أبو عبد الله: فإما أدركه أحد .

وعن عبد الله بن عمر: قـال: ذكر رسول الله ﷺ يوما بين ظهرانى الناس المسيح الدجال فقال: « إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبه طافية »[٣] .

قال: وقال رسول الله ﷺ « أرانى الليلة فى المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحـسن ما ترى من آدم الرجال تضـرب لمته بين منكبـيه رجل الشعـر يقطر رأسه واضعا يده على منكبى رجلين وهو يطوف بالبـيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هو المسيح ابن مـريم، رأيت وراءه رجلا جعـدا قططا أعور العـين اليمنى كأشـبه من

(١) أخرجه مسلم (٨٠٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٤) .

(٣) أخرجه مسلم (فتن/ ١٠٥) .

رأيت من الناس بابن قطن واضعا يديه على منكبى رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ قالوا: هو المسيح الدجال »[١] .

الترمذى، عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الدجال ليخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أفواج كأن وجوههم المجان المطرقة »[٢] إسناده صحيح .

(فصل) :

وصف النبى ﷺ الدجال وصفا لم يبق معه لذى لب إشكال وتلك الأوصاف كلها ذميمة تبين لكل ذى حاسة سليمة، لكن من قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب والغباوة وحرم اتباع الحق ونور التلاوة، فقوله عليه الصلاة والسلام « إنه أعور وأن الله ليس بأعور » تبيين للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصا فى ذاته عاجزا عن إزالة نقصه لم يصلح أن يكون إلها لعجزه وضعفه، ومن كان عاجزا عن إزالة نقصه كان أعجز عن نفع غيره وعن مضرته .

* * * *

باب
ما يمنع الدجال أن يدخله من البلاد إذا خرج

البخارى ومسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة » وذكر الحديث[٣].

وفى حديث فاطمة بنت قيس: « فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان علىّ كلتاهما » الحديث[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩) .
(٢) أخرجه الترمذى (٢٢٣٧) .
(٣) أخرجه البخارى (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣) .
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) .

بـاب
فى خروج الدجال وما يجىء به من الفتن والشبهات

وقد تقدم من حديث حذيفة ﷺ أن له جنة ونارا فجنته نار وناره جنة .

أبو داود عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ : « من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات »[١] .

ومسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : « يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد. فيقول: أعمد إلى هذا الرجل الذى خرج. فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول ما بربنا حقا، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض أليس ربكم قد نهاكم أن تقتلوا أحدًا دونه قال؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ . قال: فيأمر به الدجال فيشج. فيقول: خذوه وشجوه فيوجع ظهره وبطنه ضربا. قال: فيقول: أما تؤمن بى؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب. فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقة حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشى بين القطعتين ثم يقول قم فيستوى قائما. فيقول له: أتؤمن بى؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ثم يقول: يا أيها الناس إنه « يفعل بعدى بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا، قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنه إنما قذف به فى النار وإنما ألقى به فى الجنة ».

قال: قال رسول الله ﷺ «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[٢].

وفى رواية: قال يأتى وهو محرم عليه أن يدخل المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول:

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد (٤/ ٤٣١)، والحاكم (٤/ ٥٣١) وصححه على شرط مسلم .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٩) .

أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا أتشكون فى الأمر؟ فيقولون: لا. قال: فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلطه الله عليه. خرجه البخارى[1] .

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليها الملائكة صافين يحرسونها فينزل بالسبخة فترجف ثلاث رجفات يخرج إليه كل كافر ومنافق » وفى رواية: كل منافق ومنافقة خرجه البخارى[2] .

وعن النواس بن سمعان الكلابى قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا فى طائفه النخل فقال: «ما غير الدجال أخوفنى عليكم أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم. إنه شاب قطط عينه طافيه كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلةً بين الشام والعراق فعاث يمينا وشمالا، يا عباد الله فاثبتوا قلنا: يارسول الله وما لبثه فى الأرض؟ قال: أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم. فقلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا اقدروا له قدره قلنا: يارسول الله وما إسراعه فى الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، قال: فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغةضروعا وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رميه الغرض، ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك، فبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فنزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين

---

(١) أخرجه البخارى (١٨٨٢) عن أبى سعيد الخدرى .

(٢) أخرجه البخارى (١٨٨١) .

مهرودتين واضعا كفيـه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفـسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه، فيطلبـه حتى يدركه بباب لد فيـقتله، ثم يأتى عيسى عليه السـلام قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجـوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الـله إلى عيسى عليـه السلام إنى قـد أخرجت عـبادا لى لا يدان لأحد بقتـالهم فحرز عبادى إلى الطور، ويبعث الله يـأجوج ومأجوج: ﴿**وهم من كل حدب ينسلون**﴾[الأنبياء: ٩٦] فيمر أوائلهم علـى بحيرة طبرية فيشربون مـا فيها ويمر آخرهـم فيقولون: لقد كـان بهذه مرة ماء ويحـضر نبى الله عيسـى وأصحابه حتى يكون رأسى الثور لأحـدهم خيرا من مائه دينار لأحدكم اليـوم، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه فيرسل الله النغف فى رقابهم فـيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنـهم فيرغب عيسى وأصـحابه، فيرسل الله طيـرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحـهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يُكَنُّ منه بيت مدر ولا وبر فيغـسل الأرض حتى يتركهـا كالزلقة، ثم يقال للأرض: أنبـتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلونة بقحفها، ويبارك الله فى الرسل أى اللبن حتى إن الـلقحة من الإبل لتكفـى الفئام من الناس، واللقـحة من البـقر لتكفى القبيلة من النـاس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس، فـبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذ بهم تحت آباطهم فيقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها كـتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة. زاد فى أخرى بعد قـوله مرة ماء ثم يسيرون حـتى ينتهوا إلى جبل الخـمر وهو جبل بيت المقدس فـيقولون: لقـد قتلنا من فى الأرض فلنقتل من فـى السماء فيـرمون بنشابهم إلى السمـاء فيرد الله عليهم نشابهـم مخضوبه دما » أخرجـه الترمذى فى جامعه[1].

وخرج مسلم وابن ماجـة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لينزلن ابن مريم حكـما عدلا فليكسـرن الصليب، وليقـتلن الخنزير، وليضـعن الجزية،

(١) أخرجه مسلم (٣٧٩٢)، والترمذى (٢٢٤٠)، وأحمد (٤/ ١٨١) .

وليتركن القلاص فلا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون الناس إلى المال فلا يقبله أحد »[١] .

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم إذا نزل عيسى ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » وفي رواية « فأمكم منكم » قال ابن أبي ذئب: تدرى ما إمامكم منكم؟ قلت: تخبرني. قال: فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ قال: « والذى نفسى بيده ليهلن ابن مريم بفج من الروحاء حاجا أو معتمرا أو ليثنينهما »[٢].

(فصل) :

ذهب قوم إلى أن بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها من حديث أبي هريرة وبقوله تعالى: ﴿ **وخاتم النبيين** ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقوله عليه الصلاة والسلام: « لا نبى بعدى »[٣] وقوله: «وأنا العاقب»[٤] يريد آخر الأنبياء وخاتمهم، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبيا بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا ﷺ ، بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ .

وقد روى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبى ﷺ يقول: « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل بنا. فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء لكرامة الله لهذه الأمة» خرجه مسلم فى صحيحه[٥]وغيره. فعيسى

(١) أخرجه مسلم (إيمان/ ٢٤٣)، وابن ماجه (٤٠٧٨) .
(٢) أخرجه مسلم (إيمان/ ٢٤٦) .
(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٢)، والترمذى (٣٧٢٤) .
(٤) هو آخر حديث من رواية مسلم (٢٣٥٤): « وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى »، وفى البخارى (٣٥٣٢) آخره أيضًا: « وأنا العاقب » فى أسماء النبى ﷺ .
(٥) أخرجه مسلم (١٥٧) .

عليه السلام إنا ينزل مقررا لهذه الشريعة ومجددا لها إذ هى آخر الشرائع، ومحمد ﷺ آخر الرسل فينزل حكما مقسطا، وإذا صار حكما فإنه سلطان يومئذ للمسلمين .

(فصل) : فى بيان ما وقع فى الحديث من الغريب :

قوله: فيشج أى يمد، والميشار مفعال من أيشرت ووشرت أشرًا ووشرًا، ويقال منشار بالنون أيضًا وبالوجهين فى الحديث وهو مفعال أيضًا من نشرت .

وقوله: فخفض ورفع بتخفيف الفاء أى أكثر من الكلام فيه، فتارة يرفع صوته ليسمع من بعد، وتارة يخفض ليستريح من تعب الإعلان، وهذه حالة المكثر فى الكلام، وروى بتشديد الفاء فيهما على التضعيف والتكثير .

وقوله: إنه خارج خلة. يروى بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة قاله الهروى، والخلة موضع حزن وضجور والخلة ما بين البلدين .

وعاث بالعين المهملة والثاء المثلثة والتنوين على أنه اسم فاعل، وروى بفتح الثاء على أنه فعل ماض، والكل بمعنى الفساد عاث يعيث عيثًا، فهو عاث يعثى، عثى يعثو لغتان، وفى التنزيل: ﴿**ولا تعثوا فى الأرض مفسدين**﴾ [البقرة: ٦٠] .

وقوله: يا عباد لله فاثبتوا. يعنى على الإسلام يحذرهم من فتنته لأنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت .

وقوله: فاقدروا له قدره، قال القاضى عياض: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع، ولو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلاة فيه عن الأوقات المعروفة فى غيره من الأيام .

وقوله: ممحلين أى مجدبين، ويروى: أزلين والمحل والأزل والقحط والجدب بمعنى واحد، ويعاسيب النحل فحولها، واحدها يعسوب، وقيل أمراؤها. ووجه التشبيه أن يعاسيب النحل يتبع كل واحد منهم طائفة من النحل فتراها جماعات فى تفرقة، فالكنوز تتبع الدجال كذلك .

وقوله: بين مهرودتين أى بين شقى ثوب، والشقة نصف الملاءة أو فى حلتين

مأخوذ من الهرد بفتح الهاء وسكون الراء وهو الشق والقطع .

والجمان: ما استدار من اللؤلؤ والدر شبه قطرات العرق بمستدير الجوهر، وهو تشبيه حسن .

وقوله: فحرز عبادى إلى الطور، أى ارتحل بهم إلى جبل يحرزون فيه أنفسهم، والطور: الجبل بالسريانية .

والنغف: جمع نغفة وهى الدود الذى يكون فى أنوف الإبل والغنم. وفرسى أى هلكى وهو جمع فريس يعنى مفروس مثل قتيل وقتلى وصريع وصرعى وأصله من فرس الذئب الشاة وأفرسها أى قتلها كأن تلك النغف فرستهم .

ويروى فيصبحون موتى. والزهم: النتن. والبخت: إبل غلاظ الأعناق عظام الأجسام. والزلفة: المصفقة المتلئة والجمع زلف .

* * * *

باب
ما ذكر من أن ابن صياد: الدجال واسمه صاف ويكني أبا يوسف وسبب خروجه وصفة أبوية وأنه على دين اليهود

البزار عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد: الدجال فقلت: أتحلف على ذلك! قال: سمعت عمر يحلف بالله على ذلك عند النبى ﷺ فلم ينكره النبى ﷺ: وأخرجه أبو داود فى سننه[١] .

وعن نافع قال: كان ابن عمر يقول: « والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد » أخرجه أبو داود أيضًا وإسناده صحيح[٢] .

مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: خرجنا حجاجًا أو عماراً ومعنا ابن صياد قال: فنزلنا منزلاً فتفرق الناس وبقيت أنا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة مما

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣١) بل أخرجه مسلم (فتن/ ٥٤) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٠) .

يقال عليه قال: وجاء بمتاعه فوضعه على متاعى فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة، قال ففعل فرفعت لنا غنم فانطلق بعس فقال: اشرب أبا سعيد فقلت: إن الحر شديد واللبن حار ما بى إلا أنى أكره أن أشرب عن يده أو قال: آخذه عن يده، فقال: أبا سعيد من خفى عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفى عليكم معشر الأنصار ألست من أعلم أصحاب رسول الله! أليس قد قال رسول الله ﷺ: « هو كافر وأنا مسلم » أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل المدينة ولا مكة فقد أقبلت من المدينة وأنا بمكة » وفى رواية: وقد حججت قال أبو سعيد: حتى كدت أنى أعذره ثم قال: أما والله إنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن. قال: قلت له: تبًّا لك سائر اليوم[1] وفى رواية: قال أبو سعيد وقيل له أيسرك أنك ذاك الرجل أى الدجال قال: فقال لو عرض على ما كرهت[2].

وعن ابن عمر قال: لقيت ابن صياد مرتين، فقلت لبعضهم: هل تحدثون أنه هو؟ قال: لا والله. قال: قلت كذبتنى والله لقد أخبرنى بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالاً وولدًا، فكذلك هو كما زعموا اليوم، قال: فتحدثنا ثم فارقته قال فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه قال: فقلت متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدرى. قال: قلت: لا تدرى وهى فى رأسك. قال: إن شاء الله خلقها فى عصاك هذه قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت، قال: فزعم بعض أصحابى أنى ضربته بعصا كانت معى حتى تكسرت، وأما أنا فوالله ما شعرت قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت ما تريد إليه ألم تعلم أنه قد قال: إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه[3]، وعنه قال: انطلق رسول الله ﷺ وأبى بن كعب إلى النخل التى فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقى بجذوع النخل وهو يحتال أن يسمع من ابن صياد شيئًا قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله ﷺ وهو مضجع على فراش فى قطيفة له فيها زمزمة، فرأت أن ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقى بجذوع النخل،

---

(١) أخرجه مسلم (فتن/ ٩١) .
(٢) أخرجه مسلم (فتن/ ٩٠) .
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٢) .

فقال: لابن صـياد: يا صاف هو اسم ابن صياد هذا محمد فثار ابن صياد فقال رسول الله ﷺ: «لو تركته بين»[١].

وفى رواية: ثم قال رسول الله ﷺ: « إنى قد خبأت لك خبئًا » فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال رسول الله ﷺ: « اخسأ فلن تعدو قدرك » فقال عمر ابن الخطاب: ذرنى يا رسول الله أضرب عنقه قال رسول الله ﷺ: « إن يكنه فلن تسلط عليه وإن لم يكنه فلا خير فى قتله »[٢].

أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة[٣].

(فصل):

قال أبو سليمان الخطابى: وقد اختلف الناس فى أمر ابن صياد اختلافًا كثيرًا وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول.

قال أبو سليمان: والذى عندى أن هذه القضية إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفاءهم، وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبينهم كتابًا وصالحهم فيه وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً فى جملتهم وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب فامتحنه بذلك ليرى آية أمره، فلما كلمه علم أنه معطل وأنه من جملة السحرة والكهنة يأتيه رييب من الجنة أو يتعاهده شيطان فيلقى على لسانه بعض ما يتكلم به، فلما سمع منه قول الدخ زجره وقال: اخسأ ولن تعدو قدرك، يريد أن ذلك شىء ألقاه إليه الشيطان، وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبل الوحى إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذى يوحى إليهم علم الغيب ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم ويصيبون بنور قلوبهم الحق، وإنما كانت له تارات يصيب فى بعضها ويخطىء فى بعض، وذلك معنى قوله: « يأتى صادق وكاذب ». فقال له عند ذلك خلط عليك.

* * * *

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣١).

(٢) أخرجه مسلم (فتن/ ٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٣٢).

باب

ما جاء فى نقب يأجوج ومأجوج السد وخروجهم وصفتهم وفى لباسهم وطعامهم وبيان قوله تعالى:

﴿ فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء ﴾ [الكهف: ٩٨]

ابن ماجة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله: « إن يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله، فيرجعون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون سهامهم فى السماء فيرجع إليها الدم. الذى أحفظ فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفًا فى أقفائهم، فيقتلون »، قال رسول الله ﷺ: والذى نفسى بيده إن دواب الأرض تسمن وتشكر شكرًا من كثرة ما تأكل من لحومهم »[(١)].

قال الجوهرى: شكرت الناقة تشكر شكرًا فهى شاكرة واشتكر الضرع امتلأ.

وخرج ابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: « يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ [الأنبياء: ٩٦] فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون حتى يصير بقية المسلمين فى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم حتى إنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذروا فيه شيئًا فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم لننازلن أهل السماء حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم، فيقولون: قد قتلنا أهل السماء فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم دواب كنغف الجراد، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضًا. فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسًا. فيقولون: هل من رجل يشترى نفسه وينظر ما

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٠).

فعلوا، فينزل إليهـم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجـدهم موتى، فيناديهم ألا أبشروا فقد هلك عدوكم فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم مرعى إلا لحومهم فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط »(١).

* * * *

باب
ذكر الدابة وصفتها
قال الله تعالى: ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ﴾ [النمل: ٨٢]

قال العلماء: معنى وقع القول عليهـم: أى وجب الوعيد عليهم لتماديهم فى العصيان والعقوق والطغـيان وإعراضهم عن آيات الله وتركهم تدبرها والنزول على حكمها، وانتهابهم فى المعاصى إلى ما لا ينجع معه فيهم موعظة ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة يقول عز من قائل فإذا صاروا كذاك: ﴿ **أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم** ﴾ أى دابة تعقل وتنطق، وذلك والله أعلم ليقع لهم العلم بأنه آية من قبل الله تعالى ضرورة فإن الدواب فى العادة لا كلام لها ولا عقل .

* * * *

باب
طلوع الشمس من مغربها واغلاق باب التوبة وكم يمكث الناس بعد ذلك؟

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كـسبت فى إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض »(٢).

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٩) .

(٢) أخرجه مسلم (١٥٨) .

وخرج الترمذى والدارقطنى: عن صفوان بن عسال المرادى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن بالمغرب بابًا مفتوحًا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه » قال الترمذى: حديث حسن صحيح[١].

وقال سفيان: « قبل الشام. خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحًا يعنى التوبة .

(فصل) :

قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسًا إيمانها عند طلوعها من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة فى حال من حضره الموت فى انقطاع الدواعى إلى أنواع المعاصى عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب فى مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت .

* * * *

باب
لا تقوم الساعة حتى
لا يقال فى الأرض: الله الله

مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض: الله الله ».[٢].

وفى رواية أخرى: « لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله »[٣].

* * * *

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٣٥٣٥، ٣٥٣٦)، والدارقطنى (١/ ١٩٧) .

(٢) مسلم (١٤٨) .

(٣) يتبع الذى قبله .

بابـ
على من تقوم الساعة ؟

مسلم عن عبد الرحـمن بن شماسة المهدى قال: كنت عند مـسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وهم شر من أهل الجـاهلية لا يدعون الله بشىء إلا رده عليهم، فـبينما هم كذلك أقبل عقبة بـن عامر فقال له ابن شماسة يا عقبة: اسـمع ما يقول عبد الله، فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك » فقال عـبد الله: أجل. « ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسها كمس الحرير لا تترك نفسا فى قلبها مثقال حبة من إيمان إلا قبضتها ثم تبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة »[١].

وفى حديث عبد الله بن مسعـود: « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس من لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا يتهجارون كما تتهارج الحمر »[٢].

قال الأصـمعى: قوله يتـهجارون يقـول: يتسـافدون يقال: بات فـلا يهرج. والهرج فى غير هذا: الاختلاط والقتل .

وخرج مسلم، عن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا تذهب الليالـى والأيام حتى تعبـد اللات والعزى، فقـلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿ **هو الذى أرسل رسـوله بالهدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ [التوبة: ٣٣] أن ذلك عام. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبـعث الله ريحا طيبة فتتـوفى كل من كان فى قلبه مثقـال حبة من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم »[٣] والله أعلم .

* * * * *

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٤) .
(٢) مسلم (٢٩٤٩) .
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠٧) .

(فصل) :

ذكر أبو الحسن بن بطال رحمه الله فى هذا الحديث فى شرح البخارى له مبينا لحديث البخارى عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذى الخلصة » الحديث وقد تقدم وقال: هذه الأحاديث وما جاء فيها معناها الخصوص وليس المراد بها أن الدين كله ينقطع فى جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء، لأنه قد ثبت عن النبى ﷺ أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة إلا أنه يضعف ويعود غريبا كما بدأ .

روى حماد بن سلمة، عن قتادة، عن مطرف، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق حتى يقاتل آخرهم المسيخ الدجال »[1].

قلت: ما ذكره من أن الدين لا ينقطع وأن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة يرده حديث عائشة وعبد الله بن عمر، وما ذكره من حديث عمران بن حصين وقد تقدم أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال ويخرج يأجوج ومأجوج ويموتون ويبقى عيسى عليه السلام ودين الإسلام لا يعبد فى الأرض غير الله كما تقدم، فإذا توفى عيسى عليه السلام بعث الله تعالى عند ذلك ريحا باردة من قبل الشام، فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة كذا فى حديث النواس بن سمعان الطويل، وقد تقدم .

وفى حديث عبد الله بن عمرو: ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو دخل أحدكم فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه قال: سمعتها من رسول الله ﷺ ، وذكر الحديث[2]. وقد تقدم بكماله. وفيه ذكر النفخ والصعق والبعث،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٧)، والحاكم (٤/ ٤٥٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى .
(٢) مسلم (٢٩٤٠) عن ابن عمرو .

فهذا غاية فى البيان فى كيفية انقراض هذا الخلق وهذه الأزمان، فلا تقوم الساعة وفى الأرض من يعرف الله ولا من يقول: الله الله .

نسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من عباده المتقين الفائزين، ويجعل ما كتبته خالصا لوجهه الكريم، بمنه وكرمه، وأن ينفعنا به ووالدينا، وغفر الله لصاحب هذا الكتاب، ولوالديه، ولسائر المسلمين أجمعين. آمين يا رب العالمين .

تم الكتاب وربنا محمود   وله المكارم والعلا والجود

وعلى النبى محمد صلواته   ما ناح قمرى وأورق عود

ووافق الفراغ من نسخه، فى منتصف شهر رمضان المعظم قدره، من شهور سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة. على يد أقل عباد الله وأحوجهم إلى لطفه الخفى .

الحسن بن على بن منصور بن ناصر الحنفى .

غفر الله له ولوالديه، ولمن قرأ فيه، ودعا له بالتوبة النصوح، والمغفرة والرحمة يا رب العالمين، ولسائر المسلمين أجمعين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا وحسبنا الله ونعم الوكيل[١] .

* * * * *

بفضل الله ونعمه

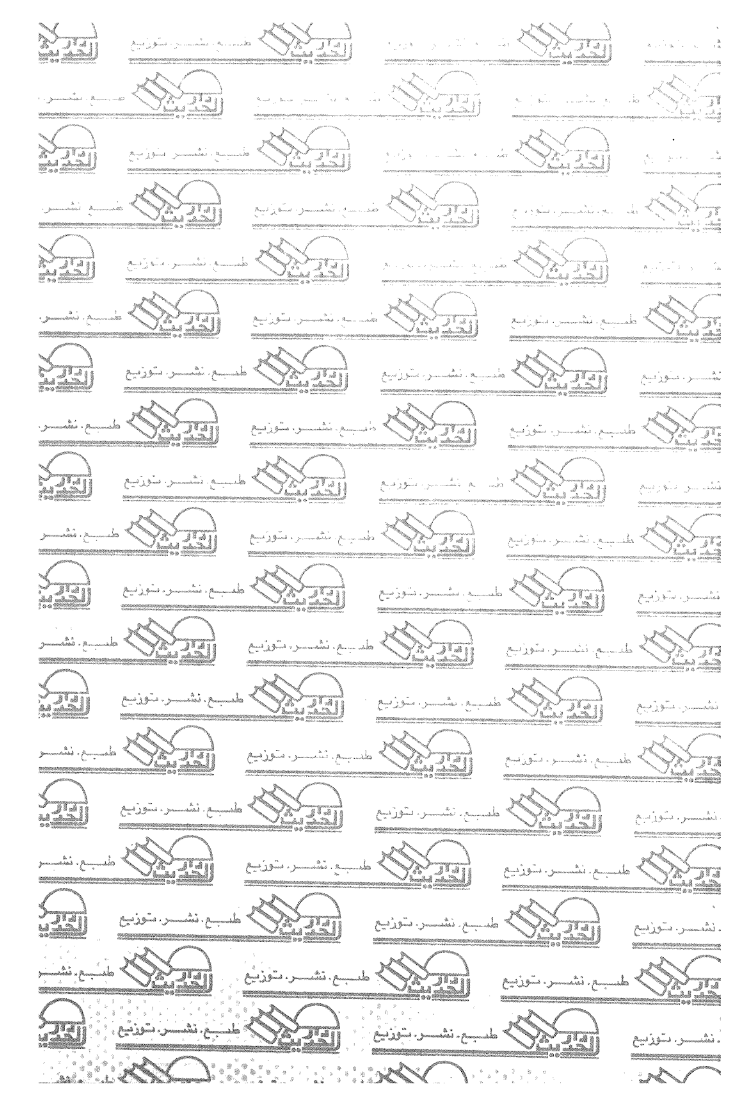
تم الجزء الثانى

---

(١) تمت هوامش الكتاب بحمد الله وتوفيقه نسأل الرب الكريم مغفرة الذنوب وستر العيوب وتفريج الكروب اللهم آمين .

الفهـــرس


دار الحديث
طبع . نشر . توزيع




Bibliotheca Alexandrina
0706907